

إصدارات مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي - الجزائر

فرقة البحث (PRFU): تاريخ وادي سوف الثقافي بين 1900-1988م

بحوث اليوم الدراسي:

الرحلات العلمية لأعلام وادي سوف وأثرها الفكري والثقافي في المنطقة وما جاورها



«الأحد: 19 شعبان 1444هـ الموافق لـ 12 مارس 2023م»



إصدارات مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي - الجزائر

فرقة البحث (PRFU): تاريخ وادي سوف الثقافي بين 1900-1988م

بحوث اليوم الدراسي:

الرحلات العلمية لأعلام وادي سوف وأثرها الفكري والثقافي في المنطقة وما جاورها

«الأحد: 19 شعبان 1444هـ الموافق لـ 12 مارس 2023م»





مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية

Laboratory of Algerian scientists contributions to enrich the Islamic studies

كلية العلوم الإسلامية – جامعة الوادي

Faculty of Islamic Sciences - University of El Oued - Algeria

مخبر بحث معتمد من قبل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

تحت رقم (70). بتاريخ: 2015/02/21. الرمز: E0780400

الموقع الإلكتروني: https://faculty.univ-eloued.dz/faculty/isi/laboratory/6

فرقة البحث (PRFU): تاريخ وادي سوف الثقافي بين 1900-1988م

رئيس الفرقة: أ.د. الجباري عثماني

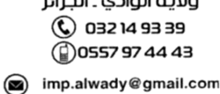
أعضاء الفرقة: د. أحمد بالعجال؛ ط.د. مراد فرجاني؛ ط.د. نورالدين صحراوي؛ ط.د. هناء عزوز

I06N02UN390120200002

- **الطبعة الأولى: 1446هـ / 2025م**
- **الإيداع القانوني: فيفري 2025**
- **ردمك: 978-9969-574-49-4**
- **عدد الصفحات: 272.**
- **المقاس: 16.5 × 24 سم.**

- **التنفيذ الطباعي:**





التعريف باليوم الدراسي:
«الرحلات العلمية لأعلام وادي سُوف
وأثرها الفكري والثقافي في المنطقة وما جوارها»

تعتبر الرحلات العلمية مصدرا مهما لمعرفة الحياة الثقافية والبيئات العلمية، ففيها ذكر لأهم المراكز العلمية، ومجالس الدرس والتحصيل، بل إنها صورة حقيقية لشهود العيان عن الأحوال السياسية والثقافية والاجتماعية، والاقتصادية وجغرافية للبلدان، بالإضافة إلى هذا تمثل زادا وفيرا لتراجم الكثير من العلماء الذين غفلت كتب التراجم عن ذكرهم.

وقد ظلت الرحلة في طلب العلم مظهرا مشرفا ونبيلا في الثقافة العربية الإسلامية، حيث ظل الناس يتبادلون الرحلات للركوع من ينابيع المعرفة، والسماع من أكابر العلماء والمفكرين ومجالساتهم ومناقشاتهم، ولقد كان المتعلمون أو طلاب العلم يلتمسون مشافهة الرجال والاتصال بهم شخصيا، وكانوا يفتخرون بذلك ويتباهون. فكان طلاب الجنوب الجزائري ومنهم السوافة، يتركون بلداتهم ويتوجهون إلى مراكز العلم المنتشرة في أنحاء العالم الإسلامي، ويكابدون مشاق السفر وأخطاره التي يعجز المرء عن وصفها؛ مما خلد لهم ذكرا رفيعا في أغلبها، ومن هنا فقد بات المثقف السوفي لا يعد نفسه مثقفا مكتمل الثقافة إلا إذا قام بالرحلة إلى إحدى حواضر العلم، ويتصل بعلمائها، ولقد ظلت هذه السيرة قائمة إلى ما بعد الاستقلال. وبعد فترة التحصيل والاجتهاد في نيل العلوم، جلسوا على كراسي الوعظ ومنابر المساجد وبيوتات الزوايا وقاعات الدرس؛ معلمين ومفتين ومربين، ومساهمين في نشر الثقافة والعلم بين الشيب والشباب.

الإشكالية:

يطرح هذا اليوم الدراسي إشكالية عامة، تدور حول أهمية الرحلة العلمية في صقل الأدمغة وتحصيل العلوم لأعلام من المنطقة وجوارها؛ وأثر ذلك في نشر الوعي وتفعيل الحركة الثقافية بين مجتمع البحث.

الأهداف:

تتجلى أهداف اليوم الدراسي من خلال النقاط الآتية:

- إبراز دور الرحلة العلمية السوفية في تنشيط الحركة التعليمية والثقافية.
- تِبْيان أهم روافد انتشار الوعي الفكري والثقافي لساكنة المنطقة.
- الكشف عن مساهمات أعلام الثقافة بالمنطقة وخارجها وأدوارهم في نشر الوعي.

المحاور:

المحور الأول: البيئة الجغرافية والخلفية التاريخية لمجال البحث (وادي سوف).

المحور الثاني: اتجاهات الرحلات العلمية السوفية داخل وخارج الوطن.

المحور الثالث: تراجم لأعلام المنطقة وأدوارهم الثقافية.

المحور الرابع: تراجم لأعلام نازلين بالمنطقة وأدوارهم الثقافية.

إدارة اليوم الدراسي:

- **رئيس اليوم الدراسي:** أ. د. إبراهيم رحماني، عميد الكلية.
- **المشرف العام لليوم الدراسي:** د. حمزة بوخزنة، مدير المخبر.
- **مدير اليوم الدراسي:** أ. د. الجباري عثماني، رئيس فرقة البحث.
- **رئيس اللجنة العلمية:** د. إدريس ريمي.
- **رئيس اللجنة التنظيمية:** د. نبيل صوالح محمد.

أعضاء اللجنة العلمية:

أ. د. الجباري عثماني

د. أحمد بالعجال

أ. د. علي خضرة

أ. د. قويدر قيطون

د. محمد عبد الحاكم بن عون

أعضاء اللجنة التنظيمية:

د. مختار قديري

أ. نور الدين صحراوي

د. مراد فرجاني

الرحلة (الدوافع والأنواع)

The journey (motives and types)

د. محمد الحاكم بن عون

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة الوادي (الجزائر)

benaoun-mohammedelhakem@univ-eloued.dz



ملخص:

تعد الرحلة من أهم مظاهر حياة الإنسان الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية والعلمية؛ ونريد من خلال هذه الورقة البحثية التعرف على الدوافع الحقيقية للرحلة وأنواعها وسنركز على نوعين أساسيين لارتباطهما بالرحلة العلمية، وسنخلص إلى تحديد مفاهيمي للرحلة وإلى دوافعها في شتى المجالات وسنبين الأثر العلمي لركب الحج - ذي الصبغة الدينية -، وللرحلة الفهرسية وأهميتهما الحضارية بين البلدان الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: الرحلة؛ الدوافع؛ الأهداف؛ الأنواع.

***Abstract**:*

The journey is one of the most important aspects of human economic, social, political, religious, and scientific life. Through this research paper, we want to identify the true motives for the journey and its types. We will focus on two basic types because of their connection to the scientific journey. We will conclude with a conceptual definition of the journey and its motives in various fields. We will show the scientific impact of "the Hajj journey "with it's religious nature and the indexical journey and their cultural importance among Islamic countries. Keywords: journey. Motives. Types of goals

***Keywords:** the journey; motives; Objectives; species.*

1- مقدمة

منذ أن خلق الله الإنسان وجعله على وجه البسيطة، وحياته مليئة بالترحال؛ فالرحلة ظاهرة قديمة؛ يتنقل فيها الفرد أو الجماعة من مكان إلى آخر ويتحكم في هذه الحركة العديد من الدوافع؛ التي تتعلق بحاجة الفرد أو القبيلة ومتطلباتها، بل وتتعلق كذلك بنمط تفكير الرحالة ومساعيه، في شتى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والعلمية، فالترحال لا يقتصر على البدوي فحسب بل يتعداه إلى الإنسانية جمعاء؛ وخاصة طالب العلم، لذلك تعددت وتنوعت هذه الرحلات، ورسم الرحالة عدة غايات وراء هذا التنقل، ومن خلال هذه الورقة البحثية أردت الإجابة عن الإشكالية الآتية : فيم تتمثل دوافع الرحلة؟ وما أنواعها وغاياتها؟

وأردت من خلال هذه الصفحات المختصرة التركيز على الجانب المتعلق بالفرقة البحثية؛ وأن أعطي صورة عن نوعي الرحلة العلمية (الفهرسية والحجازية) دون الأنواع الأخرى.

2- تحديد مفهوم الرحلة:

2-1- لغة: الرحلة، من فعل رَحَل؛ أي سار وانتقل من مكان إلى آخر[1]. ورَحل عن بلده؛ أي تركها[2]، ودَنَت رِحلته أي قربت[3]. والرِّحلة تعني الارتحال، وأرحله أعطاه راحلة، والراحلة الناقة التي تصلح لأن ترحل[4].

2-2- اصطلاحا: هي انتقال فرد أو مجموعة من الأفراد من مكان إلى آخر لغرض

1- الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1999م، ص. 904.

2- علي بن هادية، **القاموس الجديد للطلاب**، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط. 7، الجزائر، ص. 379.

3- محمد ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، 1995م، ص. 1142.

4- محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، **مختار الصحاح**، "باب الراء"، تح. محمد حسن عبد الرحمان ورمضان عبد المطلب، دار الأندلس الجديدة، مصر،2009، ص. 147.

معين، ولتحقيق غاية معينة[1]. ففيم تتمثل دوافع الرحلة؟

3- دو افع الرحلة:

للرحلة عدة أغراض ودوافع أهمها:

3-1- الدو افع الدينية:

ويكون لأداء وذلك للزيارات المقدسة لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلَّا إلى ثلاثةِ مساجدٍ: المسجدُ الحرامُ، ومسجدي هذا، والمسجدُ الأقصى"[2].

وقد تكون زيارة روحية لاتباع طريق شيخ من المشايخ، أو لزيارة قطب من الأقطاب[3] أو لتصحيح طريق؛ فالمريد يزور شيخه ويأخذ عنه الطريق وقد يلبسه الخرقة الصوفية[4] مثل الطريقة القادرية التي أصلها بغداد[5].

3-2- الدو افع الاقتصادية:

ويتمثل في التجارة[6]؛ فأخبرنا القرآن بهذا في رحلتي الشتاء والصيف من أجل كسب القوت[7]، وقد يكون هربا من الغلاء وسعيا وراء الرخص واليسر والوفرة

---

[1]- عبد الرزاق الموافي، **الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن 4هـ**، دار النشر للجامعات المصرية، 1995، ص. 24؛ مصطفى الغاشي، **الرحلة المغاربية والشرق العثماني (محاولة بناء صور الانتشار العربي)**، المغرب، 2015، ص. 14.

[2]- الراوي، عبد الله بن عمر | المحدث: السيوطي | المصدر: الجامع الصغير | الصفحة أو الرقم | **9783**: خلاصة حكم المحدث: صحيح | التخريج: أخرجه العقيلي في ((الضعفاء الكبير)) (256/3)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (9419)، والبيهقي في ((الخلافيات)) (5491) باختلاف يسير.

[3]- فؤاد قنديل، **أدب الرحلة في التراث العربي**، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط. 2، 2002، ص. 19.

4- ما يلبسه المريد من يد شيخه الذي يدخل في إرادته ويتوب على يديه. "وجاء في الموسوعة العربية المسيرة: "الخرقة شعار الصوفية قطعة ثوب ممزق ترمز لفقره وخشونته، ويلبسها الشيخ لمريده، علامة التفويض والتسليم، ولا يمنحها إياه إلا بعد أن يقضي مرحلة رياضة خاصة". ينظر: **اصطلاحات الصوفية**، للكاشاني (178). **الموسوعة العربية** (745/1).

[5]- أغناطيوس يوليانوفيتس كراتشكوفسكي، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، تر. صلاح الدين عثمان هاشم، د. نا، 1957م، ص ص. 320-321.

[6]- سميرة أنساعد، **الرحلة إلى المشرق في الأدب الجز ائري**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص. 15.

[7]- اسلامويب، "أول من سن رحلتي الشتاء والصيف"، تاريخ النشر: 18محرم 1427هـ/16-02-2006م، تاريخ الزيارة 2022/12/12، على الساعة 22:00. متاح على الرابط: https://www.islamweb.net/ar/fatwa/71767

والعمل[1].

3-3- الدو افع السياسية:

ويكون بأمر من السلطة الحاكمة التي ترسل السّفراء والقادة بالرسائل والبريد أو لاستكشاف مناطق تابعة[2]، أو لتامين الطّريق، وقد تكون أحيانا بغرض التّجسس. وقد تكون بحكم مقاومته، أو معارضته للنّظام السّياسي القائم، فيحكم عليه بالنفي مثل الأمير عبد القادر الجزائري، أو لتبادل الآراء السياسية في السلم والحرب[3].

3-4- الدو افع الجغر افية:

وتتمثل في اكتشاف الأقاليم والمسالك والممالك، وهنا يحضرنا المقدسي الذي دفعه فضوله العلمي في كتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، فلم يعتمد على ما سمع أو ما كتب، بل انتهج نهجا جديدا في التحقيق من فلسفة تلك الأماكن ومشاهدتها[4].

3-5- الدو افع العلمية:

كان الدافع العلمي سائدا في العصور الأولى وحتى عصرنا الحالي[5]؛فالرحلة في طلب العلم الذي أمر بها المولى -عز وجل- في أول سورة نزلت على الرسول (صلّى الله عليه وسلّم)، كما حثّنا رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) على طلب العلم والترغيب فيه في قوله صلّى الله عليه وسلّم: "مَن سلَكَ طريقًا يلتَمِسُ فيهِ علمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طريقًا إلى الجنَّةِ، وإنَّ الملائِكَةَ لتَضعُ أجنحتَها لطالِبِ العلمِ رضًا بما يصنعُ، وإنَّ

---

[1]- فؤاد قنديل، **مرجع سابق**، ص. 20.

[2]- صلاح الدين علي الشامي، **الرحلة عين الجغر افيا المبصرة**، ص. 92.

[3]- صالح جديد، "أدب الرحلة جسر للتواصل الحضاري والتعدد الثقافي. قراءة في رحلات القدامى والمحدثين"، **مجلة مقاربات**، ع. 28، جانفي 2016، جامعة زيان عاشور بالجلفة، ص. 79.

[4]- شمس الدين المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**. ط. 3، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط. 3، 1991، ص ص. 2-3.

[5]- محب الدين الخطيب، **رحلة محمد بن إدريس الشافعي**، المطبعة السلفية، القاهرة، 1350هـ، ص. 18.

العالم ليستغفِرُ لَهُ مَن في السَّماواتِ ومن في الأرضِ، حتَّى الحيتانِ في الماءِ، وفضلَ العالِمِ على العابدِ كفَضلِ القمرِ على سائرِ الكواكبِ، وإنَّ العُلَماءَ ورثةُ الأنبياءِ إنَّ الأنبياءَ لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا إنَّما ورَّثوا العلمَ فمَن أخذَهُ أخذَ بحظٍّ وافرٍ"[1].

6-3- دو افع أخرى:

هي دوافع مختلفة قد تكون ضرورية حفاظا على الدّين، أو عن العلم من الاندثار نتيجة ظروف قاسية؛ كالسياسة الاستدمارية الفرنسية في الجزائر(1830-1962)، وهو ما دفع بالعلماء ورجال الدين وأبناء الشعب الجزائري إلى الهجرة مشرقا ومغربا.[2]

4- أهداف الرحلة:

كثير من الرحلات دوّنت، في أوقات الراحة أثناء السفر، وإما بعد الرجوع من السفر. والتي حملت الكثير من الأخبار والمشاهد ووصف الأقاليم والتعليقات[3] في مختلف المجالات الجغرافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ومنها من ركزت على جوانب علمية بحتة، وقد كان للرحَّالة عدة أهداف من وراء هذه الرحلة وتتمثل في:

- **دينية:** لزيارة الأماكن المقدسة وأقطاب الصوفية؛

- **اقتصادية:** لكسب المال ولاكتشاف أقاليم اقتصادية؛ فيتحدثون عن الزراعة والصناعة، وأسواق التجارة[4]؛

---

[1]- الترغيب والترهيب، الراوي : أبو الدرداء . المحدث : المنذري. ص. 73. رقم 1/73 . التخريج: أخرجه أبو داود (3641)، والترمذي (2682)، وابن ماجه (223)، وأحمد (21715) باختلاف يسير. وينظر كذلك متن الحديث الوارد تحت رقم 6803، مسلم ابن الحجاج، صحيح مسلم.

[2]- أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر الثقافي**، ج. 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط. 2، 1990، ص ص. 169-178.

[3]- قحطان بيرقدار، **أدب الرحلات**، تاريخ النشر: 2009/9/29م-1430/10/9هـ، تاريخ الزيارة 02/12/ 2022على الساعة 21:00. متاح على الرابط:
https://www.alukah.net/literature_language.

[4]- **نفسه**.



- **سياسية:** وتتمثل في التحكم في: الأقاليم التابعة للدول؛ وحفظ العلاقات مع المناطق المجاورة؛ وسياسة الشعوب.

- **ثقافية:** وتتمثل في:

- الحصول على الإجازات؛
- نيل العلم؛
- التعرف على ثقافات الشعوب من عادات وتقاليد؛

- **سياحية:** لإشباع رغبة النفس في السفر والتنزه والاكتشاف[1].

5- أنواع الرحلات:

تعددت الرحلات حسب الغرض من الانتقال والارتحال، وسنركز على الجانب العلمي لارتباطه بموضوع اليوم الدراسي.

5-1- الرحلة الحجازيه (الحجيه):

رغم أنها لأداء فريضة الحج وامتثالا لأوامر الله عز وجل؛ غير أنّها تعدّ أهمّ وسيلة من وسائل طلب العلم، سواء كانت هذه الرحلة فردية أم جماعية؛ وأقصد بالجماعية ركب الحج فما المقصود بركب الحج؟

ركب الحج: هو عبارة عن قافلة تضمّ الحجيج يشرف عليهم أمير الركب؛ وهو المكلف بتنظيم الركب وسيره في شتى مجالات الرحلة من مؤونه وتنقل وقضاء... وهذا الأخير؛ أي أمير الركب يشترط أن يكون من العلماء أو من البيوتات العالمة؛ لأنه سيمثل بلد الوفد الذي سيحل في عديد المناطق والبلدان، فهو يمثل صورة البلد وسيلتقي بأمراء وملوك ذلك البلد وأهل العلم وسيحقق الإفادة والاستفادة، فيلتقي بالعلماء وطلبة العلم، وينال الإجازات وهو بدوره يقدم إجازات بل وتطرح عليه مسائل فقهية أو نوازل فقهية وهي من مميزات ركب الحج، ومن الأمثلة

---

[1]- الشريف الإدرسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، الرباط، 2002، ص ص. 113-114.

الجزائرية ابن الفكون (1580- 1662) والورثيلاني (1125-1193هـ) ورحلته تعرف ب"نزهه الأنظار في علم التاريخ والأخبار"[1].

2-5- الرحلة الفهرسية(البرنامج):

وهي رحلة علمية بامتياز فالراحل لا يكاد يتحدث عن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للبلد، وإنما يتحدث عن الجانب العلمي؛ فيصف حلقات الدرس، ويعرّف بمن لقيهم من العلماء والمشايخ وإنتاجهم العلمي ومراكز المخطوطات والتلاميذ الذين عاصروه في هذه الحلقات، والإجازات التي تحصل عليها أو عرف بها عالم لقيه صدفه أو ذهب إليه عنوة ما هي تضم التعريف بالأعلام ومجالات علومهم وأبحاثهم وإنتاجهم العلمي والفكري، ونأخذ مثالا على ذلك رحلة أبي سالم العياشي (1628-1679) المعروفة بماء الموائد[2].

6- خاتمة:

ومن خلال هذا المقال نخلص إلى النتائج الآتية:

- تعد الرحلة المخطوطة أو المطبوعة مصدرا من مصادر قراءة الوقائع الاجتماعية والأحداث التاريخية؛ وتفسير شتى المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لمكان المرتحل إليه.

- للرحلة عدة دوافع دينية وثقافية واقتصادية واجتماعية وسياسية، تتحكم في تعدادها (فردية أو جماعية)؛ الذي يحاول من خلالها الفرد أو الجماعة تحقيق الاستقرار النفسي وتلبية حاجياته المختلفة.

---

[1]- أحمد بوسعيد، **ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني(1518-1830)، دراسة تاريخية واجتماعية من خلال الرحلات الحجازية**، دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية، أدرار، 2017-2018، ص. 23-75.

[2]- عبد الله مرابط الترغي، **الرحلة الفهرسية نموذج للتواصل داخل العالم الإسلامي، رحلة أبي سالم العياشي "ماء الموائد" نموذجا**، كلية الآداب، تطوان، د. ت، تاريخ الزيارة 2023/02/15، على الساعة 21:00، متاح على الرابط:

https://www.scribd.com/doc.

- الرحلات الدينية؛ كالرحلة الحجازية الحجية، لم تكتف بزيارة المقدسات وتحقيق الواجب الديني، بل كانت ملتقى علمي يتم فيه تحصيل العلوم والإجازات وإثراء النقاش الفكري بين أهل المغرب والمشرق.

- الهجرة في طلب العلم، أو ما يعرف بالرحلة الفهرسية (البرنامج) كانت ضرورة ملحة لطلبة العلم، ونتج عنها التعريف بالإنتاج الفكري والثقافي بين البلدان؛ من كتب ومشايخ وحواضر العلم ومراكز الملتقيات العلمية.

- الرحلة تربط الشعوب والمجتمعات بجسور التواصل العلمي والاقتصادي والاجتماعي؛ مما ينعكس إيجابا في تحقيق السنن الكونية للتعايش الإنساني.

- للرحلة قيمة في ذاتها تنعكس على الرحالة، وقيمة عند تقييدها وخطها؛ فتنعكس على المتلقي(القارئ والمحقق والدارس..)، فيستفيد منها، لذلك تتحقق استفادة الأجيال اللاحقة في تدوين تلك الرحلات.

- تبادل الانتاج الفكري والثقافي(شراء، هدايا..) من مؤلفات (مخطوطات وروايات..) بين المشرق والمغرب؛ مما انعكس ايجابا في بلورة الحياة الثقافية بين البلدان؛ وأسهم في حركة طلبة العلم إلى المراكز العلمية في تلك البلدان؛ لنيل العلم وأخذ الإجازات.

7- قائمة المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم مصحف المدينة، رواية حفص، النشر الحاسوبي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الإصدار 2،1.

* صحاح الحديث النبوي الشريف.

- المؤلفات:

- ابن منظور محمد، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، 1995م.
- الإدرسي الشريف، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، الرباط، 2002.
- الخطيب محب الدين، **رحلة محمد بن إدريس الشافعي**، المطبعة السلفية، القاهرة، 1350هـ.
- أنساعد سميرة، **الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009.
- بن هادية علي، **القاموس الجديد للطلاب**، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط. 7، الجزائر.
- الرازي محمد بن أبي بكر عبد القادر، **مختار الصحاح**، "باب الراء"، تح. محمد حسن عبد الرحمان ورمضان عبد المطلب، دار الأندلس الجديدة، مصر، 2009.
- سعد الله أبو القاسم، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر الثقافي**، ج. 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط. 2، 1990.
- الشامي صلاح الدين علي، **الرحلة عين الجغرافيا المبصرة**.
- شمس الدين المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط. 3، 1991.
- الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1999م.
- قنديل فؤاد، **أدب الرحلة في التراث العربي**، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط. 2، 2002.
- كراتشكوفسكي أغناطيوس يوليانوفيتس، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، تر. صلاح الدين عثمان هاشم، ،د. نا، 1957م.
- مصطفى الغاشي، **الرحلة المغاربية والشرق العثماني (محاولة بناء صور الانتشار العربي)**، المغرب، 2015.
- الموافي عبد الرزاق، **الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن 4هـ**، دار النشر للجامعات

المصرية، 1995.

- **الأطروحات**:

- بوسعيد أحمد، **ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني(1518-1830) دراسة تاريخية واجتماعية من خلال الرحلات الحجازية**، دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية، أدرار، 2017-2018،

- **المقالات:**

- جديد صالح، "أدب الرحلة جسر للتواصل الحضاري والتعدد الثقافي. قراءة في رحلات القدامى والمحدثين"، **مجلة مقاربات**، ع. 28، جانفي 2016، جامعة زيان عاشور بالجلفة.

- **المواقع الالكترونية:**

- إسلام ويب، "أول من سن رحلتي الشتاء والصيف"، تاريخ النشر: 18محرم 1427هـ/16-02-2006م. متاح على الرابط:https://www.islamweb.net/ar/fatwa/71767.

- بيرقدار قحطان، "أدب الرحلات"، تاريخ النشر: 2009/9/29م- 1430/10/9هـ. متاح على الرابط: https://www.alukah.net/literature_language

- الترغي عبد الله مرابط، "الرحلة الفهرسية نموذج للتواصل داخل العالم الإسلامي رحلة أبي سالم العياشي "ماء الموائد" نموذجا"، كلية الآداب -تطوان-، دون تاريخ النشر، متاح على الرابط: https://www.scribd.com/doc.

الرحلة الزيتونية للمقرئ علي بيكة القماري وآثارها الثقافية على المجتمع السُوفي والبسكري

The Olive Journey of the reciter Ali Beka Al-Qamari
And its cultural effects on the Soviet and Biskari society

د. مختار قديري

مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي (الجزائر)
Guediri-mokhtar@univ-eloued.dz



ملخص:

يتضمن هذا البحث الموسوم بـ: "الرحلة الزيتونية للمقرئ علي بيكة القماري وآثارها على المجتمع السوفي والبسكري" كشف اللثام عن علم من أعلام القراءات في ستينيات القرن الماضي، وذلك من خلال التعريف به وبيان أثر رحلاته الزيتونية في تنشيط الحركة العلمية في مجتمعي وادي سوف وبسكرة، والإشكال الذي يطرحه البحث: ما انعكاسات الرحلة الزيتونية للشيخ المقرئ علي بيكة القماري على الحركة العلمية والثقافية في المجتمع السوفي والبسكري؟

وللإجابة عن هذا الإشكال قمت بتقسيم البحث إلى ثلاثة محاور؛ تناولت في المحور الأول التعريف بالشيخ المقرئ علي بيكة، وفي المحور الثاني بيان رحلات السوافة إلى جامع الزيتونة الأعظم، والمحور الأخير خصصته لدراسة انعكاسات الرحلة الزيتونية للشيخ المقرئ علي بيكة على المجتمع السوفي والمجتمع البسكري.

ومن أهم النتائج التي خلصت إليها هذه الدراسة: الشيخ علي بيكة ساهم رفقة المخلصين من خريجي جامع الزيتونة، في مسيرة البناء والتشييد لقطاعي التربية والشؤون الدينية غداة الاستقلال، من خلال المساهمة الفعالة في المحافظة على الهوية الثقافية للمجتمع السوفي والبسكري.

الكلمات المفتاحية: الرحلة العلمية؛ جامع الزيتونة؛ علي بيكة؛ آثارها الثقافية؛ المجتمع السوافي والبسكري

***Abstract**:*

This research, titled: “The Olive Journey of the Reciter Ali Beka Al-Qamari and its Effects on the Sufi and Biskra Society,” includes revealing the veil on one of the giants of the readings in the sixties of the last century, by introducing him and showing the impact of his olive journeys in revitalizing the scientific movement in the communities of Wadi Souf and Biskra, And the problem raised by the researcher in this article

In order to answer this problem, I divided the research into three axes. In the first axis, I dealt with introducing the sheikh to the reciter Ali Beika, and in the second axis, an explanation of Al-Sawafa’s journeys to the Great Zaytouna Mosque, and the last axis I devoted to studying the reflections of the Zaytouni journey of the reciter Ali Beika on the Sufi and Baskari society.

One of the most important results of this study is that Sheikh Ali Beikah, along with the loyal graduates of Al-Zaytouna Mosque, contributed to the process of building and construction of the education and religious affairs sectors in the wake of independence, through an effective contribution to preserving the cultural identity.

***Keywords:** cientific trip; Al-Zaytouna Mosque; Ali Beka; its cultural effects; Al-Suwafa and Al-Baskra society.*

1- مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فقد كان للرحلات العلمية الزيتونية في منطقة واد سوف أثر كبير في نشر العلم ومحاربة الجهل، ومقاومة المستعمر، وإبطال سياساته الرامية لطمس الهوية، ومن خلال هذا البحث أردت التعريف بأحد عمالقة القراءات في ستينيات القرن الماضي الشيخ المقرئ علي بيكة القماري المجاز في القراءات العشر من جامع الزيتونة.

وما دفعني للكتابة في هذا الموضوع -إضافة إلى رغبتي في المشاركة في هذا اليوم الدراسي- هو جهل الكثيرين من سكان وادي سوف بهذه القامة العلمية، وبإسهاماته في التعليم القرآني والنظامي والإمامة والتكوين، فعقدت العزم على التعريف به وبرحلته الزيتونية وبيان انعكاساتها العلمية والتربوية والثقافية على

المجتمع السوفي والبسكري إبان الحقبة الاستعمارية، وغداة الاستقلال.

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج التاريخي الوصفي، وذلك من خلال رصد المحطات المهمة في حياة الشيخ علي بيكة ورصد أهم محطات رحلته إلى جامع الزيتونة العامر، وإبراز دورها التعليمي والتربوي والثقافي على مجتمع وادي سوف وبسكرة.

الخطة:

تناول هذا البحث مقدمة وثلاثة محاور وخاتمة، وهي مفصلة كالآتي:

- التعريف بالشيخ المقرئ علي بيكة.

- رحلات السوافة العلمية إلى جامع الزيتونة.

- إسهامات الرحلة العلمية الزيتونية للشيخ علي بيكة على المجتمع السوفي والبسكري علميا وثقافيا.

2- التعريف بالشيخ المقرئ علي بيكة:

يتضمن هذا المحور التعريف بالشيخ المقرئ علي بيكة، وذلك ببيان اسمه ونسبه، مولده ونشأته، شيوخه، وأخيرا بيان تعلّق الشيخ بالقرآن الكريم منذ نعومة أظافره.

2-1- اسمه، ونشأته:

هو علي بيكة بن محمد بن صالح بن محمد العماري القماري[1]. ولد سنة 1930م بحاضرة قمار في أسرة محافظة، مات والده وعمره لا يتجاوز أربع سنوات، فبدأ بطلب العلم منذ نعومة أظافره بمسقط رأسه، فأخذ القرآن الكريم وقواعد اللغة العربية على سي عبد الغني بن الحاج العماري وسي الطاهر بن الأزعر، وعند بلوغه 13 سنة من عمره سافر إلى تونس ليكمل تعليمه، فقرأ القرآن على الشيخ

1- شهادة الميلاد، رقم: 1527.

سي أحمد حوري ثم على الشيخ عبد الجواد البنغازي مراجع المصاحف المعروف.

وفي سنة 1950م رجع الشيخ إلى مسقط رأسه قمار، ومكث فيها سنتين ثم عاد إلى تونس مرة أخرى ليلتحق بجامع الزيتونة، ودرس السنة الأولى بجامع يوسف صاحب الطابع المشهور بجامع الحلفاوين (فرع الطابعي)، ثم انتقل بعدها إلى السنة الثانية، حيث درس بالجامع الحفصي بالقصبة (فرع الحفصي)، والسنة الثالثة درسها بالجامع اليوسفي بوسط المدينة (فرع اليوسفي)، والسنة الرابعة في جامع بن عروس (فرع المرادي) الذي رسب فيه سنتين، وكل هذه المساجد التي درس فيها الشيخ هي فروع للجامع الأعظم، يتمدرس فيها الطالب قبل الوصول إلى جامع الزيتونة بهدف نيل أعلى درجات التحصيل العلمي، ثم واصل دراسته في السنة الخامسة بالفرع الزيتوني مكتب بن عبد الله.

خلال هذه الفترة راودت الشيخ فكرة زيارة بيت الله الحرام، وكان في نيته المرور بمصر والالتحاق بجامع الأزهر لأخذ القراءات على خيرة علماء الأزهر، فبدأ رحلته بالسفر إلى ليبيا؛ إلا أن الشيخ اعترضته عدة عوائق حالت دون إكماله رحلته العلمية، وعاد إلى تونس بعد ما مكث في ليبيا قرابة 19 يوما[1].

في سنة 1954 شارك الشيخ في امتحان الأهلية ونجح فيها في دورة ديسمبر 1954، وتحصل على شهادة الأهلية في 08 أكتوبر 1955م[2]؛ إلا أن بعض العوائق المادية حالت بينه وبين مواصلة الدراسة؛ كغلاء المعيشة وارتفاع ثمن الكتب.... التي أجبرت الشيخ على التوقف عن التعليم العام واللحاق بجامع الزيتونة تخصص القراءات، فقرأ على خيرة قراء جامع الزيتونة؛ كالشيخ علي البلطي، والشيخ عثمان العياري، وشارك الشيح في دورة جوان 1962م، وتخرج بشهادة

---

[1]- مقابلة شخصية مع الشيخ علي بيكة، بجوار منزله الكائن بحي الشهداء بلدية قمار، يوم الخميس 02 مارس 2023، بعد صلاة العصر من 16:30 إلى 18:00.

[2]- يُنظر: شهادة الأهلية للتلميذ بيكة علي من مشيخة الجامع الأعظم بتونس تحت رقم: 52 بتاريخ: 1955/10/08م.

التحصيل في القراءات بتاريخ 13 جويلية 1962م[1] بالفرع الزيتوني سيدي قاسم. بعد حصوله على شهادة التحصيل.

سافر الشيخ إلى مدينة عنابة ليبدأ حياته المهنية بالعمل في إحدى مساجد عنابة إماما وخطيبا ومعلما للقرآن الكريم متطوعا مقابل مبلغ رمزي، فمكث قرابة 14 شهرا، ليعود إلى تونس معلما للقرآن الكريم بأحد مساجد الجبل الأحمر غرب تونس العاصمة.

وفي سنة 1971م، عاد الشيخ إلى بلده الجزائر ليبدأ في العطاء، فالتحق بالتعليم النظامي في قطاع التربية ومكث فيه قرابة 8 سنوات معلما ببعض مدارس بسكرة، ثم توجه إلى قطاع الشؤون الدينية أين عُيّن من طرف وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية بولاية الأوراس إماما بمسجد التجانية ببسكرة (مسجد بكار حاليا) ابتداء من الفاتح سبتمبر 1972م[2]، ثم تمّ تحويله إلى مسجد حي النور ببسكرة، بتاريخ 15 نوفمبر 1979م[3]،

وفي الفاتح من شهر جوان 1981م تمّ نقل الشيخ من مسجد حي النور إلى مسجد حي الشهداء بمسقط رأسه قمار، ليواصل رسالته العلمية والإصلاحية، وبقي الشيخ على هذه الحالة حتى إحالته على التقاعد في الفاتح من شهر ماي 1999م[4] بعد سنوات قضاها في البذل والعطاء بين بسكرة والوادي[5].

1- يُنظر: شهادة التحصيل في القراءات للتلميذ بيكة علي من مشيخة الجامع الأعظم بتونس بتاريخ: 13 جويليلة 1962م.

2- بموجب قرار التنصيب الصادر من وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية لولاية الأوراس رقم: 2754 بتاريخ: 1 سبتمبر 1972 م.

3- بموجب قرار التنصيب الصادر من وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية لولاية الأوراس رقم: 4633 بتاريخ: 15 نوفمبر 1979م

4- تم إحالة الشيخ على التقاعد بموجب المقرر رقم 36 الصادر من إدارة الشؤون والأوقاف لولاية الوادي بتاريخ: 04 أفريل 1999م.

5- مقابلة شخصية مع الشيخ علي بيكة، **مصدر سابق.**

2-2- شيوخه:

حفظ الشيخ القرآن الكريم وتتلمذ على عدد كبير من الشيوخ والقراء الأجلاء داخل الوطن وخارجه، نذكر منهم:

أ- شيوخه بقمار:

- **عبد الغني بن الحاج العماري**: هو الشيخ عبد الغني بن أحمد بن خليفة بن عبد الله العماري، من مواليد سنة 1887م بقمار، حفظ القرآن ومبادئ العلوم بمسقط رأسه، ثم تولى التعليم بعدد من مساجد البلدة خاصة مسجد العمامرة الذي كان قائما فيه بالإمامة والحزب الراتب، وإحياء المناسبات والأعياد الدينية والوطنية، واستمر على ذلك إلى أن توفاه الله سنة 1945م، ودُفن بمسقط رأسه بالقرب من قبر والده بمقبرة قمار[1].
- **الطاهر بن الأزعر**: هو الشيخ الطاهر بن الأزعر بن إبراهيم، من مواليد سنة 1934م بقمار، حفظ القرآن الكريم واللغة العربية والفقه في مساجد البلدة على يد الشيخ سي الطاهر تلحيق ثم رحل الشيخ إلى تونس سنة 1945م ليلتحق بجامع الزيتونة ويتخرج منه بشهادة التحصيل سنة 1952م، وبعد رجوعه انضم إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعمل كمدرس بمدارسها، وبعد الاستقلال عمل مديرا بمتوسطة البشير الإبراهيمي، إلى أن وافته المنية إثر حادث مرور سنة 1978م[2].
- **محمد زغودة**: هو الشيخ محمد بن إبراهيم زغودة، ولد بقمار خلال 1884م، حفظ القرآن على يد والده سي إبراهيم زغودة الطالب المعروف الذي وضع أُسس تعليم القرآن الكريم ببلدة قمار، مارس الشيخ مهنة التعليم القرآني بمساجد البلدة؛ كمسجد العلامة أحمد دغمان، ومسجد سيدي عبد الرحمن، وتخرج على يديه عدد كبير من الحفظة ومعلمي القرآن، وبقي على ذلك إلى أن وافته المنية سنة

1- التجاني عقون، **أعلام من قمار**، مطبعة سخري، الجزائر، 2013، ص ص. 404-405.

2- التجاني عقون، **مرجع سابق**، ص. 151.

1967م[1].

- **بلقاسم حوري**: هو الشيخ بلقاسم بن الطاهر حوري، بدأ حياته بحفظ القرآن الكريم بمسجد الزاوية التجانية بقمار على يد الشيخ إبراهيم زغودة، وأخذ مبادئ العلوم الأخرى؛ كالرسم واللغة العربية من العلماء الوافدين على الزاوية التجانية.

تولى الشيخ تعليم القرآن الكريم في عدد من مساجد البلدة؛ كمسجد الزاوية التجانية، ومسجد سيدي إبراهيم الذي تولى الإمامة به إلى أن وافته المنية سنة 1984م ودفن بمقبرة قمار[2].

ب- شيوخه بجامع الزيتونة:

تتلمذ الشيخ على خيرة علماء وقراء جامع الزيتونة الأجلاء نذكر منهم:

- **عثمان العيّاري**: هو الشيخ عثمان بن بلقاسم بن العربي العيّاري، شيخ القراء بلا منازع في وقته، ولد بالقيروان في 24 ديسمبر 1924م، تتلمذ على علماء القيروان، نذكر منهم: المقرئ الهادي بن محمود الغزّيّ. دخل الزيتونة وتخرج منها بشهادة التطويع والتحصيل في القراءات، ثم العالمية في الأدب سنة 1948م، من مشايخه: عبد الجواد البنغازي، تولى التدريس بجامع الزيتونة، وتخرج على يديه أغلب قرّاء تونس اليوم؛ منهم الدكتور عبد الرحمان الحفيان. توفي رحمه الله يوم 28 سبتمبر 1998م، ودفن في مدينة القيروان[3].
- **عبد الجواد البنغازي**: هو الشيخ المقرئ المتقن عبد الجواد بن بلقاسم بن مبروك القطراني البنغازي التونسيّ، أحد كبار شيوخ الإقراء بجامع الزيتونة المعمور، ولد يوم 10مارس 1897م بمدينة بنغازي الليبية، أخذ القراءات على الشيخ إبراهيم المارغني، درّس لسنوات في الجامع الأعظم وفروعه منذ 24جانفي 1951م، أشرف على طباعة مصحف مكتبة المنار المتداول في تونس برواية ورش،

---

[1]- **السابق**، ص ص. 369-370.

[2]- **نفسه**، ص. 197.

[3]- الهادي روشو، **طبقات القراء والمقرئين بإفريقية وتونس**، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 2018م، ص ص. 237-239.

وتتلمذ على يديه عدد كبير من قراء تونس الأجلاء؛ نذكر منهم: الشيخ الخطوي دغمان، والشيخ عبد الرحمن ظريف، توفي رحمه الله سنة 1958م[1].

- **عبد الرحمن ظريف**: هو عبد الرحمن بن الطاهر الظّريّف، شيخ القراءات بجامع الزيتونة المعمور، ولد بمجاز في 13جوان 1911م، حفظ القرآن الكريم وأتقن القراءات السبع والعشر على يد الشيخ عبد الجواد البنغازي، وتحصل على العالميّة سنة 1936م. حفظ على يديه القرآن الكريم عدد كبير من أبناء تونس، نذكر منهم: الشيخ المختار خلفة، توفي يوم 18 ماي 1999م ودفن بمقبرة سيدي يحيى بالعمران[2].
- **علي البلطي**: ذكره الشيخ من ضمن شيوخه في القراءات بجامع الزيتونة العامر، لكنني لم أعثر له على ترجمة.
- **علي التريكي**: هو الشيخ المقرئ عليّ بن محمد بن المختار التريكي، أحد أعلام القراءات في عصره، أخذ القراءات على كبار قراء الزيتونة الأجلاء، كالشيخ عمّار بن صميدة، تحصل على شهادة العالميّة في القراءات من جامع الزيتونة سنة 1936م، تولّى التدريس بالكليّة الزيتونيّة للشريعة وأصول الدين، وتولّى عضوية اللجان العلمية لمناظرة التدريس في القراءات في الجامع الأعظم، وعضوية لجنة إصلاح التعليم الزيتوني، كما تولى لجنة تصحيح ومراجعة المصاحف. من أشهر تلاميذه في القراءات: الشيخ عبد العزيز الشّاوش الصّقاليّ التّميمي النّابلي، توفي الشيخ رحمه الله يوم الاثنين 17 سبتمبر 1962م[3].

2-3- تعلّق الشيخ علي بيكة بالقرآن الكريم:

حَرِص الشيخ على حفظ القرآن الكريم منذ نعومة أظافره، فبدأ حفظه للقرآن على الشيخ سي عبد الغني بن الحاج، فحفظ عنه من سورة الناس إلى سورة الممتحنة، وبعد وفاته أكمل حفظه على الشيخ سي الطاهر بن الأزهر ووصل معه

1- **السابق**، ص. 440.

2- **المرجع نفسه**، ص ص. 441-442.

3- **نفسه**، ص ص. 452-453.

إلى سورة الإسراء، وبعد التحاق الشيخ الطاهر بجامع الزيتونة اضطر الشيخ للبحث عن شيخ آخر، ففكر في الرحلة إلى تونس، حيث التحق بحلقات الشيخ محمد زغودة القماري الذي كانت له حلقة لتحفيظ القرآن الكريم متطوعا بين المغرب والعشاء في أحد مساجد تونس العاصمة، فأكمل عنده القرآن الكريم من سورة الإسراء إلى سورة البقرة.

ومن عناية الشيخ بالقرآن الكريم حفظه لعدد من المتون في التجويد والقراءات؛ كمنظومة تحفة الأطفال والجزرية والشاطبية ... وقد كان من حين إلى آخر يستشهد بهذه المنظومات في كلامه.

ومما جلب انتباهي خلال الجلسات التي جمعتني بالشيخ تعلقه الكبير بكتاب الله، فلقد أخبرني أنه يقرأ في كل يوم 10 أجزاء؛ 5 أجزاء في الصباح و5 أجزاء في المساء عن ظهر الغيب وهو في هذه السن المتقدمة، كما أنه دائم الاستماع لكتاب الله، عن طريق إذاعة الجزائر من الوادي، وأخبرني أنه الآن يسمع في كل يوم في منتصف الليل لختمة المقرئ محمد بن إبراهيم برواية ورش الذي وصل إلى سورة الأعراف، والشيخ أُعجب كثيرا بقراءته ووصفه بأنه يُضاهي عمالقة الإقراء في الأزهر؛ كالشيخ محمد رفعت.

والشيخ منذ ختمه لكتاب الله وهو يؤم الناس في صلاة التراويح في المساجد داخل الوطن وخارجه حتى إحالته على التقاعد سنة 1999م لمدة تجاوزت 65 سنة[1]، وقد كان الشيخ حسن الصوت بالقرآن الكريم - كما نُقل لي ممن سمع قراءته- لدرجة أن المساجد كانت تتنافس للظفر به في صلاة التراويح.

3- رحلات السوافة العلمية إلى جامع الزيتونة:

شهدت الفترة الاستعمارية التي مرت بها الجزائر رحلات علميه للعلماء وطلبة العلم لعدد من الحواضر والمراكز العلمية، ومن الحواضر التي اهتم علماء وطلبة

---

[1]- مقابلة شخصية مع الشيخ علي بيكة، **مصدر سابق**.

وادي سوف الرحلة إليها جامع الزيتونة العامر بتونس، وذلك قصد مواصلة مسيرة الطلب، والحصول على الشهادات العليا؛ كشهادة التحصيل والعالمية، وقد كان لهذه الرحلات الأثر الكبير في النهضة العلمية والثقافية في وادي سوف والجزائر.

2-1- دو افع الرحلات العلمية السوفية إلى جامع الزيتونة:

هناك عدّة أسباب دفعت بالأسر الجزائرية لإرسال أولادهم إلى الجامع الأعظم بالزيتونة، أو أحد فروعه لإكمال المسيرة التعليمية على خيرة علماء تونس الأجلاء، والحصول على أعلى الشهادات العلمية، ومن أهم هذه الدوافع:

- الرغبة في طلب العلم والحصول على أعلى الشهادات العلمية التي كان يقدمها جامع الزيتونة؛ كشهادة التحصيل، والشهادة العالمية.

- القرب الجغرافي لجامع الزيتونة العامر، بالنسبة لمنطقة وادي سوف مقارنة بالحواضر العلمية الأخرى؛ كالأزهر بمصر، والقرويين بالمغرب..[1].

- لقد كان الدافع وراء هجرة عدد كبير من الشباب الجزائري إلى الدراسة في تونس، هو الهروب من سياسة التجنيد الإجباري في الخدمة العسكرية التي فرضها المستعمر، خاصة بعد صدور فتاوى تُحرم الانضمام إلى جيش الاستعمار الفرنسي؛ كفتوى الشيخ عبد الحليم بن سماية سنة 1912م، وفتوى الشيخ عبد الحميد بن باديس سنة 1939م[2].

- الأوضاع السياسية الصعبة التي تعيشها المنطقة، بسبب القوانين الاستثنائية المطبقة على الأهالي من إدارة المستعمِر، دفعت العديد من العلماء والطلبة والأسر الجزائرية للهجرة إلى تونس.

- كان للرحلة العلمية للشيخ عبد الحميد بن باديس إلى جامع الزيتونة سنة

---

[1]- محمد الصالح الجابري، **النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962**، دار الحكمة للنشر، الجزائر، الطبعة الثانية، 2007م، ص. 25.

[2]- خير الدين شترة، **الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900-1956**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص ص. 873-874.

1905م، الأثر الكبير في قلوب الجزائريين وطلبة العلم، وكانت بمثابة الجسر الذي مرت عليه كل الرحلات الطلابية إلى جامع الزيتونة[1].

- كذلك كان للزّيارة التاريخية لوفد جمعية العلماء المسلمين برئاسة العلامة عبد الحميد بن باديس إلى وادي سوف سنة 1937م، الأثر الكبير في نفوس الطلبة، الذين تأثروا بها؛ حيث التحق بعد هذه الزيارة عدد كبير من الطلبة بجامع الزيتونة[2]، نذكر منهم على سبيل المثال: الشيخ إبراهيم كلكامي، الشيخ الطاهر مصباحي.

- وقد كان لزيارة بعض علماء تونس الأجلاء إلى وادي سوف، أثر كبير في تنشيط الرحلات العلمية إلى جامع الزيتونة؛ كزيارة الشيخ المكي بن عزوز إلى وادي سوف.

- ومن أهم الأسباب كذلك، عزوف الأسر السوفية عن إلحاق أبنائهم بالمدارس الفرنسية، لما يرون فيها من انحرافات في المنهج التعليمي والعقدي المقرر على الطلبة، فكانت الأسر تُوجه أبنائها بعد حفظ القرآن الكريم ومبادئ العلوم في المدارس والكتاتيب القرآنية إلى جامع الزيتونة.

2-3- مراحل التعليم و أنواعها:

تشمل مراحل التعليم القرآني في جامع الزيتونة العامر -حسب التنظيم الجديد للتعليم الزيتوني الصادر في سبتمبر 1912م- على ثلاثة أطوار، ينبغي للطالب أن يتجاوزها حتى يحصل على شهادة العالمية، وهذه المراحل هي:

شهادة الأهلية: وهي بمثابة التعليم الابتدائي يحصل عليها الطالب بعد أربع سنوات، يدرس الطالب خلالها المقررات الآتية:

العقيدة (التوحيد)، وتلاوة القرآن، الحديث النبوي، الميراث، التربية الخلقية، النحو، الصرف، البناء اللغوي، البلاغة، الأدب، الكتابة (إنشاء)، الإملاء الحساب،

---

[1]- إبراهيم شويخ، **الرحلات العلمية و أثرها في الحياة الثقافية بمنطقة وادي سوف**، مذكرة ماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، 2017-2018، ص ص. 23-26.

[2]- أبو القاسم سعد الله، **منطلقات فكرية**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 2005م، ص. 44.

الهندسة، التاريخ والجغرافيا، النظافة، والفقه.

شهادة التحصيل (التطويع): وهي بمثابة التعليم الثانوي ينالها الطالب بعد ثلاث سنوات، حيث يدرس الطالب في هذه المرحلة المقررات الآتية: العقيدة (التوحيد) - الحديث– الميراث -السيرة النبوية – النحو -البلاغة-العروض-علم مفردات اللغة – الأدب -المنطق -فن الجدل -التاريخ العام -الحساب -علم الفلك – الفقه– الهندسة -الثقافة العامة-اللغة الفرنسية-التربية-الفلسفة-وعلم النفس.

شهادة العالمية: وهي بمثابة التعليم العالي، يتحصل عليها الطالب بعد إتمامه ثلاث سنوات من التحصيل، والمقررات التي يدرسها خلال هذه المرحلة كالآتي:

التفسير، علم التربية، الحديث، العقيدة، المنهجية القانونية، التشريع، الأحكام الشرعية، النحو، البلاغة، علم مفردات اللغة، الأدب، التاريخ.

وفي أفريل 1933م تم تطوير برنامج التعليم الزيتوني مرة أخرى، حيث تم تغيير تسمية شهادة التطويع بالتحصيل في العلوم[1].

3-3- ظروف الإقامة وأوضاع المعيشة بجامع الزيتونة:

كان أغلبية الطلبة الذين يدرسون في جامع الزيتونة من أوساط فقيرة، وكان يشقُّ على عائلاتهم التكفل بمصاريفهم طيلة مدة الدراسة، أضف إلى ذلك أن عددا منهم كان متزوجا مسؤولا على عائلته، فيتركها في بلده مضطرا، لعدم قدرته على تَحمُّل مصاريف السكن. لذلك فإن عددا كبيرا منهم يعملون بالليل ليضمنوا لقمة العيش، وفي نسخ الكتب والخياطة ... ونحوها من الأعمال التي لا يستلزم عملها بالنهار، حيث يتفرغون في ساعات النهار لتلقي الدروس، وفي غيرها من أماكن العمل بالحوانيت ونحوها.

وقد شهد بذلك الشيخ أحمد بن خوجه في رسالته التي وجهها للوزير: "إنّ كثيرا

---

[1]- عبد الكامل عطية، **نماذج من الرحلات العلمية للطلبة السو افة نحو القطر التونسي قبل اندلاع الثورة التحريرية 1954م**، الملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس، ص. 11.

من المشايخ المتطوعين وأعيان التلامذة بالجامع الأعظم همهم الفقر حتى أنّ أحدهم يبلغ به الأمر أحيانا أن لّا يقتدر على الجمع بين قوته وزيت ينظر عليه درسه، وكثير منهم ذو عيال فلابد من الالتفات إلى هؤلاء الضعفاء بقدر الاستطاعة"[1].

وقد أسرَّ لي الشيخ علي بيكة أن من الأسباب المباشرة التي حالت دون إكماله التعليم بجامع الزيتونة، وحصوله على شهادة العالمية هو ظروفه المعيشية الصعبة فقد كان يتيم الأب، وغلاء الكتب والمعيشة حالت دون ذلك، فاضطر للتوقف والاكتفاء بأخذ شهادة التحصيل في القراءات[2].

4- أثر رحلته العلمية على ساكنة سوف وبسكرة:

لقد كان للرحلات العلمية الزيتونية لطلبة وادي سوف أثر كبير في النهوض بالحياة العلمية والفكرية والثقافية للمجتمع البسكري والسوفي، ويظهر ذلك من خلال النقاط الآتية:

4-1- إسهامات الشيخ علي بيكة في الإمامة والتعليم الديني:

للشيخ علي مكانة كبيرة في المجتمع، فإضافة للمهام التي يقوم بها، من إمامة الناس في الصلوات الخمس والتراويح، كانت له مهام أخرى لا تقل أهمية على ما ذكرنا؛ كالوعظ والإرشاد، ودرس يوم الجمعة، والفتوى، ومحو الأمية، وعقد مجالس الصلح، وتقسيم الميراث، وإقامة عقود الزواج. والشيخ المقرئ علي بيكة يقوم بكل المهام الموكلة إليه بصفته إمام في عدد من المساجد داخل وخارج الوطن، بل كان يُكلّف من حين إلى آخر من طرف إدارة الشؤون الدينية بإلقاء المواعظ في مساجد الدائرة لتوعية الجماهير وتعليمهم أمور دينهم[3]. ومن المساجد التي كان ينشط بها الشيخ علي بيكة في الإمامة:

1- محمد العزيز بن عاشور، **جامع الزيتونة المعلم ورجاله**، دار سراس للنشر، تونس، 1991م، ص. 112.

2- مقابلة شخصية مع الشيخ علي بيكة، **مصدر سابق.**

3- مقابلة شخصية مع الشيخ علي بيكة.

أ- مسجد الجبل الأحمر بتونس:

بعد تخرج الشيخ علي بيكة من جامع الزيتونة بشهادة التحصيل في علم القراءات سنة 1962م، بدأ مسيرته في التعليم القرآني وإمامة الناس، فالتحق في الخمسينات بأحد المساجد بمنطقة الجبل الأحمر بتونس. وبدأ بتعليم الأطفال القرآن الكريم، واللغة العربية بين المغرب والعشاء، واستمر على ذلك قرابة الثلاثة عشر سنة، ووصل معهم حتى سورة الزخرف صعودا من سورة الناس.

ب- مسجد البسباس بعنابة:

رحل الشيخ من تونس إلى عنابة في زيارة إلى جدته، وأثناء تلك الفترة عُرض عليه إمامة الناس في الصلوات الخمس والتراويح بمسجد البسباس بعنابة كمتطوع مقابل مبلغ رمزي. وإلى جانب ذلك فإن الشيخ كانت له حلقة بين المغرب والعشاء خصصها لتعليم القرآن الكريم للأطفال وقواعد اللغة العربية[1].

ت- مسجدي بكار والنور ببسكرة:

بتاريخ الفاتح من سبتمبر 1972م انتُدب الشيخ علي بيكة من طرف وزارة الأوقاف ببسكرة للعمل إماما وخطيبا بمسجد التجانية (بكار حاليا) بوسط مدينة بسكرة، فكان الإمام الراتب في المسجد، ويصلي بهم صلاة التراويح في شهر رمضان، وأحيانا يَستخلِف الشيخ أحمد ميمون في خطبة الجمعة.

وفي 15 نوفمبر 1979م تم تحويل الشيخ علي بيكة من مسجد بكار إلى مسجد النور بوسط مدينة بسكرة، وأُسندت له بالإضافة إلى صلاة الخمس وصلاة التراويح في رمضان تعليم الأطفال الصغار القرآن الكريم وقواعد اللغة العربية[2].

ث- مسجد القرية (الشهداء) بقمار:

بعد رحلة الشيخ الطويلة في تونس وبسكرة، عاد إلى مسقط رأسه قمار، حيث

---

[1]- مقابلة شخصية مع الشيخ علي بيكة، **مصدر سابق**.

[2]- مقابلة شخصية مع الشيخ بكار عبد الرزاق، أحد مصلي مسجد بكار، يوم الثلاثاء 28 فيفري 2023، بعد صلاة العصر.

تمّ تعيينه إماما وخطيبا بمسجد حي الشهداء، في الفاتح من شهر جوان 1981م، ومكث به إلى غاية إحالته على التقاعد سنة 1999م.

2-4- إسهامات الشيخ علي بيكة في التعليم القرآني بالمساجد والكتاتيب:

كان الشيخ يتطوع في كل المساجد التي عمل بها -سواء في تونس أو عنابة أو بسكرة أو بمسقط رأسه قمار- لتعليم الأطفال القرآن الكريم ومبادئ اللغة والعربية والتدرب على التجويد ونطق الحروف، بالإضافة إلى إقامة حلقات الذكر والوعظ. وقد ذكر لي الشيخ أنه كان يُحفِّظ القرآن الكريم بطريقة الشيخ عبد العزيز الباوندي[1]، التي كانت منتشرة في الكتاتيب التونسية في سنوات الثلاثينات والأربعينيات من القرن الماضي[2]. حيث قام الشيخ عبد العزيز الباوندي ببعث لجان قرآنية هدفها تحفيظ القرآن الكريم بطريق الإملاء، وقام بتنشيطها عدد من طلاب الجامع الأعظم وقدماء الزيتونيين، واتخذت أسماء مختلفة بحسب المنطقة، مثل جمعية المحافظة على القرآن الكريم[3].

وتقوم هذه الطريقة حسب كلام الشيخ علي بيكة على تحفيظ القرآن بالإملاء، فكان الشيخ يقرأ الآية أو جزء منها، والطلبة يعيدون وراءه بصوت واحد، حتى ينتهي المقطع المقرر للحفظ وهكذا عدّة مرات، ثم يبدأ الطلبة بعد هذا التلقين الجيّد للّوح، بالقراءة الجماعية مع الشيخ للوح المقرر حتى يُحفظ، ثم يبدأ الطلبة في عرض اللوح على الشيخ واحدا تلو الآخر، وهكذا حتى نهاية السورة[4].

---

[1]- الباوندي: هو الشيخ عبد العزيز الباوندي، عالم من علماء الزيتونة وواعظ، ابتكر في الثلاثينات حركة واسعة النطاق لنشر تعليم القرآن الكريم في الجوامع والمساجد عن طريق الإملاء، توفي رحمه الله في سنة 1941م.

[2]- مقابلة شخصية مع الشيخ علي بيكة، **مصدر سابق.**

[3]- عبد اللطيف الهرماسي، **المجتمع والإسلام والنخب الإصلاحية في تونس والجزائر**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018م، دون ترقيم.

[4]- مقابلة شخصية مع الشيخ علي بيكة، **مصدر سابق.**

3-4- إسهامات الشيخ علي بيكة في تأطير وتكوين إطارات الشؤون الدينية لولايتي بسكرة والوادي:

ساهم الشيخ غداة الاستقلال في رحلة البناء والتشييد لقطاع وزارة الأوقاف، وهذا نظرا للكفاءة العلمية التي كان يتمتع بها في مجال القراءات، ومن ذلك:

أ- التكوين المستمر للأئمة ومعلمي القرآن بولايتي بسكرة والوادي:

أثناء فترة تواجد الشيخ بمسجد النور إماما وخطيبا، عُرض عليه من طرف وزارة الأوقاف ببسكرة التكفل بالتكوين المستمر للائمة والمؤذنين على مستوى ولاية بسكرة، بمعدل حصة أسبوعية من الساعة الثامنة إلى الساعة الثانية عشر، وقد قام الشيخ بهذه المهمة على أكمل وجه طيلة أربع سنوات، ومن المقررات التي كان يدرسها: شرح نظم الجزرية، شرح نظم الدرر اللوامع في أصل مقرإ الإمام نافع، دليل الحيران للشيخ إبراهيم المارغني. هذا بالإضافة إلى قيامه بضبط الأحكام التجويدية وتصحيح التلاوة.

والقراءة التي كان يعتمدها الشيخ في التكوين هي قراءة الإمام نافع براوييه قالون وورش؛ إلا أن الشيخ كان كثيرا ما يميل إلى الإقراء برواية الإمام قالون لكونها أسهل من حيث نقص المدود وتحقيق الهمز.

كما عُرض عليه مرة أخرى في سنة 1984م من طرف مدير الشؤون الدينية لولاية بسكرة آنذاك جمال الدين ميهوبي القيام بمهمة التكوين المستمر للأئمة ومعلمي القرآن الكريم لولاية الوادي، وذلك عن طريق تقديم دروس في أحكام التجويد والقراءات السبع[1].

ب- الإشراف على ندوات السّلك الديني:

كما ذكرنا سابقا فمؤهلات الشيخ علي بيكة، رشّحته بأن يكون ضمن المشرفين على إقامة الندوات الشهرية لإطارات السلك الديني لولاية بسكرة التي كانت تُقام

[1]- مراسلة مديرية الشؤون الدينية لولاية بسكرة، رقم: 1404 بتاريخ، 1984/05/23.

بالمسجد الكبير للولاية، وذلك أثناء إمامته بمسجد حي الشهداء[1].

4-4- إسهامات الشيخ علي بيكة في التعليم النظامي غداة الاستقلال:

كما هو معلوم فإن مسيرة البناء والتشييد لكل قطاعات الدولة بدأت غدة الاستقلال، بما في ذلك قطاع التعليم، حيث تم توقيف جميع المدارس العربية الحرة، وتعويضها بالمدارس العربية الرسمية، مما أحدث نقصا كبيرا في الأساتذة والكفاءات التنظيمية؛ لأن أن الدولة لم تكن لديها مناهج حديثة في تسيير المؤسسات والقطاعات، فاضطرت الوزارة للاستعانة بأساتذة من الدول العربية الشقيقة لتلبية كل متطلبات القطاع، إضافة إلى ضم الكثير من خريجي المعاهد الإسلامية وجامع الزيتونة.

وقد لبى الشيخ علي بيكة هذا الواجب الوطني رفقة المخلصين من أبناء هذا الوطن، باعتباره أحد خريجي جامع الزيتونة بشهادة التحصيل في القراءات، فالتحق بسلك التعليم الرسمي كمدرس في الابتدائي سنة 1964م، حيث اشتغل في مدرسة فم الخرزة بدائرة سيدي عقبة، ومدرسة فلياش بدائرة بسكرة، واستمر في هذه المهمة التربوية النبيلة إلى غاية سنة 1969م أين التحق بقطاع وزارة الأوقاف[2].

لقد ساهم الشيخ في هذه المرحلة الحرجة من تاريخ البلاد رفقة الطلبة المتخرجين من جامع الزيتونة والمعاهد الإسلامية الأخرى في النهوض بالنظام التعليمي الجديد، وكانت لهم البصمة الواضحة في إنجاح هذا المشروع الوطني من الناحية الإدارية أو التعليمية، عن طريق وضع المناهج وطرق التدريس المناسبة.

5-4- إسهامات الشيخ علي بيكة في إحياء المناسبات الدينية والوطنية:

لقد ساهمت المناسبات الدينية في منطقة وادي سوف في ملأ الفراغ الكبير الذي كانت تعيشه المنطقة، وأصبح تقليدا راسخا لدى سكان المنطقة، وعكس بشكل كبير التفاعل الإيجابي لدور المساجد والكتاتيب القرآنية داخل المجتمع،

---

[1]- مقابلة شخصية مع الشيخ علي بيكة، **مصدر سابق.**

[2]- **نفسه.**

وقد كان الشيخ مواظبا في جميع المساجد والمدارس التي عمل بها قبل وبعد الاستقلال على إحياء المناسبات الدينية والوطنية؛ كليلة النصف من شعبان، وليلة السابع والعشرين من رمضان، والمولد النبوي الشريف، وإحياء يوم بدر ... هذا قبل الاستقلال، أما بعد الاستقلال فأضيف إلى ذلك الاحتفال بالأعياد الوطنية؛ كعيد اندلاع الثورة، وعيد الاستقلال...

كل هذه المناسبات كانت تُحيى -كما ذكر الشيخ- بقراءة القرآن وإلقاء الخطب والكلمات، والقصائد والأناشيد الدينية[1]. للعلم فإن مثل هذه المناسبات شكلت أثناء فترة الاستعمار الفرنسي نوعا من المقاومة الدينية، ونوعا من المحافظة على الهوية الثقافية وعلى الأعراف والتقاليد الراسخة للمجتمع الجزائري والسوفي.

6-4- إسهامات الشيخ علي بيكة في خدمة الثورة التحريرية:

استغل الشيخ الفترة التي كان يُدرس فيها بجامع الزيتونة، ليساهم في خدمة قضية بلده، فانضم إلى المنظمة السرّية التي كانت تنشط بتونس، فكان رفقة عدد من طلاب الزيتونة ينشطون بمكتب باب السوّيقة بقيادة معمر التغزوتي، حيث تُعقد الاجتماعات الأسبوعية لدراسة أوضاع البلاد، ودفع الاشتراكات وجمع الأموال .... واستمر هذا النشاط إلى تاريخ استقلال البلاد سنة 1962م[2].

5- خاتمة:

كان الهدف من هذه الدراسة كشف اللثام عن علم من أعلام القراءات في ستينيات القرن الماضي، والتعريف به، والكشف عن إسهاماته في الحياة العلمية وفي خدمة التعليم القرآني.

ومن أبرز النتائج التي توصلنا إليها:

- التكامل المعرفي بين التعليم الأولي بمسقط رأسه والتعليم الزيتوني، كان له الأثر

1- المرجع السابق.

2- نفسه.

على الشيخ علي بيكة في إتقان علم القراءات.

- على الرغم من الظروف المعيشية الصعبة التي مرّ بها الشيخ علي بيكة للدراسة في جامع الزيتونة، إلّا أنه استطاع أن يُكمل دراسته ويتخرج منه بشهادة التحصيل في القراءات.

- كانت هناك عدة عوامل دفعت بطلبة وادي سوف للتوجه إلى الجامع الأعظم "الزيتونة" بتونس، من أهمها الرغبة في مواصلة التحصيل العلمي، والترقي في طلب الشهادات العلمية.

- كان للشيخ علي بيكة إسهامات كبيرة في قطاع الأوقاف، من خلال التكوين المستمر لإطارات الشؤون الدينية بولايتي بسكرة والوادي.

- ساهم الشيخ علي بيكة رفقة المخلصين من خريجي جامع الزيتونة، في مسيرة البناء والتشييد لقطاعي التربية والشؤون الدينية غداة الاستقلال، من خلال المساهمة الفعالة في المحافظة على الهوية الثقافية.

ومن أبرز التوصيات:

- أوصي الهيئات والمؤسسات العلمية إلى إعادة النظر في طريقة التعريف بشيوخنا وعلمائنا، فالكثير منهم لم يعط حقّه الذي يليق بكفاءته ومكانته العلمية.

- دعوة وزارة الشؤون الدينية والأوقاف لتبني مشروع التكوين المستمر للأئمة ومعلمي القرآن، وكذا العمل من أجل فتح معاهد للقراءات.

- الشيخ علي بيكة وكل خريجي جامع الزيتونة، يحتاجون إلى التفاتة وتكريم من الوزارات الوصية؛ مثل التربية والشؤون الدينية، لرد بعض الجميل على مساهماتهم الفعّالة في النهوض بهذه القطاعات غداة الاستقلال.

6. قائمة المراجع:

- الكتب:

- الجابري محمد الصالح، **النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962**، دار الحكمة للنشر، الجزائر، ط. 2، 2007م.

- الهرماسي عبد اللطيف، **المجتمع والإسلام والنخب الإصلاحية في تونس والجزائر**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى، 2018م، بدون ترقيم.

- بن عاشور محمد العزيز، **جامع الزيتونة المعلم ورجاله**، دار سراس للنشر، تونس، 1991م.

- روشو الهادي، **طبقات القراء والمقرئين بإفريقية وتونس**، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 2018م.

- سعد الله أبو القاسم، **منطلقات فكرية**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط. 2، 2005م.

- شترة خير الدين، **الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900-1956**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.

- شويخ إبراهيم، **الرحلات العلمية و أثرها في الحياة الثقافية بمنطقة وادي سوف**، مذكرة ماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، 2017.

- عطية عبد الكامل، **نماذج من الرحلات العلمية للطلبة السوافة نحو القطر التونسي قبل اندلاع الثورة التحريرية 1954م**، الملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس.

- عقون التجاني، **أعلام من قمار**، مطبعة سخري، الجزائر، 2013.

- الوثائق والشهادات:

- المقرر رقم 36 الصادر من إدارة الشؤون والأوقاف لولاية الوادي بتاريخ: 04 أفريل 1999م.

- شهادة الأهلية للتلميذ بيكة علي من مشيخة الجامع الأعظم بتونس تحت رقم: 52 بتاريخ: 1955/10/08م.

- شهادة التحصيل في القراءات للتلميذ بيكة علي من مشيخة الجامع الأعظم بتونس بتاريخ: 13 جويليلة 1962م

- شهادة الميلاد 1527 بلدية قمار .

- قرار التنصيب الصادر من وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية لولاية الأوراس رقم: 2754 بتاريخ: 1 سبتمبر 1972 م.

- قرار التنصيب الصادر من وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية لولاية الأوراس رقم: 4633 بتاريخ: 15 نوفمبر 1979م

- مراسلة مديرية الشؤون الدينية لولاية بسكرة رقم: 1404 بتاريخ 1984/05/23.

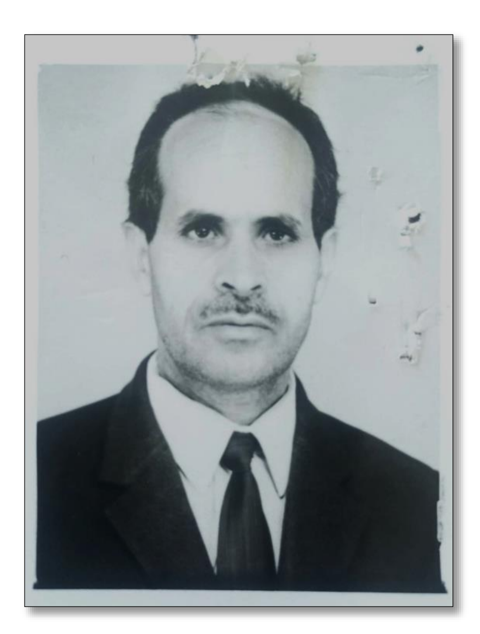
- المقابلات الشخصية:

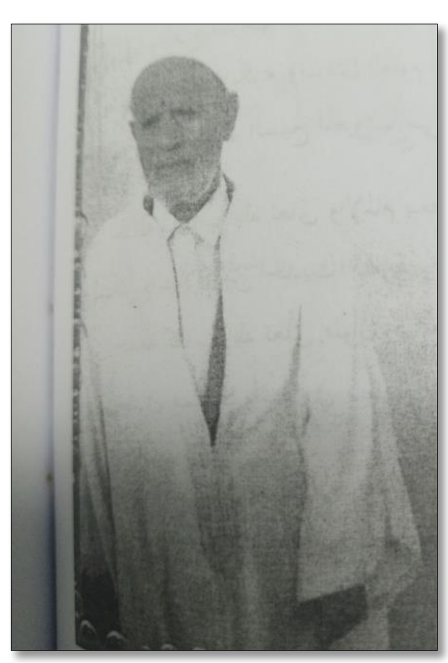
- مقابلة شخصية مع الشيخ علي بيكة بجوار منزله الكائن بحي الشهداء بلدية قمار يوم الخميس02 مارس 2023 بعد صلاة العصر من 16:30 إلى 18:00.

- مقابلة شخصية مع الشيخ بكار عب الرزاق أحد مصلي مسجد بكار يوم الثلاثاء 28فيفري 2023 بعد صلاة العصر.

الملاحق:

الملحق رقم1 : صور للشيخ المقرئ علي بيكة في فترات مختلفة من حياته





الملحق رقم 2: شهادة التحصيل من الجامع الأعظم في القراءات مؤرخة في 13 جويلية 1962م للتلميذ علي بيكة بن محمد بن صالح بن محمد


الجمهورية التونسية

كتابة الدولة للتربية القومية

المصلحة الاجتماعية والثقافية

الحمد لله

شهادة

يشهد كاتب الدولة للتربية القومية بان السيد بيكه علي بن محمد بن صالح

المولود في خلدون عدم 1939 بقمار (بالجزائر)

والمرسم في الامتحان تحت عدد 4

احرز على شهادة القراءات

في دورة : جوان سنة 1962

وكتب له هذا بطلب منه

تونس في 13 جويلية 1962

عن كاتب الدولة للتربية القومية

وباذن منه

رئيس المصلحة الاجتماعية والثقافية

الطاهر قويسم

Pour Copie Certifiée Conforme

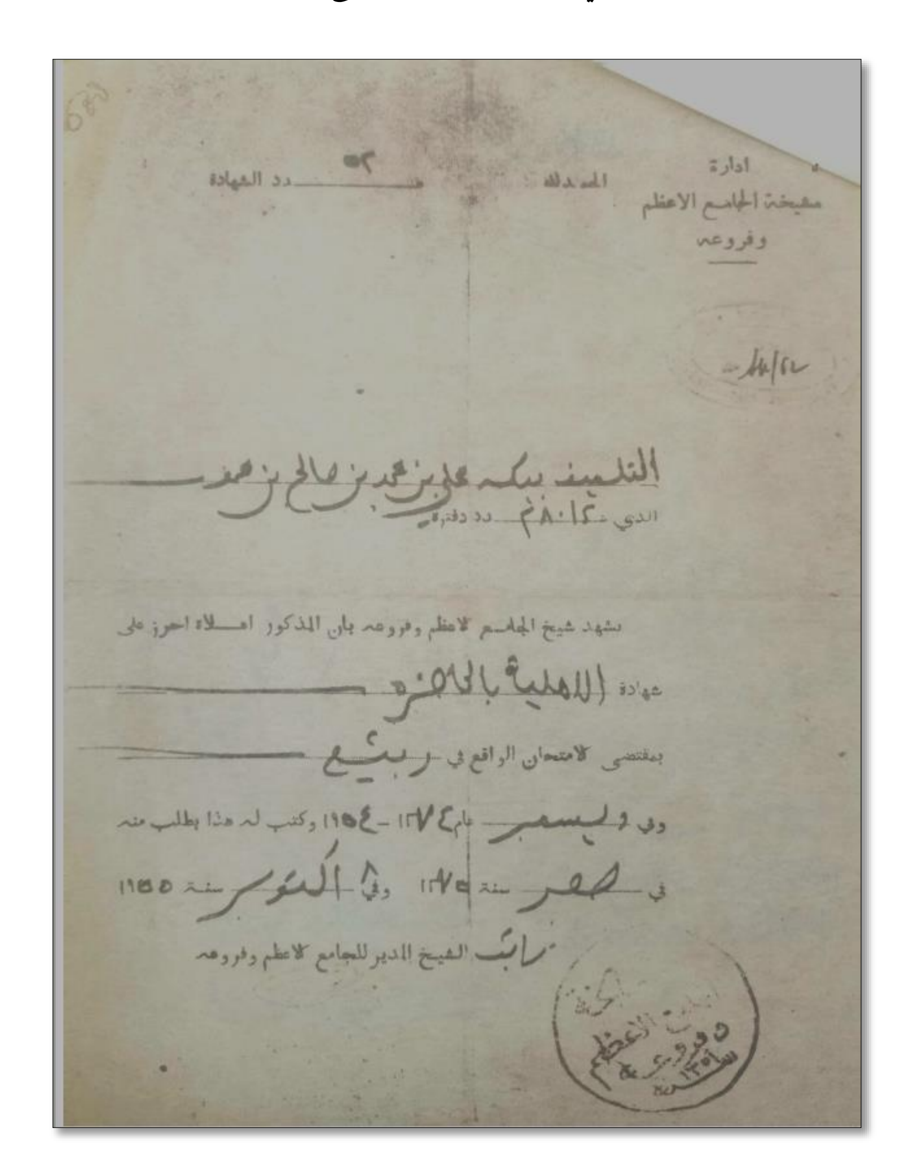
BISKRA, le 18 FEV. 1978

Le Président de l'A.P.C

تنبيه : لا يمكن الحصول على نظير ثان بل يتعين على من يهمه الامر ان يحتفظ بهذا النظير ويستظهر عند الحاجة بنسخة منه مشهود بمطابقتها للاصل من طرف احدى مصالح الامن

الملحق 3: شهادة الأهلية من الجامع الأعظم مؤرخة في 08 أكتوبر 1955م

للتلميذ علي بيكة بن محمد بن صالح بن محمد



ادارة
مشيخة الجامع الاعظم
وفروعه

الحمد لله

عدد الشهادة [illegible]

التلميذ بيكة علي بن محمد بن صالح بن محمد

الذي عدد دفتره [illegible]

يشهد شيخ الجامع الاعظم وفروعه بان المذكور اعلاه احرز على

شهادة الاهلية [illegible]

بمقتضى الامتحان الواقع في ربيع

وفي ديسمبر عام ١٣٧٤ - ١٩٥٤ وكتب له هذا بطلب منه

في صفر سنة ١٣٧٥ وفي ٨ اكتوبر سنة ١٩٥٥

نائب الشيخ المدير للجامع الاعظم وفروعه

وَادِي سُوف بالجنوب الجزائريّ
رَحَلاَت وَثَمَرَات عِلْمِيّة.. نَمَاذِج مُختارة

Oued-Souf (The Algerian South)
Fruitful Scholarly Expeditions Selected Examples

د. الطاهر اعمارة الأدغم

مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي (الجزائر)

ladgham-tahar@univ-eloued.dz



الملخّص:

تتحدّث هذه الورقة، عن جانبٍ مشرقٍ من الكفاح والنّضال العلميّ في منطقة وادي سُوف بالجنوب الشّرقيّ للجزائر، خلال النّصف الأوّل من القرن العشرين الميلاديّ. وتناولت الورقةُ نماذج من مشايخ رحلوا إلى تونس، وأبعد منها، لطلب العلم رغم الظّروف المعيشيّة الصّعبة، والعقبات التّي كانت الإدارة الفرنسيّة تضعها أمام طلاّب العلم والوعي بصفة عامة.

والنّماذج هم: الحُسين حمّادي، عليّ طويل، عبد القادر الياجوريّ، محمّد الصّالح حامدي، مبروك الشّامسي، وجاء الحديث بشيء من التّفصيل عن حياتهم ورحلاتهم في طلب العلم، وكفاحهم العلميّ والتّربويّ والإصلاحيّ بعد العودة إلى أرض الوطن. كما تمّ ذِكْرُ عَدَدٍ آخر من أسماء الذّين رحلوا في طلب العلم من أبناء المنطقة، والكتب التّي أَلَّفُوها أو تلك التّي أَلَّفَهَا الباحثون حولهم.

والمراجع المعتمدة في هذه الورقة هي كتب الباحثين حول تاريخ المنطقة وسِيَر أهل العلم فيها، وما أنتجه طلبة الدّعوة والإعلام، والدّعوة والثّقافة الإسلاميّة، بجامعة الشّهيد حَمَّه لخضر بالوادي. ودعت الدّراسة في خاتمتها إلى الاهتمام بعلماء ومشايخ وادي سُوف وكتابة تاريخهم، والعناية بالذّاكرة الشّفويّة للمنطقة حفظًا لها من النّسيان والاندثار.

الكلمات المفتاحية: وادي سُوف؛ رحلة؛ علم.

Summary

This paper discusses the bright side of the scholarly struggle in Wadi Souf region in southeastern Algeria, during the first half of the twentieth century AD.

The paper focuses on examples of Sheikhs who moved to Tunisia, and beyond, to seek knowledge despite the difficult living conditions, and the obstacles the French Administration was putting on students of knowledge and understanding in general.

Those Sheikhs include: Al-Hussein Hammadi, Ali Tawil, Abdul-Qader Al-Yajouri, Muhammad Al-Saleh Hamdi and Mabrouk Al-Shamsi. The paper discusses in some detail their lives and their journeys in seeking knowledge, and their scholarly, educational and reform struggle after returning to the homeland.

A number of other names, of people from the region, who traveled seeking knowledge, and the books they wrote or those that researchers wrote about them, were also mentioned in this paper.

The references adopted in this paper are books written by researchers on the history of the region and the biographies of scholars there, as well as what was produced by the students in the department of Dawah and Media, and the department of Dawa and Islamic Culture, at the University of Martyr Hama Lakhdar- EL-oued.

In its conclusion, the study called for paying more attention to the scholars and sheikhs of Wadi Souf, writing their history, and taking care of the oral memory of the region in order to preserve it from oblivion and extinction.
Keywords: *Wadi Souf, Trip, knowledge*

1- مقدّمة:

الرّحلةُ والسّياحةُ في الأرض عرفَها الإنسانُ منذ الأزمان الغابرة، حيث احتاج إلى التّعرّف على غيره، وكَسْبِ قُوتِه، واكتشاف الجديد والمفيد لأجل حاضره ومستقبله. ولأنّ هذا الإنسان ظلّ شغوفًا أيضا بالعلم منذ حِقَبٍ بعيدة؛ فقد تحرّك من أجل طلبه ومقابلة أهله، خاصّة مع ندرةَ المعلومات والمعارف التّي كانت سِمَةً غالبةً على العصور الماضيّة، إلى أن وصل الإنسانُ إلى العصر الحاليّ حيث، الوفرة، بل التُّخْمَة، المعرفيّة.

وفي الدّين الإسلاميّ، نزلت الآيةُ الكريمةُ تدعو إلى النّفرة في طلب العلم: ﴿**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾ سورة الأنفال، آية: 122. كما أشار

القرآنُ قبل ذلك، في التّنزيل المكّيّ، إلى أهمّية الرّحلة في سياق امتنان الله تعالى على قبيلة قُرَيْش، حين كان صناديدها يواجهون النّبيّ محمّد صلّى الله عليه وسلّم ودعوته: ﴿**لإِيلَافِ قُرَيْشٍ، إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ**﴾ سورة قريش. وفي حياته صلّى الله عليه وسلّم هاجرَ إليه النّاسُ فرادى وجماعات للتّعلّم منه مَشَافَهَةً والجلوس معه، والاقتداء بسنّته العمليّة، لتستمرّ الرّحلةُ بعد ذلك وتزدهر في عهد الصّحابة والتّابعين وأتباع التّابعين، وحتّى عصرنا الحاضر.

وعلى مرّ العصور الإسلاميّة، بما فيها من فترات قوّة وضعف، وصعود ونزول، وأمن وخوف، ظلّت فكرةُ الرّحلة العلميّة حيّةً في قلوب وأذهان طلاّب العلم، حيث الرّغبة العارمة في الانتقال من بلد إلى آخر لملاقاة العلماء، ومن ثمّ مجالستهم والأخذ منهم مباشرة دون واسطة، سواء تعلّق الأمرُ بالحديث النّبويّ وأسانيده التّي يحرصُ طلاّبُ العلم على الوصول إلى الأعلى منها، أو غيره من العلوم الإسلاميّة والفكر الإسلاميّ الذّي دار، وما زال يدور، حول النّصّ المقدّس، كتابًا وسنّة، حيث التّفسير والشّرح والاستنباطات الفقهيّة والتّفريعات العقديّة، وغير ذلك ممّا اشتغل عليه أهل العلم.

ومن الأندلس أقصى الغرب الإسلاميّ كان العلماءُ يشدّون الرّحالَ مرورا بحواضر الشّمال الإفريقي، ومنها القاهرة العامرة على مرّ العصور، وصولاً إلى بلاد الحجاز حيث الحرمين الشّريفين، ثمّ العراق بحواضرها العلميّة، ثمّ الشّام وبيت المقدس، وعودة على مصر والقاهرة من جديد وبلاد المغرب، أدناه وأوسطه وأقصاه، حتّى الوصول إلى أرض الوطن. والحالُ نفسُه مع بلاد أفريقيا الواسعة بشرقها وغربها، حيث توافدَ طلاّب العلم في رحلات لا تكادُ تتوقّف نحو حواضر العلم وبلاد الحرمين وبغداد وبيت المقدس. والأمرُ ذاته كذلك مع الوافدين من بلاد ما وراء النّهر وخراسان، وبلاد الهند وما جاورها.

واستمرّ الحالُ والعزمُ والجهدُ مُصَاحِبًا لأهل العلم من عصر إلى عصر، وفي

شتّى أمصار العالم الإسلاميّ.. ومنها بلادنا المغرب الأوسط، الجزائر، التّي غزاها المحتلّ الأجنبيّ قبل عدد كبير من الدّول الشّرقية حيث دخلها عام 1830م، 1246هـ، وراح منذ سنواته الأولى يحاربُ معاهدَ العلم والعلماء حتّى كاد يقضي عليها بالكامل، لولا بقيّة من صَبْرٍ وَجَلَدٍ لدى عدد من العلماء وأهل الخير.

وفي إقليم وادي سُوف، وما جاوره من القطر الجزائريّ، واجه النّاسُ ظروفًا قاسيةً وبيئةً شحيحةً في موارد العلم، ومن ثمّ تحرّكت الدّافعيّة نحو الرّحلة في طلب العلم، فسافر الرّاغبون نحو الحواضر القريبة، وحتّى البعيدة نسبيًّا، لينهلوا من المعاهد والجامعات، ويجالسوا المشايخ والعلماء ويَرْوُوا عطشَهم المعرفيّ، ومن ثمّ يعودوا بِزَادٍ ينفعون به أنفسهم والنّاس من حولهم.

أهداف وحدود ومنهجيّة الورقة البحثيّة:

الهدفُ من هذه الورقة هو تسليطُ الضّوء بشكل مختصر على عدد من الذّين رحلوا لطلب العلم، وما يتبع ذلك من الأماكن والمعاهد والجامعات التّي درسوا فيها، أو شيوخ العلم في المساجد والزّوايا، وبيانُ مدى استفادة المشايخ الذّين رحلوا في طلب العلم، وتأثّرهم ثمّ تأثيرهم في بيئاتهم الأصليّة بعد عودتهم، أو البيئات الأخرى التّي مارسوا فيها التّدريس والتّعليم والإرشاد والتّوجيه.

والرّحلات التّي تحدّثتْ عنها الورقةُ البحثيّةُ هي رحلات القرن العشرين الميلاديّ، وهي نماذج، عيّنة. وهذه العَيِّنَةُ محدودةٌ زمانيًّا بالثّلثيْن الأوّليْن من القرن العشرين، ومكانيّا في إقليم وادي سُوف بالجنوب الجزائريّ. ولأنّ العَيِّنَةَ، أو فلسفة العيّنة، تعني أنَّ الباحثَ عند دراسته لظاهرة معيّنة لا يدرسها كلّها، وإنّما يحدّدُ جزءا منها، لأنّ الجزءَ يعبّر بطريقة أو أخرى عن الكلّ[1]؛ فكان هذا الاختيارُ وهذه العيّنةُ من مجتمع وادي سُوف العلميّ في القرن العشرين، حيث تعبّرُ بقدر معتبر عن هذه الظّاهرة العلميّة والثّقافيّة والاجتماعيّة الإيجابيّة، وهي الرّحلة في طلب

1- يُنظر: عبد النّاصر جندلي، **تقنيّات ومناهج البحث في العلوم السّياسيّة والاجتماعيّة**، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 2005، ص. 38.

العلم.

ولأنّ الرّسائلَ الجامعيّةَ التّي قُدّمت في هذا السّياق، وكتبَ الباحثين والمشتغلين بالتّاريخ في منطقة وادي سُوف طويلة ومتعدّدة؛ جاءت هذه الورقة، بعد صِفَةِ العيّنة، أشبه بالملخّص أو الأنموذج الذّي يقدّمُ صورةً عن الرّحلات العلميّة في وادي سُوف بعيدا عن التّطويل والتّوسّع.

أما المنهجيّةُ المتّبعةُ فقد بدأتُ بالاسم والنّسب والنّشأة والحياة بشكل مختصر حتّى موعد الرّحلة العلميّة، ثمّ الحديث عن الرّحلة، وبعدها مختصراتٌ عن ثِمَارِ الرّحلة والعلم والوعي المكتسب، ومظاهر كلّ ذلك على أرض الواقع في صورة نشاطات وأثر علميّ وثقافيّ. وقد جاء ترتيب المشايخ المذكورين في الورقة تَبَعًا لتاريخ الميلاد، فالأسبقُ ميلادًا هو الأسبق ورودا.

المراجع:

استفادت الورقةُ من المصادر المراجع المتاحة، فقد كَتَبَ عددٌ من الباحثين، أبناء المنطقة، حول مشايخ وعلماء وادي سُوف وما جاورها، إضافة إلى ما بَذَلَتْه كلّيةُ العلوم الإسلاميّة، جامعة الشهيد حمّه لخضر بالوادي (وقبل ذلك الشّعبة والمعهد) ومن خلال تخصّص الدّعوة والإعلام، ودعوة وثقافة إسلامية، التّابع لقسم أصول الدّين.

وتمثلّ جهدُ الكلّية المُعْتَبر في التّعريف بعدد من المشايخ، سواء من كانت له رحلة أم لا، واعتمدت المذّكرات (ليسانس، ماستر) على المقابلات الشّفهيّة والوثائق القليلة المتاحة، ومن هناك حقّقت خدمةً تأريخيّة غاية في الأهميّة، وهي الحفاظُ على ذكريات وسِيَر عدد من أهل العلم، ومن ثمّ إبعاد شبح النّسيان عنها.

وجاء الاعتماد، بعض الشّيء، في هذه الورقة على الرّسائل العلميّة تثمينًا عمليًّا لِدَوْرِ الكليّة (ومن ورائها الجامعة) في تفاعلها مع محيطها الواسع، واعترافًا بجهود الطّلبة الباحثين والأساتذة الذّين أشرفوا على أعمالهم وناقشوها وصوّبوها

وأثروها بملاحظاتهم وتوجيهاتهم المنهجيّة. كما كان الرّجوع إلى الكتب المُؤَلّفة حول أعلامٍ من سُوف تذكيرًا وتثمينًا وإشادةً بالجهود البحثيّة العلميّة في حفظ ذاكرة المنطقة.

2- تعريف بمنطقة وادي سوف:

2-1- التّسميّة:

قِيلَ إنَّ (سُوف) نسبةٌ لرجل صالح سَكَنَهَا قديما عُرِف بـ (ذا السّوف)، وقيل إنّ (سُوف) نسبة إلى لباس أهلها قديما (الصّوف) ثمّ لحّنت.. والظّاهر أن تسميّة (وادي سُوف) قديمة ولا يُعرف لها سبب محدّد، لكنّ أقربَ الأقوال أنّ (سُوف) نسبة إلى الكثبان الرّمليّة المنتشرة بكثرة في هذه المنطقة والتّي تُعرف بلغة السّكان حتّى اليوم بـ (السّيوف).. أمّا (الوادي) فينسبُ إلى (وادي الجَرْدَانِيّة) الذّي كان يجري في المنطقة قبل عدّة قرون[1].

2-2- الموقع:

يقع إقليم وادي سوف جنوب شرقيّ الجزائر، وينتمي إلى العِرْق الشّرقيّ الكبير، يحدّه من الشّمال بلاد الزّاب، بسكرة والزّرايب، ويمتدّ حتّى جبال الأوراس والنّمامشة وإلى منطقة نِقْرين، ومن الشّرق الحدود التّونسيّة من نَفْطَة ونَفْزَاوَة مرورا ببِير رُومَان حتّى غْدَامِس، ومن الجنوب واحات غْدَامِس، ومن الغرب وادي ريغ وورقلة[2]. وأمّا الآن فعندما تُطلقُ تسميّة وادي سُوف فتعني ولاية الوادي المعتمدة منذ التّقسيم الإداريّ لعام 1984.

2-3- الحركة التّعليميّة بالوادي خلال النّصف الأوّل من القرن العشرين:

عُرِفَ سكّان وادي سُوف قديما وحديثا بالسّعي الحثيث لتوفير أسباب المعيشة في بيئة صحراويّة قاسيّة، وهكذا كان أفرادُ المجتمع السّوفيّ يقضون

1- السّعيد دِيدِي، **وادي سُوف كنوز من الجزائر**، المطبعة العصريّة، الوادي، الجزائر، 2002، ص. 12.

2- علي غَنَابْزِيّة، **مجتمع وادي سُوف من خلال الوثائق المحليّة في القرن (13هـ) (19م)**، مطبعة الرّمال، الوادي، الجزائر، 2019، ص. 19.

معظم أوقاتهم في غراسة النّخيل والعناية بها لأنّها مقوّمُ الحياة، ولكنّ تلك الظّروف الشّديدة صاحبَها اهتمامٌ متواصلٌ بالجانب الرّوحيّ الذّي ظهر من خلال المساجد والزّوايا، والمدارس التّي بدأت تظهرُ في أواخر القرن التّاسع عشر[1].

ومن أهمّ المظاهر العلميّة والثّقافية في مجتمع وادي سوف في النّصف الأوّل من القرن العشرين، نجدُ أوّلاً المدارس القرآنيّة التّي يُشْرِفُ على تعليم الأطفال فيها (الطّالب)، وسُمِّي بذلك لأنّه يطلبُ الأجرَ من الله على عمله، وقد انتشرت في ربوع سُوف بشكل ملحوظ، ثمّ تأتي بعدها المدارسُ الرّسميّةُ الفرنسيّةُ التّي ظهرت في الوادي وقْمَار وكْوِينِين، وكان إقبالُ الأهالي عليها محدودا، ثمّ جاءت المدارسُ العصريّة وهي التّي جدّدت في الوسائل والمناهج والمواد الدّراسيّة، وواكبت ظهورَ جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين، ومنها مدرسة الوادي العصريّة، التّي أسّسها الشّيخ عبد العزيز الشّريف بالزّاوية القادريّة بالوادي بعد انتمائه لجمعيّة العلماء، ومدرسة النّجاح الحرّة بِبَلْدَة قْمَار[2].

3- الشّيخ علي طويل (1904-1990):

3-1- اسمه ونسبه ونشأته:

هو علي بن حَمَد بن علي بن الطّويل من عرش المصاعبة، فرقة الشّبابطة، وأمّه هنيّة بنت علي قْعَيِّد المعروفة بـ (هنيّة بنت النّفطي) نسبة إلى والدها الذّي ينحدر من بلدة نَفْطَة بالجريد التّونسيّ. وُلِدَ الشّيخ علي خلال عام 1904 بقرية الخُبْنَة، بلديّة الرّقيبة ولاية الوادي حاليا، ونشأ في بيئة فلاحيّة، حيث كانت أسرته تعتمدُ في قُوتها على غراسة النّخيل وزراعة الأرض وتربية المواشي، وإلى جانب ذلك

1- علي غنابزيّة، **الشّيخ محمّد الطّاهر التّلِيلِي رائد التّعليم العصريّ بمدرسة النّجاح بقمار**، بحثٌ منشورٌ ضمن كتاب (العلاّمة المصلح محمّد الطّاهر التّلِيلِي، 1910-2003 قراءات في سيرته وفكره وآثاره، إعداد مجموعة من المختصّين، إش. وتن. عادل محلّو، وتص. أبو القاسم سعد الله، من إصدارات الجمعيّة الثّقافيّة للمركز الثقافيّ محمد ياجور بقمار، شركة مزوار للطّباعة والنّشر والاشهار والتّوزيع، الوادي، الجزائر، 2005، ص. 113.

2- **نفسه**، ص ص. 113- 115.

عُرِفَتْ بحبّ العلم والمحافظة على الدّين[1].

حَفِظَ الطّفلُ عليّ القرآنَ الكريم في سنّ التّاسعة على يد والده الكفيف، حيث كان يقوده إلى المسجد الذّي يؤمّ المصلّين فيه، ومن ثمّ يستمعُ إليه تاليًا للقرآن. وقد ظهرت ملامحُ العفّة والطّهارة والصّلاح على الشّيخ عليّ منذ صغره، مما أكسبه احترام النّاس وثقتهم. كما عُرف بقوّة حفظه، ليلتحق بعد ذلك بمدارس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين ويحصّل قدرًا من العلم دَفَعَهُ للسّعي نحو الدّراسة بجامعة الزّيتونة بتونس والأزهر بمصر[2].

2-3- رحلته ومغامراته في طلب العلم:

بعد أن حصل الشّيخُ عليّ طويل على شهادة من مدارس جمعيّة العلماء، زادت رغبتُه في طلب العلم، وبرزت أمامه فكرة السّفر إلى الدّيار التّونسيّة لإكمال تحصيله العلميّ في جامع الزّيتونة، وظَفَرَ بدعم والده الشّيخ حَمَد وعائلته ومحيطه الاجتماعيّ. وهكذا استقرّ في تونس العاصمة طالبًا للعلم في جامع الزّيتونة، وعاملاً في الوقت ذاته لتحصيل شيء من المال يعولُ به نفسَه ويساعدُ أسرته بما يرسله لهم من حين لآخر، وبعد عدّة سنوات حصل على مقدارٍ طيّب من علوم الفقه والتّفسير والميراث، وتَوَّجَ ذلك بالشّهادة العالميّة الزيتونيّة[3].

وبعد الزّيتونة لم يتوقّف طموحُ الشّيخ عليّ للفوز بتحصيلٍ أكبرٍ للعلوم الشّرعيّة، وهكذا وصل إلى أرض مصر بحجّة الذّهاب من هناك لأداء فريضة الحجّ، فقد كانت المنطقة تشهدُ بعض التوتّرات والملاحقات الأمنيّة. وهناك تعسّر على الشّيخ الالتحاق بالأزهر، لكنّه مكث في مصر سنتين تعرّف خلالهما على جماعة الإخوان المسلمين وقَابَلَ مرشدها حسن البنّا، وظلّ متخفيًّا خوفًا من عيون

1- الصّالحة بُوعافيّة وبشيرة لِيحيو، **الشّيخ علي طويل، السُوفيّ الجزائريّ المُتوَفّى عام 1990، وجهوده العلميّة والدّعويّة**، مذكّرة ماستر في العلوم الإسلاميّة، تخصّص دعوة وإعلام، قسم أصول الدّين، معهد العلوم الإسلاميّة، جامعة الوادي، 2021-2022، ص ص. 31-32.

2- **نفسه**، ص ص. 32-35.

3- **نفسه**، ص. 39.

المستعمر البريطانيّ الذّي كان يفرضُ الحماية على القطر المصريّ. وبعد ذلك أدّى فريضة الحجّ وبعد عودته اجتاز الامتحان التّأهيليّ بتفوّق واستطاع الانخراط في الأزهر. ودامت دراسةُ الشّيخ عليّ في الأزهر سبعة أشهر فقط، وتعرّض للاعتقال أربع مرّات، وتمّ بعد ذلك تعذيبه ثمّ رميه في الصّحراء اللّيبيّة، ومن هناك حاول العودةَ إلى مصر لإكمال دراسته لكنّه مُنِع من الدّخول، فبقي في ليبيا بعض الوقت إلى أن عاد إلى أرض الجزائر[1].

ومن ثمار رحلة الشّيخ في طلب العلم تلك المآثر التّي زخرت بها سيرته العلميّة والتّربويّة والنّضاليّة، ومن أمثلتها[2]:

- مشاركته في الخلايا السّرية للتّنظيم المدنيّ للثّورة الجزائريّة في قُرَى ومَدَاشِر وادي سوف، حيث نشاطات دَعْمِ الثّورة بالمال والسّلاح والرّجال.

- كانت له مكتبة عامرة بالكتب من شتّى الفنون: دينيّة وأدبيّة وتاريخيّة وغيرها، وقد أهداها أحفادُه إلى إحدى الجمعيّات الخيريّة الثّقافيّة المعروفة في المنطقة.

- المداومة على الإجابة عن أسئلة النّاس في المسائل الدّينيّة، وفي أيّ وقت، مركّزا في إجاباته الفقهيّة على المذهب المالكيّ.

- مَارَسَ الإمامة والخطابة أوّلا في بلدته الأصليّة الرّقيبة، ثمّ في بلدة سيدي عون، وكانت لغته متينة وسليمة، ويرتجل خُطَبَه ارتجالا.

- شجاعته في الحقّ عندما أَقْدَمَ على هَدْمِ الجدار الذّي يقسّمُ المسجدَ العتيق بالرّقيبة إلى نصفين، أحدهما لأتباع الطّريقة التّيجانيّة والآخر للقادريّة، ولقي في ذلك عَنَتًا كبيرا.

3-3- وفاته:

تدهورت صحّة الشّيخ في الآونة الأخيرة من حياته بسبب مضاعفات المتاعب

1- **السابق**، ص. 40.

2- **نفسه**، ص ص. 36-45.

التّي تعرّض لها في حياته النّضاليّة ورحلاته العلميّة، حيث أُصِيبَ بالنّزيف الدّائم إلى أن تُوفّيَ بتاريخ 5 مارس عام 1990[1].

4- الشّيخ عبد القادر الياجوريّ (1912-1991):

4-1- اسمه ومولده ونشأته:

هو عبد القادر بن الحاج عمّار بن عبد القادر يَاجُورِي، والمعروف بين النّاس بالشّيخ اليَاجُورِي.. ولد عام 1912م بمنطقة (الشّقِيقَة) التّي تقع الآن ضمن تراب بلدية قمار بولاية الوادي، الجنوب الجزائريّ، وأمّه عائشة بيّة من عائلة وَنَايْسِيّة بقمار، وللشّيخ أخ شقيق واحد هو محمّد الذّي يصغره بعامين.

نشأ الشّيخُ في أسرة بسيطة الحال تعتمدُ على ما يحصّله الوالد (الحاج عمّار) من الفلاحة، وكانت الأسرة على صِلَةٍ بالقرآن والعلم الشّرعيّ، فالوالدُ يُحَفِّظُ القرآن الكريم للصّبْيَة في المنطقة[2]. لم يعرف الشّيخ عبد القادر طفولة عادية حيث انفصل والداه بعد فترة من ميلاد أخيه محمّد، وتزوّج الوالدُ ثانية بابنة عمّه يامنة الياجوري التّي أنجبت له أربعة أبناء. ومع ذلك كانت علاقة الطّفل (الشّيخ) بزوجة أبيه طيّبة، واستمرّت على هذه الحال حتّى أرسله والدُه إلى مدينة تُوزَر بالجنوب التُّونسيّ عام 1925م[3].

4-2- رحلته في طلب العلم:

عند بلوغ الشّيخ عبد القادر سنّ الثّالثة عشر، أرسله والدُه إلى بلاد الجريد التّونسيّ، ومنطقة تُوزَر تحديدا، لينهلَ من مختلف العلوم المتاحة بدءًا بتجويد القرآن الكريم الذّي كان قد حَفِظَه على يد والده في العام الحادي عشر من عمره.

1- **السابق**، ص. 38.

2- سُعَاد عْوِيمِر وآخرون، **الشّيخ عبد القادر الياجوريّ وحياته الدّعويّة والعلميّة**، مذكّرة اللّيسانس في العلوم الإسلاميّة، تخصّص دّعوة وثقافة إسلاميّة، قسم أصول الدّين، جامعة الوادي، الجزائر، 2016-2017، ص. 13.

3- **نفسه**، ص. 14.

ومن هناك انتقل إلى جامع الزّيتونة بتونس العاصمة ليكمل تعليمه على أيدي مشايخ كبار منهم الفاضل بن عاشور. وكان الشّيخُ حريصًا على طلب العلم، ساعيًّا في الوقت ذاته إلى الاستزادة من السّياسة والوعي وفصاحة اللّسان[1].

وهكذا مَارَسَ الشّيخ الياجوريّ، إلى جانب التّحصيل العلميّ، نشاطاتٍ أخرى خلال رحلته العلميّة التّي دامت تسع سنوات، منها اتّصاله بجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين منذ تأسيسها عام 1931، حيث آمن بمبادئها وأفكارها وهو طالب في الزّيتونة، وكان عضوا عاملا فيها. وتخرّج من الجامعة الزّيتونيّة عام 1934 حاصلاً على شهادة التّطويع، ليعود إلى مسقط رأسه، قْمَار بأرض سوف، ومن ثمّ حصّنَ نفسه بالزّواج رغم شحّ موارد الرّزق والبطالة لأمثاله من خِرّيجِي الزّيتونة[2].

ومن ثمار رحلة الشّيخ في طلب العلم، تلك الجهود التّي زَخِرَت بها سيرته العلميّة والإصلاحيّة، ومن أمثلتها[3]:

- دروسٌ تطوّعيّةٌ في مسجد (الطُّلْبَة) بقمار عام 1934-1935.

- التّدريس بالمدرسة الابتدائيّة بمسجد الطُّلبة آنف الذّكر، إضافة إلى الخطابة والامامة إلى أن نَقَلَتْه جمعيّة العلماء إلى منطقة البيّاضة.

- بعد معاناة مع السّجن والمطاردة الاستعماريّة بدأ التّدريسَ بمعهد ابن باديس بقسنطينة عام 1947، متنقّلا، خلال الأسبوع، بين نشاطات تعليميّة أخرى في (شَلْغُوم العيد) والعاصمة.

- أسّس لجمعيّة العلماء مدرسة الهداية بوهران، وأَمَّ المصليّن وخَطَبَ في مسجد الفلاح بالمدينة نفسها، وعُيّنَ مندوبًا متجوّلاً للجمعيّة في الغرب الجزائريّ.

- بعد الاستقلال عَمِلَ الشّيخ الياجوريّ في وزارة الأحباس، الأوقاف، لمدّة سنتين، ثمّ

1- **السابق**، ص. 15.

2- أبو القاسم سعد الله، **خارج السّرب مقالات وتأمّلات**، دار البصائر، الجزائر، ط. 2، 2009، ص. 117.

3- سعاد عويمر وآخرون، **مرجع سابق**، ص. 22، 23؛ أبو القاسم سعد الله، **خارج السّرب...**، **مرجع سابق**، ص ص. 133-134.

واصل رسالة التّربية والتّعليم في ثانوية ابن باديس بوهران حتّى تقاعده عام 1977.

3-4- وفاته:

قبل فترة من وفاته زار الشّيخ الياجوريّ بلدته قْمَار عدّة مرات، حيث كان مقيمًا في وهران، ونزل ضيفًا على بعض أقاربه وقابَل أصدقاءه، وكانت زياراته أقرب إلى إرهاصات الموت، وهكذا وافاه الأجل في شهر أوت 1991[1].

5- الشّيخ محمّد الصّالح حامدي (1930- 1990):

1-5- اسمه ونسبه ونشأته:

هو محمّد الصّالح حامدي، وأبوه الطّيب بن حامد خليفة بن أحمد بن حامد بن أحمد بن عمّار بن علي بن خزّان (الوليّ الصّالح المدفون بالمسجد المعروف باسمه في الدّبيلة الشّرقيّة). وأمّه هَنِيَّة بنت عمّار بن علي بن محمد بن عمار بن أحمد بن عمار بن علي بن خزّان.

وُلِدَ الشّيخُ محمّد الصّالح خلال عام 1930 بقرية الجديدة الشّرقيّة، منطقة الدّبيلة بأرض سوف الحدوديّة مع تونس، وفي صِباه فَقَدَ إحدى عينيْه بإصابة أثناء اللّعب مع أقرانه، وبعدها بسنوات فَقَدَ الأخرى بسبب مرض أصابها[2]. تَرَعْرَعَ الطّفلُ محمّد الصّالح في أسرة متواضعة تكسبُ قوت يومها من الزّراعة وغراسة النّخيل وتُحَقِّق كفايتها، وتساعدُ الآخرين أيضا، فقد كان الوالدُ سخيًّا جدا، وكان حافظًا لنصف القرآن الكريم، ويتقدّمُ لإمامة النّاس عند غياب إمام المسجد.

نشأ الشّيخُ محبًّا للعلم والعلماء ومساعدًا لوالده في شؤون الزّراعة، قبل أن يفقد بصره، وحفظَ القرآن كاملا في سنّ الثّالثة عشرة، وشرعَ في اكتساب علوم اللّغة والفقه، وظهرت ذاكرته القويّة وذكاؤه الحادّ. وبعد أن فقدت والدةُ الشّيخ

1- أبو القاسم سعد الله، **خارج السّرب...، مرجع سابق**، ص. 135.

2- وفاء سْويد وآخرون، **الشّيخ محمّد الصّالح حَامْدِي ومجهوداته العلميّة والدّعويّة**، مذكّرة اللّيسانس في العلوم الإسلاميّة، تخصّص دعوة وثقافة إسلاميّة، قسم أصول الدّين، جامعة الوادي، الجزائر، 2019-2020، ص ص. 12-14.

بصرها، وتزوّجَ والدُه بزوجة ثانية؛ نَصَحَهُ ابن عمّته بالهجرة إلى تونس طلبًا للعلم[1].

5-2- رحلته في طلب العلم:

عام 1948 كان الشّيخُ محمد الصّالح قد بلغ سنّ الثّمانية عشر، وحينها سافر مع قافلةِ عليّ بن خزّان المتّجهة صوب الزّاوية التّابعيّة ببلدة نَفْطَة الحدوديّة مع الجزائر، وكان أهلُ منطقة الدّبيلة يمدّون الزّاويةَ بمحاصيل أملاكٍ تمّ إيقافُها بغرضِ تعليم أبنائهم والتّكفّل بهم هناك، حيث كان نصف قاطني الزّاوية من الدَّبَايْلِيَّة (أهل الدّبيلة). وفي الزّاوية حفظ الشّيخُ القرآن الكريم كاملا وألفية ابن مالك وثلاثة آلاف من أبيات الشّعر، وقَرَأَ مَتْنَ الآجَرُّومِيَّة، كما دَرَسَ العقائد والفقه والرّياضيات وتميّز في علم المواريث. وفي أوقات فراغه من برنامج الزّاوية التّابعيّة كان يتّجه صوب الزّاوية القادرية في نَفْطَة، وهناك يتلقّى العلمَ على يد مشايخها.

وعام 1953 كان الشّيخ قد أكملَ دراسته في الزّاوية التّابعيّة، وحصلَ على شهادةٍ تؤهّلُه لتولّي الإمامة والتّدريس ودخول الفرع الزّيتونيّ بتُوزَر، فقرّر العودةَ إلى أرض الوطن زائرا[2]. وبعد عودته إلى تونس عام 1954 زَاوَلَ دراسته بالفرع الزّيتونيّ بمدينة تُوزر، القريبة من نَفْطَة، وكان في الفرع حينها عددٌ من العلماء والمشايخ الأكفاء، وحصل على الشّهادة الأهليّة عام 1956، ومن هناك اتّجه صوب تونس العاصمة لإكمال دراسته في جامع الزّيتونة، لكنّ الظّروف لم تكن مواتية، فقد اشتدّت الثّورةُ في الجزائر ولم يعد في وسع أهله إرسال مبالغ ماليّة تمكّنه من مواصلة الدّراسة.

وخلال السّنوات اللاّحقة اشتغل بالإمامة والتّدريس في منطقة الدّهماني، ثمّ الرّديف حين طَلَبَهُ أبناء وادي سُوف العاملون في المناجم، عام 1960، فمكث إمامًا ومدرّسًا إلى أن عاد إلى أرض الوطن بعد قرابة الثّماني سنوات[3].

1- **السابق**، ص. 15-18.

2- **نفسه**، ص ص. 22-24.

3- **نفسه**، ص ص. 24-26.

ومن ثماررحلة الشّيخ في طَلَب، العلم تلك الجهود الي زخرت بها سيرته العلميّة والإصلاحيّة، ومن أمثلتها[1]:

- مزاولته خلال إقامته في منطقة الجريد التّونسيّ الإمامةَ وتحفيظ القرآن والتّدريس والإجابة عن المسائل الفقهيّة خاصّة في علم المواريث.

- نشاطه الحثيث في منطقته، حيث يدرّس الأطفالَ في بيته صباحا، وبعد الزّوال يهتمُّ بالشّباب علمًا وإصلاحًا وتوجيهًا.

- مداومته بعد صلاة العشاء على سهراتٍ علميّة ثقافيّة مع أقرانه من أهل الفضل والعلم أمثال الشّيخ حَمَد تَوْبَه.

- تَوَلّيه إمامة مسجد عمر بن عبد العزيز ببلدته الجديْدة، وكانت خُطَبُه مميّزة حيث يسهرُ على تحضيرها بشكل جيّد.

- مساهمته في تنوير النّاس في المسائل الفقهيّة، وإصلاح ذات البَيْن، وشغله لمنصب نائب رئيس بلديّة الدّبيلة عام 1975 بطلب من سكّان قريته، ليهتمّ بشؤون الفقراء والمحتاجين.

3-5- وفاته:

عاش الشّيخ محمّد الصالح حامدي حياةً زاخرةً بالعلم والتّعليم والتّربيّة والنّضال السّياسيّ والاجتماعيّ، وعانى في سنواته الأخيرة من مَرَضَيْ السّكر وارتفاع ضغط الدّم إلى أن وافاه الأجل بتاريخ 24 نوفمبر 1990، ودُفن في مقبرة بلدته الجديْدة[2].

6- الشّيخ مَبْرُوك الشَّامِسِيّ (ولد عام 1934):

1-6- مولده ونَسَبُه ونشأته:

وُلِدَ الشّيخ مَبْرُوك الشّامسي بن محمّد عْوَاج عام 1934 في بادية تقعُ الآن في

1- **السابق**، ص ص. 26-29.

2- **نفسه**، ص. 41.



دائرة حاسي خليفة، ولاية الوادي الحدوديّة مع تونس، وهذا التّاريخ هو الغالبُ على الظّن كما عبّر الشّيخُ عن ذلك[1]. وكان والدُ الشّيخ مبروك عاملاً في منجم الرّدَيِّف، الجريد التّونسيّ، فلمّا بلغه الخبرُ جمعَ رفاقه وأعدّ لهم الشّاي وأحضر اَلْكَوْكَاوْ (= الفول السّودانيّ) وأعلن أمامهم أنّه وَهَبَ المولودَ للجامع، أَيْ للقرآن والعلم[2]. وأمّا الأصل والنّسب فيقول الشّيخ بأنّه من قبيلة الشّوامس التّي وفدت إلى أرض سوف في ظروف وزمن غير معروف بالتّحديد الدّقيق، وإنّه مِنْ نَسْل جَدٍّ معروفٍ هو بُوجْوَاحِيف المدفون في منطقة نَفْزَاوَة التّونسيّة[3].

نشأ في أسرة غنيّة تُفَضِّلُ العيشَ في الباديّة وتمتلكُ الإبلَ والأغنامَ، والنّخيل أيضا، لكنّها بعيدة عن العلم. وبسبب ظلم الإدارة الفرنسيّة المحتلّة هاجرت الأسرةُ إلى بلدة نَفْطَة التّونسيّة، وكان الشّيخ في حدود السّابعة من عمره. وفي سنّ العاشرة، وفي يوم غزير المطر كان الطّفلُ مبروك يجمعُ الحطبَ مع والده، فابتلّت ثيابه ومنها وصل الماءُ إلى عينيْه وكان ذلك سببًا في ذهاب بصره، وعندها تذكّرَ والدُه العهدَ الذّي قَطَعَهُ على نفسه عند ميلاده، فَأَلْحَقَه بالمسجد ليبدأ رحلةَ حفظ القرآن وما بعدها[4].

2-6- رحلته في طلب العلم:

بدأت الرّحلةُ العلميّةُ للشّيخ مبروك الشّامسي بهجرة الأسرة إلى منطقة الجريد التّونسيّ، ومن ثمّ فَقْدِه لبَصره، ليجلسَ بعدها عند شيخٍ في أحد مساجد بلدة نَفْطَة، ويبدأَ حفظ القرآن الكريم عبر التّلقين، فَفِيمَا يُمْلِي المعلّمُ على بقيّة التّلاميذ ليكتبوا في ألواحهم الخشبيّة؛ يقرأُ على الطّفل مَبْرُوك آيةً فيكرّرها إلى أن

1- مبروك اعْواج الشّامسيّ، **مذكّرة نفيسة**، تق. وتر. وتع. علي غنابزيّة، مؤسّسة ايموبال المطبعة العصريّة، الوادي، الجزائر، 2012، ص. 24.

2- **نفسه**، ص. 24.

3- بلقيس سلمي وآخرون، **الشّيخ مبروك الشّامسيّ وجهوده الدّعويّة**، مذكّرة اللّيسانس، دعوة وثقافة إسلاميّة، قسم أصول الدّين، جامعة الوادي، 2018-2019، ص. 22.

4- **نفسه**، ص ص. 23-24.

يأتي دوره فيقرأ عليه آية أخرى. كان المعلّم الأوّل قاسيا وينادي الطّفل مبروك بالأعمى، وهكذا بعد بلوغه سورة المُرْسَلات سَمِعَ بمعلِّم هَيِّنٍ ولَيِّنٍ مع تلاميذه، فانتقل عنده وأتمّ حفظ القرآن كاملا[1].

وفي بلدة نَفْطَة أيضا شَرَعَ الشّيخُ في دراسة اللّغة والفقه عند عدّة مشايخ، ومن ثمّ صار إمامًا ومعلّمًا للقرآن في مسجد صغير، لكنّه تركه بعد ذلك رغبة في الدّراسة بالفرع الزّيتونيّ بـ تُوزَرْ، فكان له ذلك حين نجحَ في اجتياز امتحان القبول وصار طالبا منتظما يغادرُ بيته السّبت ليعود نهاية الأسبوع. وعام 1955 عاد إلى أرض الوطن مع والدته، وعندما عَزَمَ على العودة منعته السّلطات الفرنسيّة، فَهَرّبَه ابنُ عمّ له يرعى غنمًا عند الحدود الجزائريّة التّونسيّة، ليعود إلى مزاولة دراسته ويحصلَ على الشّهادة الأهليّة عام 1957، وينتقلَ إلى تونس العاصمة وجامع الزّيتونة العامر، ويلتقي بعددٍ كبيرٍ من الطّلبة الجزائريّين، ويشارك في نشاطات ثقافيّة وسياسيّة، وتمرُّ السّنواتُ ليتخرّجَ بالشّهادة العالميّة عام 1963، ويعودَ إلى أرض الوطن بعد غياب طويل[2].

ومن ثمار رحلة الشّيخ في طلب العلم، تلك الجهود التّي زخرت بها سيرته التّعليميّة والتّربويّة، ومن أمثلتها[3]:

- افتتاح الشّيخ لمدرسة قرية الذُّكَّار، موطنه الأصليّ، ليتوافد عليها التّلاميذ من عديد البلدات والقرى (السّويهلة، سيدي عون، الدّريميني، المَقْرن، الدّبيلة، حاسي خليفة، الرّبّاح).

- نشاطه التّعليميّ والدّعويّ الحثيث بمسجد (بَابَه السّاسي) بمدينة تقّرت بداية من عام 1964، واجتماع عدد معتبر من الطّلبة حوله.

- الدّور الرّيادي الذّي قام به في المسجد العتيق بـ (تِكْسِبْتْ)، الوادي، بعد عودته

1- مبروك اعْواج الشّامسيّ، **مرجع سابق**، ص ص. 28-30.

2- بلقيس سلمي وآخرون، **مرجع سابق**، ص ض. 27، 28.

3- **نفسه**، ص ص. 28-34.

من تقّرت، وذلك بداية من عام 1967، ومن إنجازاته البارزة فتح مدرسة استفاد منها عددٌ كبير من المحرومين من التّعليم.

- تأسيسه لمسجد الشّوامس، بين حيّ تِكْسِبْتْ وحيّ القَارَة، حيث اشترى الأرض بماله عام 1971، ووضع حجر الأساس بيده، فلمّا تمّ بناؤه انتدبَ له أحد طلاّبه إمامًا.

- مساعدته لتلاميذ المراحل التّعليميّة الثّلاث عبر دروس تقوية، ولطلاّب الجامعة بعد التّخرّج من خلال مجالس أصول الفقه ومصطلح الحديث والفقه المالكيّ.

وما زال الشّيخ على قيد الحياة، وقد استقال من الوظيفة الرّسميّة، الإمامة، بتاريخ 18 ماي 2007، وفي نهاية العام الموالي أُقيم له حفلٌ تكريميّ كبير حَضَرَهُ مشايخ كبار من المنطقة، وجمع كبير من المواطنين، وأهدت له الجمعيّة الدّينيّة للمسجد الكبير، تِكْسِبْتْ، عمرةً إلى البقاع المقدّسة[1].

هذا.. والقائمةُ ما زالت مفتوحةً في هذا السّياق، ولذا وجب التّنويه بالعدد الكبير، ولو نسبيًّا، من المشايخ والقرّاء ورجال التّعليم الذّين رحلوا في طلب العلم.. نذكر العلم الشّيخ أحمد توبة، والشّيخ محمّد الطاهر بنِين[2]. ومن مناطق اعْمِيش[3].، الشّيخ عبد الكريم بن العربيّ عْسِيلَه، والشّيخ المقدّم امحمّد بن العيد التّجانيّ، والشّيخ محمّد الطّيب لَقْرَع، والشّيخ صالح بُوكُوشَه نَغَّاق، والإعلاميّ الطاهر بن الصّغير بن عمر، والشّيخ الصّادق بَالِي، والشّيخ الجيلانيّ كِينَه، والشّيخ مُحْيي الدّين دِرْبَال، والشّيخ محمّد لِمَام بن لَمِين الشّريف، والشّيخ صالح بن نصر بن عمر، والشّيخ صالح بن الهادي بُوصْبِيع، والشّيخ عبد القادر بن الحاج مختار دِرْبَال، والشّيخ عليّ عطاء الله، والشّيخ يوسف جْدِيد، والعربيّ بن مصطفى عْسِيله.

1- **السابق**، ص. 34.

2- سامية تامّة وآخرون، **الشّيخ محمّد الطاهر بنِين وجهوده الدّعويّة والتّعليميّة**، مذكّرة اللّيسانس في العلوم الإسلاميّة، تخصّص دعوة وثقافة إسلاميّة، قسم أصول الدّين، الوادي، 2019-2020، ص. 21.

3- عليّ عْبِيد، **اعْمِيش، مونوغرافيا لمنطقة جنوبيّ وادي سُوف**، دار سامي، وادي سوف، الجزائر، الطّبعة الأولى، 2022، ص ص. 90-97.

7- خاتمة:

في نهاية هذه الورقة، نصلُ بجلاءٍ ووضوحٍ إلى صورةٍ عن رحلات عددٍ من مشايخ وطلاّبِ عِلْمٍ عاشوا في بلاد سُوف، وخرجوا منها لطلب المعرفة والاستزادة عبر الجلوس على مقاعد الدّراسة النّظاميّة، كما في الزّيتونة والأزهر، أو من خلال مجالسة العلماء والقرّاء والمشايخ والأخذ عنهم مشافهة والحصول على الإجازات منهم، ومن ثمّ العودة بِزَادٍ علميٍّ نافعٍ كان له دورٌ حيويٌّ في تنوير المنطقة وأهلها في ليل الاحتلال الأجنبيّ الحالك، ثمّ بعد الاستقلال وجلاء المحتلّ حيث كانت لهؤلاء بصماتٌ واضحة في نشر العلم والانخراط في التّدريس من خلال المدارس النّظاميّة والمساجد والزّوايا.

وفي هذا السّياق نقترح **التّوصيات التّالية**:

- العمل على إعداد موسوعة علماء ومشايخ وادي سُوف، بعد أن كثرت وتوفّرت الكتابات المتفرّقة من كتب ومقالات وبحوث وأوراق مؤتمرات وأيّام دراسيّة وحصص إذاعيّة.

- الاهتمام بالتّاريخ الشّفويّ للمنطقة وتدوينه ليتحوّل إلى وثائق يستفيدُ منها الدّارسون في التّاريخ والانثروبولوجيا.

- تحويل سِيَرِ ورحلات العلماء والمشايخ إلى أعمال تسجيليّة، سمعيّة بصريّة، عبر الاستفادة من الوثائق والمطبوعات، والرّوايات الشّفهيّة المتاحة.

- تخليد ذكرى هؤلاء (المجاهدين علميًّا) عبر تسمية مدارس ومؤسّسات وأفواج كشفيّة وأحياء جديدة بأسمائهم.

- تكريم أصحاب الرّحلات العلميّة باستمرار من خلال أولادهم وأحفادهم، حتّى تظلّ صورة نضالهم العلميّ حاضرة مع ذاكرة الأجيال الجديدة.

8- قائمة المراجع

المؤلّفات:

- الشّامسيّ اعواج مبروك، **مذكّرة نفيسة**، تقديم وترتيب وتعليق الدّكتور علي غنابزيّة، مؤسّسة ايموبال المطبعة العصريّة، الوادي، الجزائر، 2012.

- جندلي عبد النّاصر، **تقنيّات ومناهج البحث في العلوم السّياسيّة والاجتماعيّة**، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 2005.

- دِيدِي السّعيد، **وادي سُوف كنوزمن الجزائر**، المطبعة العصريّة، الوادي، الجزائر، 2002.

- سعد الله أبو القاسم، **خارج السّرب مقالات وتأمّلات**، دار البصائر، الجزائر، الطّبعة الثّانية، 2009.

- عْبِيد عليّ، **اعْمِيش، مونوغرافيا لمنطقة جنوبيّ وادي سُوف**، دار سامي، وادي سوف، الجزائر، الطّبعة الأولى، 2022.

- غنابزيّة علي، **الشّيخ محمّد الطّاهر التّلِيلِي رائد التّعليم العصريّ بمدرسة النّجاح بقمار**، بحثٌ منشورٌ ضمن كتاب (العلاّمة المصلح محمّد الطّاهر التّلِيلِي، 1910-2003، قراءات في سيرته وفكره وآثاره، إعداد مجموعة من المختصّين، من إصدارات الجمعيّة الثّقافيّة للمركز الثقافيّ محمد ياجور بقمار، شركة مزوار للطّباعة والنّشر والاشهار والتّوزيع، الوادي، الجزائر، 2005.

- (ـــــ، ـــــ)، **مجتمع وادي سُوف من خلال الوثائق المحليّة في القرن (13هـ) (19م)**، مطبعة الرّمال، الوادي، الجزائر، 2019.

الأطروحات والمذكرات:

- الرُّمَيْصَاء بْجِير، **الشّيخ أحمد توبة، المسيرة الدّعوية**، بحث صَفِّي لمقياس أعلام الدّعوة في الجزائر، تخصّص الدّعوة والإعلام والاتّصال، شعبة العلوم الإسلاميّة، معهد العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، المركز الجامعيّ بالوادي، 2011-2012.

- الصّالحة بُوعافيّة وبشيرة لِيحيو، **الشّيخ علي طويل، السُّوفيّ الجزائريّ المُتوَفّى عام 1990، وجهوده العلميّة والدّعويّة**، مذكّرة ماستر في العلوم الإسلاميّة، تخصّص دعوة وإعلام، قسم أصول الدّين، جامعة الوادي، الجزائر، 2021-2022.

- بلقيس سلمي وآخرون، **الشّيخ مبروك الشّامسيّ وجهوده الدّعويّة**، مذكّرة اللّيسانس، دعوة وثقافة إسلاميّة، قسم أصول الدّين، جامعة الوادي، الجزائر، 2018-2019.

- سامية تامّة وآخرون، **الشّيخ محمّد الطاهر بِنِين وجهوده الدّعويّة والتّعليميّة**، مذكّرة اللّيسانس في العلوم الإسلاميّة، تخصّص دعوة وثقافة إسلاميّة، قسم أصول الدّين، جامعة الوادي، 2019-2020.

- سُعَاد عْوِيمِر وآخرون، **الشّيخ عبد القادر الياجوريّ وحياته الدّعويّة والعلميّة**، مذكّرة اللّيسانس في العلوم الإسلاميّة، تخصّص دّعوة وثقافة إسلاميّة، قسم أصول الدّين، جامعة الوادي، الجزائر، 2016-2017.

- عبد الفتّاح بن عمر، **الشّيخ عمّار بن الأزعر وجهوده الدّعوية**، مذكّرة الماستر في العلوم الإسلاميّة، تخصّص الدّعوة والاعلام والاتّصال، قسم أصول الدّين، جامعة الوادي، 2016-2017.

- وفاء سْوِيد وآخرون، **الشّيخ محمّد الصّالح حَامْدِي ومجهوداته العلميّة والدّعويّة**، مذكّرة اللّيسانس في العلوم الإسلاميّة، تخصّص دعوة وثقافة إسلاميّة، قسم أصول الدّين، جامعة الوادي، 2019-2020.

الشيخ صالح نغاق
رحلاته العلمية وآثارها التربوية والتعلمية
في منطقة وادي سوف

Sheikh Saleh Naggaq and his scientific trips, and their educational and learning effects in the Oued-Souf region

د. إدريس ريمي

مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية

كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي (الجزائر)

dris-rimi@univ-eloued.dz

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص:

تتضمن هذه المداخلة، حديثا عن الشيخ المدرّس والأستاذ المربي صالح نغاق، وعن رحلاته العلمية للزيتونة والأزهر الشريف، وبلاد الحرمين الشريفين، وكيف كان لهذه الرحلات العلمية أثر تربوي وتعليمي في منطقة وادي سوف، أبرزت في هذه المداخلة الوضع الثقافي الذي كان سائدا في طفولة الشيخ وفي شبابه وطرق التربية والتعليم، وكيف أثّر وساهم الشيخ في الحياة التربوية والتعليمية بعد رجوعه من رحلاته العلمية، خاصة وأنّه درّس طلبة كانوا من كبار رجال التعليم في الأطوار المختلفة الابتدائي والإعدادي والثانوي والجامعي.

الكلمات المفتاحية: صالح، نغاق، الرّحلة العلمية، وادي سوف.

Abstract:

This intervention includes a talk about the Sheikh teacher and educator Saleh Nagaq, and his scientific trips to Zaytuna and Al-Azhar Al-Sharif, and the land of the Two Holy Mosques, and how these scientific trips had an educational and educational impact in the Wadi Souf region, highlighted in this intervention the cultural situation that prevailed in the Sheikh's childhood and in his youth and methods of education, and how the Sheikh influenced and contributed to educational life after returning from his scientific trips, especially as he studied students who were senior men of education in the different phases of primary Preparatory, secondary and university.

Keywords: *Saleh, Noghag, Scientific Journey, Oued -Souf.*

1- مقدمة:

من أهم ما يميز تاريخ منطقة وادي سوف خلال الفترة الاستعمارية، الرحلة العلمية لطلب العلم والمعرفة، وهذا خاصة عندما مارست فرنسا الاستعمارية سياسة التجهيل، ومنعت الأهالي من حق التعليم، فقد كانت الكتاتيب والزوايا تعلّم القرآن الكريم وبعض المبادئ الأولية في اللغة العربية وعلوم الشريعة الإسلامية كالعقيدة والفقه، مما أوجب على الكثير من الطلبة وأكد فعل الخروج من أوطانهم، والرحلة بحثا عن المزيد من التكوين العلمي في الميادين العلمية الأخرى مثل الحساب والفرائض والمنطق وعلم القراءات...، حيث كانت قبلة أهل وادي سوف نحو حاضرة البلاد التونسية والانتماء لجامع الزيتونة المعمور.

ونقف في هذه المداخلة مع أحد شيوخ المنطقة، وأحد أعلامها البارزين في الرحلة العلمية شرقا وغربا، وهو الشيخ: **صالح بن بكوشة بن سعد نغاق**، ونعرض رحلاته العلمية في البلاد التونسية، وأرض الكنانة جمهورية مصر العربية، ثم إلى الحجاز حيث الحرمين الشريفين، ثم نبرز الآثار التربوية والتعلمية لرحلة هذا العلم.

أهميّة البحث: تكمن أهمية هذه المداخلة في إماطة اللثام عن هذه الشخصية والتعريف بها، حيث أنيّ لم أجد من تعرّض لهذه الشخصية في أدب الرحلات العلمية، كما لم تبرز جهوده التربوية والتعليمية والدعوية لشيخنا صالح نغاف، رغم ما قدمه لأهل وادي سوف...

دو افع اختيار الموضوع: كان من أبرز الدوافع التي جعلتني اختار الحديث عن هذه الشخصية، هو إبرازها في الكتابات الأكاديمية، وحتى تُعرف في وسط الباحثين والدارسين، كما أردت بيان المجهودات التربوية لهذه الشخصية والتي كانت نتاج الرحلة العلمية في البلاد العربية المغربية منها والمشرقية، بالإضافة إلى أنني سمعت عنه الكثير، خاصة ممن درس عنده في المعهد الإسلامي وفي إكماليه ابن باديس، فأردت تدوين ما سمعته وتوثيقه في بحث علمي، يجمع فوائد رحلة الشيخ صالح،

ويبرزها بعرض تاريخ مدعم بالأدلة التاريخية من خلال الوثائق والروايات الشفوية.

منهج البحث: اعتمدت في تحرير هذه المداخلة على الاستقراء كمنهج أساسي في البحث والذي تمثل في تتبع وجمع الوثائق التي تثبت وجود رحلات علمية لشيخنا، ثم محاولة وصفها وتحليل ما ورد فيها من معلومات تاريخية، بالإضافة إلى بعض المقابلات الشخصية والاستماع لبعض ممن كان على مقربة من شيخنا، كأبنائه وبعض تلاميذه المقربين، ثم جمع مادة هذه الأخبار وتمحيصها واستنتاج أهم ما يخدم البحث.

إشكاليّة البحث: كان المحور الأساسي لهذه المداخلة يكمن وراء تساؤل معرفيّ يتمثل في: من هو الشيخ صالح نُغّاق؟ وهل ثبتت له رحلات علمية قصد التكوين العلمي في الحواضر العربية والإسلامية المعروفة؟ وهل كان لرحلاته أثر تربوي وتعليمي في منطقة وادي سوف؟

وقد حاولت الإجابة عن هذه الإشكالية في مباحث هذه المداخلة المدرجة وفق التفصيل الآتي:

2- التعريف بالشيخ صالح نغاق:

2-1- اسمه ونسبه:

صالح بن بكوشة بن سعد بن بكوشة بن عمارة، وأمّه امباركة بنت سعد، ويظهر من خلال تتبعي لنسب الشيخ أنّ كلاًّ من والديه خرجا من أسرة واحدة، وتلك عادة المجتمع في سوف؛ حيث كانت العائلة تتصاهر مع بعضها، ولهم في ذلك تقليد متوارث عن الآباء والأجداد.

2-2- مولده ونشأته:

تشير وثائق الحالة المدنية[1] أن الشيخ صالح نغاق ولد سنة 1928م، وأمّا

1- حسب الوثيقة الصادرة عن مصالح الحالة المدنية لبلدية الوادي تحمل عنوان: مستخرج من السجل الأصلي و تحمل رقم: A 449 1948- وكتب في متنها العمر سنة 1948، 20 سنة مفترض 1928م.

تصريحه الشخصي فقد قال: أنني ولدت سنة 1919م[1] بالعواشير، منطقة الرباح بوادي سوف. نشأ الشيخ وتربّى بين أفرد أسرته بالعواشير، وكعادة المغاربة عموما والجزائريين خصوصا ومنهم أهل سوف، فإنهم يغتنمون فرصة ومرحلة الصبا والصغر، فيدخلون أبناءهم إلى الكتاتيب والمدارس القرآنية، لتلقي القرآن الكريم ومبادئ اللغة العربية والعلوم الشرعية، فدخل الكتّاب وهو صبيّ صغير عند معلم القرآن في الحي الذي يسكنه يسمى سي: علي بن حنكة[2]، الذي كان يعلّم القرآن في حي الفطاحزة، فانظم إلى مدرسته وقرأ عليه عشرون حزبا من القرآن الكريم، ثم درس على يد الشيخ محمد بن بقرة، عشرون حزبا، وبعدها دخل زاوية سيدي الإمام بالرباح، أين أكمل القرآن الكريم وأعاده شقتين وزاد ثلاثة على يد بشير غريبي.

وهكذا قضى الشيخ صالح نغاق مدة طفولته وشيئا من شبابه بين أسرته يتلقى حفظ القرآن الكريم ومبادئ العلوم الشريعة في الزاوية القادرية وكتاتيب التعليم القرآني.

3- رحلاته العلمية:

من خلال ما ذكرنا حول تاريخ ميلاد الشيخ صالح نغاق – رحمه الله- ندرك أنّ نشأته كانت في زمن قد استولى المستعمر الفرنسي على المنطقة، ومارس سياسة التجهيل ومحو الشخصية العربية الإسلامية، وكان من أبرز الأسلحة الفكرية للاستعمار الفرنسي، اعتماده على الغزو الفكري من خلال المدرسة الفرنسية في الجزائر، "وهذا الوضع هو الذي جعل معظم الجزائريين يمتنعون عن تسجيل

1- تصريحه الشخصي اعتمادا على المقابلة التي أجراها معه عبد الكريم بوغزالة، في بيت الشيخ صالح نغاق، وقد سجّلها صوتا وصورة في فيلم وثائقي، وكانت بتاريخ: الأربعاء 22 ربيع الثاني 1436هـ الموافق لـ: 11 فيفري 2015م.

2- هو أحد معلمي القرآن في بلدة العواشير في الفترة التي درس فيها الشيخ صالح ولعله أب الحنايكة، كما عبّر الشيخ.

أبنائهم في هذه المدرسة خوفا على عقيدتهم وأخلاقهم"[1].

وهنا نجد الشيخ صالح يضع لنفسه برنامجا تعليميا كان قد اعتاده أهل المنطقة في سوف من خلال الرحلة للديار التونسية، والالتحاق بجامع الزيتونة المعمور، قصد تلقي العلوم الشرعية واللغوية وفق نظام تعليمي أكاديمي. فجاءت رحلاته حسب القراءة للوثائق وما أفاد به هو في تصريحه كما يأتي:

3-1- الرحلة إلى بلاد الجريد:

كانت بلاد الجريد التونسية ولاتزال، أقرب منطقة لحاضرة سوف، وكان طلبة القرآن الكريم يرحلون إلى زوايا نفطة ومدارس القرآن في توزر، قصد التكوين التحضري والاستعداد الرسمي للتسجيل والانخراط في جامعة الزيتونة، فتكون هذه المحطة بمثابة السنوات التحضيرية، فيتلقون تعليما أوليا ودروسا تمكّنهم من اجتياز المراحل الأولى للتعليم في الزيتونة، وهو ما فعله الشيخ صالح نغاق - رحمه الله - وقد تمت رحلته إلى زاوية نفطة في بداية سنة 1945 رفقة زميله ورفيقه في الدراسة السيد لخضر بوصبيع، ثم انتقل إلى جامع الفركوس بتوزر، وكان به قسم فرعي تابع للمعهد الزيتوني فدرس به السنة أولى، إلاّ أن دراسته بهذا المعهد لم تدم إلا سنة واحدة حيث قرّر في السنة الموالية الانضمام إلى جامع الزيتونة في العاصمة التونسية.

3-2- الرحلة إلى جامعة الزيتونة:

في السنة الدراسية 1945-1946 رحل الشيخ صالح نغاق - رحمه الله - رفقة صديقه علي حشيفة إلى العاصمة التونسية، بعد أن سحب دفاتره من جامع الفركوس، ليسجل رسميا وينخرط ضمن طلاب جامع الزيتونة المعمور، أين التقى في هذه الجامعة الإسلامية الكبرى بعلماء فطاحل أمثال: اللقاني، والشيخ الطاهر بن عاشور، وابنه الشيخ الفاضل.

1- عبد القادر فضيل، **نظام التعليم في الجزائر، بين مظاهر التدني، ومستويات التحدي**، جسور للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، 1438هـ، 2016م. ص. 33.

وحسب تتبعي للسجل الرسمي للطلبة الجزائريين في تونس، ضمن كتاب الطلبة الجزائريين بالبلاد التونسية، فإن الشيخ صالح بن بكوشة بن سعد، كان مسجلا رسميا تحت رقم: 24512، في السنة الدراسية 1945-1946، وأقام بنهج الحجامين عدد 22، وهذه إقامة تشرف عليها جمعية الطلبة الجزائريين التونسيين، وقد ورد في السجل ما نصه: "درس قبل الالتحاق بالزيتونة، ويحفظ القرآن الكريم ومتن ابن عاشر والأجرومية، والجزرية، والشرنوبية، ورسّم بفرع الزيتوني بتوزر بالسنة الأولى من المرتبة الأخيرة، السنة الدراسية 1945-1946، تحت عدد 375، وفي السنة الثانية انتقل إلى تونس، وشارك في امتحان الأهلية دورتي 1948، 1949، ورسب في الكتابي وانقطع"[1].

وبعد مضي سنوات في جامع الزيتونة المعمور ورغم حفظه للمتون المذكورة في علوم العربية والشريعة الإسلامية؛ إلاّ أن الشيخ لم ينجح في شهادة الأهلية حسب نظام التعليم الزيتوني، وهنا انقطع الشيخ عن الدراسة وقرّر العودة من جديد إلى بلده حاضرة سوف، وبالضبط إلى منطقة العواشير، في حدود سنة 1950م.

3-3- رحلته إلى أرض الكنانة:

بعد رجوع الشيخ صالح إلى بلده ووطنه، سنة 1950م زاول النشاط الفلاحي المعتاد عند أهل المنطقة عامة وعائلته خاصة، فقد كان والده فلاّحا يشتغل بزراعة النخيل وبيع التمور، فمارس الشيخ زراعة الخضر والفواكه لا لبيعها ولكن لسد حاجيات بيته اليومية، ولكن هذه الحال لم ترض الشيخ، فالانقطاع عن الدراسة وطلب العلم لا يكون لأمثال هؤلاء، خاصة وقد قطع شوطا تعليميا لابأس به، فمن باب المحبة والعشق قرّر الرحلة إلى بلاد الحجاز فاستصدر جواز سفر[2] خفية عن

1- حبيب حسن اللولب، **الطلبة الجزائريين بالبلاد التونسية**، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، دار سيدي الخير للكتاب، 2013، ص، 271.

2- الجواز بحوزتي سلمه إليّ ابنه عبد السلام نغاق، وقد كُتب عليه نغاق صالح بن بوكوشة بن سعد، صادر عن السلطة الاستعمارية الفرنسية ويحمل العلامات الشخصية للشيخ صالح، وفيه صورته الشخصية، وصدر أولا: بتاريخ 21 نوفمبر، 1953م ويحمل رقم: LE07357. ثمّ مدّد من طرف الحكومة المؤقتة مرتين: أولهما في 12/ 02/ 1961، وثانيهما: سنة 1963م.

والده وخشية منعه من الذهاب لطلب العلم، خاصة وقد بدأ يمارس معه مهنة الفلاحة، ويساعده في العمل.

وبعد حصوله على جواز السفر ،أخبر والده بما كان يريده من الرحلة العلمية وطلب منه أن يأذن له بالسفر، والخروج من الوطن إلى الحجاز لطلب العلم، فردّ والده قائلا: "وكيف تذهب إلى الحجاز وأنت لا تملك مالا ولا دينارا، وأنا الذي أملك المال لم أذهب، قال الشيخ بإيمان قوي، وتوكّل على الله جازم، بإذن الله أذهب وقدرة الله هي التي توصلني إلى أرض الحجاز، وكأنّ الشيخ في هذا الجواب يستلهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يوضح فيه أن الله عزو جل يسهل طريق طالب العلم ويذلل صعوباته، بل ويأمر ملائكته أن تضع أجنحتها لطالب العلم، فقد روى ابن ماجة بسند صحيح عَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ أَبِي الدَّرْدَاءِ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، أَتَيْتُكَ مِنَ الْمَدِينَةِ، مَدِينَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِحَدِيثٍ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ: فَمَا جَاءَ بِكَ تِجَارَةٌ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: وَلَا جَاءَ بِكَ غَيْرُهُ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ"[1].

وبعد حوار مع والده، أقنعه بضرورة الرحلة وطلب العلم والدراسة، فرضي الوالد عن ولده، وأذن له بالرحلة والذهاب، وقبل ذلك وتيمّنا بالعُليّ والرفعة في المكانة العلمية صعدا إلى مكان عال وهو كثبان الرمال في حي" لبامّة[2]"، وقال: نصعد

1- الحديث أخرجه ابن ماجة في سننه، بَابُ فَضْلِ الْعُلَمَاءِ وَالْحَثِّ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ، حديث رقم: 223، 1/ 81.

2- هي حي كبير في منطقة دائرة البياضة اليوم، وتسمى قديما اعميش الواقعة جنوب الوادي، ينظر: علي عبيد، اعميش، **مونوغر افيا لمنطقة جنوبي وادي سوف**، ص. 13.

العامي حتى يعلينا ربي ، وفي هذا المكان قدّم له مبلغا من المال وقبّله ودعا له وودّعه، وخرج الشيخ من وطنه ووالده على كامل الرضا، فلما وصل تونس واستقر بها أياما، طلب من السفير الليبي أن يؤشّر له بالذهاب إلى الحجاز، فرفض السفير الليبي على اعتبار أن مصالحه لا تؤشر إلا بعد تأشيرتيْ مصر والسعودية، عندها غيّر الشيخ رحلته إلى مصر، وهنا دخل الشيخ أرض الكنانة، ونفذت أمواله، وانقطع به السبيل، ولم يبق له من المال ما يوصله إلى أرض الحجاز التي كان يقصدها، ولكن مع العزيمة والإصرار وصدق النية في طلب العلم تُذلل جميع الصعوبات .

استقر الشيخ بأرض مصر، وصلّى في مساجدها وتعرّف على شيوخها وعلمائها واحتك بهم وأخذ عنهم لما تقتضيه الملازمة، وعمل عند أهلها، وبقي في مصر مدة أربعة أشهر كاملة، بين العمل والكد استعدادا للوصول إلى المدينة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية، جمع مالا سدّد ما عليه من دين لرفقائه في الرحلة، وكانت فرصة إقامته في مصر لأن يرى الأزهر الشريف، ويرى عادات المصريين في التعليم، وعاداتهم في العمل والاسترزاق.

أتيحت للشيخ صالح فرصة التعرّف على أحد المصريين التجار، وأخبره بما يريد وكيف انقطع به السبيل في أرض الكنانة، عندها اقترح عليه أن يكون عاملا في ترميم مسجد الحي الذي يقيم فيه التاجر، وأن يوفّر له الإيواء والطعام، فقال الشيخ: "وكأن بابا فتح لي من السماء"، فعمل وكان يتقاضى أجرة أسبوعية مقابل عمله، فجمع مالا لأجل الرحلة من جديد لبلاد الحرمين الشريفين.

3-4- رحلته إلى بلاد الحرمين:

طال بقاء الشيخ في مصر حتى أنه طلب إقامة رسمية من الحكومة المصرية ووضعت له في جوازه تأشيرة اضطرارية، وعندما أتمّ مدة إقامته في مصر، قرّر الرحيل إلى الحجاز في 24 شهر ذي القعدة من سنة 1953م، فركب إلى السعودية ونزل في جدة رفقة أربعة آلاف حاج من الجزائر وتونس والمغرب ومصر، فأقام في رباط سيدنا عثمان رضي الله عنه، وأدى فريضة الحج لهذه السنة، وبعدها التقى

بوالده فأقاما أياما بالمدينة النبوية، وبعدها طلب منه والده الرجوع والعودة إلى أرض الوطن، فقال الشيخ لوالده أنا جئت زائرا للنبي صلى الله عليه وسلم، ولم أكن قاصدا زيارة الحج مثلك، عندها رجع والده وأمره أن يطلق زوجته التي تركها في بيت والده، خاصة وأنه لم يكن بينهما ذرية، وهذا حتى يتفرغ لطلب العلم والدراسة.

بعد رجوع الحجاج إلى أوطانهم اشتغل الشيخ في البناء وشارك في توسيع المسجد والحرم المدني، ولكنه سرعان ما انتبه إلى أمر مهمّ وهو أنّ رحلته لم تكن لأجل العمل، وإنما كانت لطلب العلم فطلب من الشيخ عبد الرحمان الإفريقي والشيخ محمد الأمين الشنقيطي أن يتوسطا له بدخول المعهد العلمي بالرياض، ففعلا وقُبل بفرع المعهد العلمي بالإحصاء، فدرس به سنتين، 1956-1957/1957-1958، وبعدها دخل المعهد العلمي رسميا بالرياض، ليتحصل منه على شهادة إتمام الدراسة الثانوية[1]، من معهد الرياض العلمي، القسم الخاص سنة 1380هـ.

استفاد الشيخ من دراسته في المعهد العلمي بالرياض ليحالفه التوفيق بعد ذلك ويكون من طلبة الدفعة الأولى في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية. سافر الشيخ عن طريق الطائرة رفقة الطلبة الناجحين في المعهد العلمي إلى المدينة النبوية، ليسجل في جامعتها المباركة ويدخل أكبر كلياتها وهي كلية الشريعة، وهنا كانت له فرصة التتلمذ والدراسة على يد كبار علماء العصر الحديث، في التفسير والحديث النبوي والفقه واللغة والفرائض وغيرها من العلوم الإسلامية، إلى أن تخرّج من الجامعة الإسلامية بشهادة إتمام الدراسة العالية من كلية الشريعة، سنة 1381هـ[2].

1- الشهادة صادرة عن رئاسة الكليات والمعاهد العلمية، بالمملكة العربية السعودية، وهي تحمل رقم: 847 والصادرة بتاريخ 1381/05/15هـ.

2- بحوزتي نسخة من هذه الشهادة النهائية، ونسخة من شهادة النجاح وإتمام الدروس موقعة من طرف نائب مدير الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دون رقم، وقد مُنح الشهادة المعادلة: ليسانس في العلوم الإسلامية من طرف وزارة التعليم العالي، بالجزائر بتاريخ: 09 جانفي 1982م. برقم: 100، صادرة عن مديرية التعليم بالوزارة.

4- أخذه العلم في رحلته عن كبار علماء العصر الحديث:

عوّدنا التاريخ وتذكر لنا كتب التراجم والسير أنّ التلاميذ غالبا ما يكونون صورة من صور شيوخهم، فمعرفة التلميذ في كثير من الأحوال تسهل عليك معرفة الشيخ، لأن العلماء يورّثون علمهم وفكرهم لتلاميذهم كما بيّن الحديث النبوي، لقد ذكر الشيخ صالح أنه أخذ الحديث عن الشيخ ناصر الدين الألباني، وأخذ التفسير عن أستاذه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، ودرس الفرائض عن الشيخ محمد عطية سالم، كما درس عن الشيخ عبد الرحمان الإفريقي، والمتأمل لتراجم هؤلاء الأعلام يجدهم من كبار علماء العصر الحديث ولنبين ذلك نبرز تراجمهم وسيرتهم ولو بصفة مختصرة كما يأتي:

4-1- محمد الأمين الشنقيطي[1]:

هو الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، ولقبه آبّا بتشديد الباء من الإباء، ولد عام خمس وعشرين وثلاثمائة وألف للهجرة بشنقيط، وبها نشأ وتعلم على يد مشايخ عصره منهم: الشيخ أحمد بن محمد المختار، والعلامة أحمد بن عمر، والفقيه محمد بن زيدان، والعلامة الكبير أحمد فال، حج سنة سبع وستين وثلاثمائة وألف للهجرة، واستقر مدرّسا في كلية الشريعة واللغة العربية في الرياض، وأخيرا في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية. تذكر كتب التراجم أنه كان آية في الحفظ والاستظهار، له عدة مؤلفات أهمها؛ موسوعة التفسير المعروفة والمسماة "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"، توفي ضحوة يوم الخميس من اليوم السابع عشر من شهر ذي الحجة عام 1393هـ. في مكة وبها دفن.

تحدث **الشيخ صالح** عن مناقب أستاذه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي،

1- ينظر ترجمة محمد الأمين الشنقيطي في: خير الدين الزركلي الدمشقي، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط. 15، 2002م. 6/ 45؛ بكر بن عبد الله، **طبقات النسابين**، دار الرشد، الرياض، 1987م، ص. 198.

فذكر أنه يحفظ كتابه أضواء البيان كما يحفظ سورة الفاتحة، وأنه طيلة دراسته لم يراه يحمل ورقة ولا مطوية ولا مطبوعة ولا كتاب، وإنما معلوماته مخزنة في ذاكرته، وتلك لعمري صفة العلماء الربانيين الكبار. وقد ورث الشيخ صالح عن أستاذه الشنقيطي بعض هذه الصفات، فقد ذكر لي ابنه عبد السلام في سياق الحديث عن مراجعته للقرآن فقال: ما رأيته يحمل المصحف؛ لأجل مراجعة القرآن فكانت مراجعته اعتمادا على الذاكرة، إلى أن توفاه الله عز وجل. كما يذكر تلميذه[1] الشيخ سعد الدبار في المدرسة القرآنية التابعة لمسجد معاذ بن جبل بحي باب الواد "القواطين"، أنّ الشيخ صالح، عندما يراجع عنه الطلبة القرآن الكريم، لا يملّ من مراجعة الطلبة عليه، جيد الاستحضار للآيات، لا يعتمد إلّا على ذاكرته، قوي الحفظ.

2-4- محمد ناصر الدين الألباني:

يعد الشيخ المحدّث ناصر الدين الألباني، من أبرز أساتذة الشيخ صالح نغاق، فقد تتلمذ عنه في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، وأخذ عنه علم الحديث النبوي الشريف. ويعد الشيخ الألباني من أكبر علماء العصر الحديث في علوم السنة النبوية وأسانيدها ورجالها ومتون أحاديثها، فقد أثنى عليه العلماء وبيّنوا مكانته العلمية خاصة في السنة النبوية، فقد قال فيه الشيخ ابن باز رحمه الله: "لا أعلم تحت قبة الفلك أعلم بحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الشيخ ناصر"[2]..

ولد الشيخ في مدينة أشقودرة، عاصمة ألبانيا سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وألف للهجرة الموافق لعام أربع عشرة وتسعمائة وألف ميلادي، في أسرة فقيرة متدينة يغلب عليها الطابع العلمي. ونقرأ في ترجمة الألباني أنه لا يعرف الكلّ والملل

1- وهو نفس كلام تلاميذه الآخرين؛ بشير بن عون، ومهاوات عبد القادر، وشقيقه محمود، ينظر: قشاشطة حليمة، **شيوخ التعليم القرآني بمنطقة وادي سوف**، ص. 23.

2- محمد بن عبد الرحمن المغراوي، **موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية**، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، النبلاء للكتاب، مراكش -المغرب، د. ت. 10/ 368.

من البحث والدراسة. وهذه الصفة رأيتها في حديث الشيوخ عن شيخنا صالح نغاق، فكان لا يكل من الدارسة وحب المطالعة والقراءة. خاصة في كتب الأمهات فقها وتفسيرا وحديثا وغير ذلك من مصادر التراث الإسلامي.

5- أثر رحلات الشيخ صالح في منطقة سوف:

لقد كان للرحالات التي ذكرناها سابقا، أثر كبير في منطقة وادي سوف، فبعد أن أكمل الشيخ دراسته وتخرّج من الجامعة الإسلامية سنة 1964م، عندها طلب من السلطة السعودية أن تمنحه عمل في مدارسها كأستاذ رسمي، ولكن السلطة السعودية وجّهته إلى إفريقيا وعلى وجه الدّقة إلى "باماكو" فرفض الشيخ هذا العرض وردّ عليهم بقول الشاعر[1]:

بلادي وإن جارت عليَّ عزيزة وقومي وإن ضنوا عليَّ كرام

فحب الوطن وخدمته فطرة، فطر الله الناس عليها لا تبديل لما خلق وقدر عز وجل، ومن هذا المنطلق رجع الشيخ إلى وطنه الجزائر وبالتحديد منطقة وادي سوف لمواصلة مشواره التربوي والتعليمي.

5-1- التعليم في المعاهد الإسلامية:

بعد الاستقلال وبزوغ شمس الحرية واسترجاع السيادة الوطنية للجزائر، رجع الشيخ لبلده سنة 1966م، فوجد الجزائر قد فتحت المعاهد الإسلامية كبديل عن التعليم العام؛ ولأجل إزالة ما تركه المستعمر الغاشم من جهل وأميّة، استقبلت الجزائر أساتذة أجانب من الدول الشقيقة، كتونس، ومصر، والعراق، وسوريا، ولم يكن من الجزائريين إلا القليل والنادر ومنهم الشيخ صالح، ثم استقطبت هذه

1- قائل البيت هو: الشريف قتادة أبو عزيز بن ادريس بن مطاعن بن عبد الكريم، ينظر: عصام الدين عثمان بن علي بن مراد العمري، **الروض النضر في ترجمة أدباء العصر**، 1975م، 205/1. (ورغم أن البيت مشهور ومتداول على ألسنة الناس وخاصة المغتربين، ومع ذلك سكتت كتب الأدب عن نسبته).

المؤسسة التعليمية للتعليم الأصلي فئات ثلاثة من المتعلمين كما يأتي[1]:

- **الفئة الأولى**: هي التي لم تتلق تعليما نظاميا، على وجه الإطلاق، بسبب نظام التعليم التابع للمؤسسة التعليمية الفرنسية، والتي رفضها الآباء والأولياء بسبب تعارض هذه المنظومة مع القيم والمبادئ للمجتمع الجزائري العربي المسلم.

- **الفئة الثانية**: وهي التي درست في المدرسة الفرنسية وخاصة المرحلة الابتدائية ولكنها فشلت، وطردت بسبب عدم النجاح خاصة في الشهادة الابتدائية، وقد مثلت هذه الفئة أغلب طلاب المعهد الإسلامي.

- **الفئة الثالثة:** وهي التي اختارت المعهد والدراسة في شعبة التعليم الأصلي؛ لما رأت فيه من علوم عربية وشرعية كالفقه وأصول الفقه والسيرة والتاريخ الإسلامي والحديث النبوي وعلوم العربية كالأدب واللغة والنحو والصرف والبلاغة العربية، ولما شاهدوه من حسن وعلم عند أساتذة الأزهر الشريف، فانقطعوا عن المدرسة النظامية واختاروا الدراسة في المعهد الإسلامي.

لقد تعامل الشيخ صالح مع جميع هذه الفئات، وقد رأيت في دفتر[2] تحصيل العلامات في الفروض والاختبارات، أسماء لطلبة متعددين من الفئات المختلفة. وقد ذكر الشيخ أنه درّس جميع المواد الشرعية ومنها التوحيد والتجويد والتفسير والحديث والفقه، وكل ما تلقاه عن العلماء في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

وحسب الوثائق[3] التي رأيتها وهي المذكرات التي كان الشيخ يدرس بها طلبته في المعهد الإسلامي، ومن خلال محاورة بعض الطلاب، فإن الشيخ قد تخصص في

1- هذا التقسيم لفئات المتعلمين استنتجته من خلال محاورتي لكثير من المتعلمين الذين انخرطوا في المعهد الإسلامي، حيث تبيّن لي أنّ فيهم من درس وانقطع من المدرسة الفرنسية، وفيهم من لم يدرس بسبب عدم اقتناع أهله، وقد ذكر لي غير واحد من المتعلمين في التعليم الأصلي هذه الفئات.

2- ينظر: صالح بوكوشة، **الدفتر المخطوط**، والمكتوب بخط الشيخ -رحمة الله عليه -المعهد الإسلامي بالوادي، العام: 1968-1969م.

3- ينظر: الشيخ صالح نغاق، **مذكرات صالح نغاق**، مخ. موجود بحوزة ابنه عبد السلام. مجموعة في سجل كُتب في صفحته الأولى قوله عزو جل: " رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي" سورة طه: 25-26-27. في: 18-10-1969م ويظهر أنّ هذا السجل مذكرات السنة الدراسية -68- 1969.

تدريس المواد الشرعية ومنها الفقه الإسلامي بفروعه المختلفة وهي: فقه الأسرة، وفقه المعاملات المالية، وفقه الجنايات أو بما يسمى التشريع الجنائي، كما استطاع بفضل حسن تكوينه المعرفي أن يدرس كل هذه الفئات المتعددة والمختلفة التكوين والمشارب، فمن الصعب على الأستاذ أن يدرس مستويات متعددة ومختلفة، إذ يكلفه ذلك جهدا كبيرا وعملا مستمرا لتحضير المادة العلمية التي سيقدمها لهم.

2-5- أهم تلاميذه في المعهد الإسلامي و التعليم الأصلي:

من خلال ما ذكره الشيخ في محاورته للدكتور عبد الكريم بوغزالة، ومن خلال اطلاعي على دفتر المناداة والعلامات الذي رصد فيه الشيخ أسماء تلاميذه في المعهد الإسلامي وجدت أعدادا هائلة من تلاميذه ذكورا وإناثا، وقد كان لبعض تلاميذه أثر فيما بعد في بناء المجتمع السوفي دعويا وتربويا وعلميا، ومن أبرز تلاميذه نذكر منهم:

أ- الشيخ عبد الكريم بلقط[1]: الأستاذ الشيخ عبد الكريم بن محمد الصالح بالقط وعائشة شرايطة، ولد في 14 مارس 1951م بالوادي، نشأ الشيخ عبد الكريم بالقط في أسرة محافظة محبة للعلم والعلماء، درس قبل الإعدادي في الكتاتيب القرآنية عند عمه بالقط لزهاري في مسجد الهداية بحي الصحن الثاني بالوادي، ثم انتقل مباشرة إلى المرحلة الاعدادية للتعليم الأصلي والشؤون الدينية بالمعهد الإسلامي، وهنا درس عند الشيخ صالح وأخذ عنه علوم الشريعة، واصل مرحلة الثانوية في التعليم الأصلي بمدينة المنصورة بقسنطينة وتحصل على شهادة البكالوريا، وكان من الأوائل فنال منحة من طرف البعثة الجزائرية لجامعة الأزهر أين التحق بكلية الشريعة والقانون، ليتحصّل على شهادة الليسانس في الشريعة

1- ينظر ترجمة الشيخ عبد الكريم بلقط، في تقاييد تراجم الأستاذ عبد الرزاق هزبري، بدون رقم، وقد نشرها في صفحته في الفيس بوك، وهي مقيدة عنده في سجل مرقون؛ إبراهيم الهامل وشرف الدين قانة وعبد الرزاق بوقراب، **في و اقع الفتوى في ولاية الوادي**، مذكرة الليسانس في العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، 2013/2012م،. ص. 35.

الإسلامية بتقدير جيد[1].

ساهم الشيخ في الحركة العلمية بعد تخرجه من الأزهر الشريف، حيث يعد من الأوائل الذين جدّدوا في التكوين والتدريس المسجدي على الطريقة النظامية، حيث ألقى سلسلة الدروس الشرعية في الفقه وأصول الفقه والقواعد الفقهية والمواريث في مسجد الفتح المعروف بجامع الظهارة، وقد كنت إماما للمسجد المذكور، فوجدت أثر الشيخ عبد الكريم في التكوين والتعليم وتثقيف الشباب ثقافة شرعية ودينية أصيلة.

يعد الشيخ عبد الكريم بلقط من الجزائريين الأوائل، الذين درّسوا العلوم الإسلامية في الثانوية لطلبة وتلاميذ ولاية الوادي فقد أخبرني بنفسه يوم أن كنت أدرس في شعبة العلوم الإسلامية رفقة ابنه محمد الطاهر، في السنة الدراسية 1997-1998 بمقر منزله الكائن بحي الصحن الثاني، أنه لما رجع من مصر ودخل التعليم الثانوي، وجد أستاذ تونسي يدرس العلوم الإسلامية.

ب- الشيخ الدكتور محمود باي -رحمة الله عليه-[2]: يعد الشيخ محمود باي من أبرز تلاميذ الشيخ في المعهد الإسلامي، وقد بقي يزوره في بيته كما أخبرني عبد السلام نغاق ابن الشيخ صالح، قال: كان الشيخ محمود باي يزور والدي في بيتنا مرة بعد أخرى، وعلامات الوقار والحياء والتقدير للشيخ لا تغادره منذ أن يجلس مع شيخه.

والشيخ محمود باي ثمرة من ثمرات شيوخه، ولعل أولهم الشيخ صالح نغاق أقول هذا؛ لأن الشيخ محمود باي لم يدرس في المدرسة النظامية ولكنه التحق

1- حسب الملاحظة الموجودة في الشهادة والمسلمة للمعني صاحب الشهادة من طرف كلية الشريعة بجامعة الأزهر بتاريخ: 1977/09/17، والتي تحمل رقم: القيد 6260 ونمرة رقم: 016969. وقد صادق مجلس الكلية، عليها حسب نتائج دورة ماي 1977م.

2- للوقوف على السيرة الذاتية للشيخ محمود باي ينظر: ما كتبته عنه ضمن الكتاب الجماعي بعنوان: **الشيخ محمود باي في ذكرى وفاته**، حيث كان لي مقال بعنوان: الشيخ الدكتور محمود باي سيرة علمية وتعليمية ودعوية، ص. 97.

بالمعهد الإسلامي مباشرة، فوجد الشيخ صالح مع نخبة من علماء الأزهر الشريف، وهنا تحصّل على تكوين علمي وشرعي. وقد استفاد محمود باي من أساتذة المعهد الإسلامي، فمارس مهمة التربية والتعليم في الإعدادي والثانوي، ولعلّ الطريقة التي درسنا بها في الثانوي طريقة أقرب ما تكون لطريقة أساتذة المعهد، ومنهم الشيخ صالح نغاق، ومن بينها حسن الاستشهاد، وكلامه بالفصحى دون استعمال اللهجة العامية، والتركيز على حفظ الدرس.

كما كان للشيخ محمود باي -رحمه الله- دور في النشاط الدعوي والإصلاحي في مساجد ولاية الوادي، ومنها مسجد الفتح، "الظهارة" ومسجد إميه باهي، ومسجد أبي ذر الغفاري بحي أول نوفمبر بلدية الوادي.

3-5- تدريسه في المدرسة الإعدادية ابن باديس بالوادي:

بعد إلغاء التعليم الأصلي وتحويل المعاهد إلى التعليم العام التابع لوزارة التربية والتعليم، خُيّر الشيخ أن يدرّس في الثانوية، حيث لا وجود لشعبة العلوم الإسلامية ميدان تخصص الشيخ صالح؛ فاختار أن يلتحق بالتعليم الإكمالي، فدخل متوسطة ابن باديس وبقي يدرّس مادة التربية الإسلامية لجميع تلاميذ المؤسسة، إلى أن أحيل على التقاعد سنة 1989م[1]. ومن تلاميذه في المتوسطة: الأستاذ أحمد حويذق، والأستاذ عبد الرزاق حمادي...، وقد تحاورت مع عدد كبير من تلاميذه تكاد تتحد وتجتمع كلمتهم على حسن أخلاقه وطيبته مع تلاميذه، وأنه كان يلقّنهم التربية قبل التعليم. ويذكر الشيخ عن نفسه أنه في أي مكان إلا ويجد من يرحب به ويسلم عليه ويخبره أنه تلميذ من تلاميذه. يعد التلاميذ من آثار الشيوخ، ولعل الشيخ صالح قد أثر في تلاميذه فنجد منهم الإمام والمربي والداعية والأستاذ.

4-5- أثره الدعوي والقرآني في المنطقة:

بعد تقاعده لزم المدرسة القرآنية التابعة لمسجد معاذ بن جبل بحي باب الواد،

1- ذكر علي عبيد في ترجمة الشيخ صالح نغاق أنه تقاعد سنة 1989م، ينظر: **اعميش، مرجع سابق**، ص. 92.

التي كان يشرف عليها الشيخ سعد دبّار - حفظه الله- حيث كان ملاذا لطلبة المدرسة يستظهرون عليه القرآن الكريم، ولعل من أبرزهم: الأستاذ بشير بن عون، والدكتور مهاوات عبد القادر، والأستاذ مناني حسين وغيرهم كثير، وكل هؤلاء أساتذة وأئمة وخطباء في مساجد الوادي، ويشتغلون في التعليم القرآني، ولهم مساهمات فعّالة نحو رسالة المسجد. وقد كان لهؤلاء التلاميذ ممن درّسهم القرآن الكريم وعلّمهم الرسم القرآني، أثر تربوي وتعليمي في منطقة وادي سوف، فقد اشتغل الكثير منهم بتعليم القرآن في مدارس الولاية. كما كان للشيخ صالح أثر فقهي دعوي، فكثيرا ما كان يؤم المصلّين في صلاة الجمعة، وله خطب دعوية في مسجد عمر ابن الخطاب بحي أولاد أحمد، ومسجد معاذ بن جبل بحي باب الوادي.

ولقد كانت زواية سيدي سالم بالوادي، تعقد مجلسا للعلماء والشيوخ فكان الشيخ صالح يأتي لهذا المجلس الفقهي، ويشارك ببعض الفتاوى والآراء الفقهية التي يحتاجها المجتمع السوفي وذلك مثل: مسائل الزكاة وخاصة بعد زراعة البطاطا بالمنطقة، وبعض الفتاوى المتعلقة بالنكاح.

ويذكر لي ابنه عبد السلام، أنه كان في بيته لا يقرأ إلا الأمهات من كتب الحديث كصحيح البخاري ومسلم وكتب الفقه المالكي، والفقه المقارن كبداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد، كما كان خطابه لجميع الفئات على اختلاف توجهاتهم الفكرية والعقدية دون أن يتدخل في القناعات، همه الوحيد هو تعليم الناس الدين الصحيح والفقه السليم والسديد، الذي يتماشى مع روح الشريعة ومقاصدها.

6- وفاته:

تترك وفاة العلماء والشيوخ ثلمة وأثرا في ساحة العلم والمعرفة لا يسد، قال ابن القيم -رحمه الله- عنهم : "هم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء، بهم يهتدي الحيران في الظلماء، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب،

وطاعتهم أفرض من طاعة الآباء والأمهات بنص الكتاب"[1]. وفعلا لقد اتضح لي أثر وفاة الشيخ صالح نغاق خاصة في المدرسة القرآنية لمسجد معاذ بن جبل، من خلال محاورتي لبعض معلمي المدرسة القرآنية ومنهم حسين مناني، كما كان أثر وفاته واضحا في حلقة العلم الشرعي والمجلس الفقهي الذي كان يعقد صبيحة كل جمعة في زاوية سيدي سالم العامرة، حيث ترك فراغا للفتوى، لاسيما وأنه أخذ الفتوى والإجابة عن الأسئلة الشرعية خاصة بعد وفاة الفقيه الشيخ البخاري عوينات.

توفي الشيخ صالح نغاق -رحمه الله- صبيحة يوم الاثنين 2016/10/08م. ودفن في مقبرة أولاد أحمد، وتبع جنازته شيوخ وأئمة وعلماء المنطقة وتولى تأبينه الدكتور يوسف عبداللاوي .

6- الخاتمة

في نهاية هذه المداخلة، يمكنني رصد جملة من النتائج التي توصلت إليها، أثبتها فيما يأتي:

- استفادت منطقة وادي سوف من الرحلات العلمية للشيخ صالح نغاق، وقد برز ذلك في الجوانب التربوية والتعلمية خاصة عندما تولّى التدريس في المعهد الإسلامي للتعليم الأصلي، في زمن قلّ فيه التأطير التربوي، وقلّت فيه الكفاءة العلمية الأكاديمية، حيث كان عدد حاملي الشهادات الجامعية قليل جدا، خاصة في فترة بعد الاستقلال في تخصص العلوم الإسلامية، وقليل ممن كان مؤهل لعملية التدريس والتعليم في المدارس والمؤسسات التعليمية التي تشترط تكوينا أكاديميا، فكان الشيخ صالح أحد البارزين في التعليم النظامي، رفقة النخب والأساتذة الوافدين من الخارج، وهذا نتيجة رحلته للحجاز وحصوله على الشهادة العالمية من المدينة النبوية.

1- ابن قيم الجوزية، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، تح. محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م، 8/1.

- يعد الشيخ صالح معلم لكثير من الأجيال الذين تولوا التعليم والتدريس في الأطوار التعليمية المختلفة؛ الابتدائي، والإعدادي، والثانوي.

- استفادت المنطقة من تجارب الشيخ صالح، وما أخذه من علماء الحجاز وعلماء الزيتونة في تونس، حيث كان يُدرس بالطريقة الحديثة في المعهد الإسلامي وبالطريقة التقليدية في المدارس القرآنية والمساجد.

- البحث في تراجم أعلام المنطقة، يكسبنا فكرة ويعطنا معرفة عن أحوال شيوخها وعلمائها، وكيف كانت همتهم في طلب العلم والمعرفة، إذ أنّهم تكبدوا مشاق السفر وعناء الرحلة العلمية لأجل الدراسة والتكوين، كما يوضح لنا حب أهل وادي سوف للعلم الشرعي، وهو واضح في إرسال الأبناء إلى الحواضر العلمية، كجامع الزيتونة بالبلاد التونسية، وجامع الأزهر بأرض الكنانة وغيرهما، طلبا للعلم والمعرفة.

7- قائمة المصادروالمراجع:

- الكتب والوثائق:

- إبراهيم الهامل وعبد الرزاق بوقراب وشرف الدين قانة، **و اقع الفتوى في ولاية الوادي**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس في العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، السنة الدراسية، 2012-2013م.

- ابن ماجة، **سنن ابن ماجه**، تح. شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، دمشق، 1430هـ -2009م.

- الجوزية ابن قيّم، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، تح. محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م.

- الزركلي خير الدين الدمشقي، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط. 15، 2002م.

- الشهادة المسلمة للمعني -عبد الكريم بلقط - صاحب الشهادة من طرف كلية الشريعة بجامعة الأزهر بتاريخ: 17/ 09/ 1977 والتي تحمل رقم القيد: 6260 ونمرة رقم: 016969، وقد صادق مجلس الكلية، عليها حسب نتائج دورة ماي 1977م.

- الشيخ صالح نغاق، **مذكرات صالح نغاق**، مخ. بخط يديه، مذكرات السنة الدراسية 1968-1969م.

- العمري عصام الدين عثمان بن علي بن مراد، **الروض النضر في ترجمة أدباء العصر**، 1975م.
- اللولب حبيب حسن، **الطلبة الجزائريين بالبلاد التونسية (1876-1962م)**، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، دار سيدي الخير للكتاب، 2013.
- المغراوي محمد بن عبد الرحمن، **موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية**، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، النبلاء للكتاب، مراكش، المغرب، د. ت.
- بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد، **طبقات النسابين**، دار الرشد، الرياض، 1987م.
- بوكوشة صالح، **دفتر أسماء المتمدرسين**، مخ. موجود في مكتبة الشيخ، المعهد الإسلامي بالوادي، العام الدراسي 1968-1969م.
- جواز سفر، صادر عن السلطة الاستعمارية الفرنسية ويحمل العلامات الشخصية للشيخ صالح، صدر بتاريخ 21 نوفمبر، 1953م، ويحمل رقم: LE07357، وقد مدد من طرف الحكومة المؤقتة، مرتين أولهما في 12/ 02/ 1961، وثانيهما سنة 1963م
- شهادة إتمام الدراسة الثانوية صادرة عن رئاسة الكليات والمعاهد العلمية، بالمملكة العربية السعودية، وهي تحمل رقم: 847 والصادرة بتاريخ 15/ 05/ 1381هـ
- فضيل عبد القادر، **نظام التعليم في الجزائر، بين مظاهر التدني، ومستويات التحدي**، جسور للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، 1438هـ، 2016م.
- مجموعة من المؤلفين، **الشيخ محمود باي في ذكرى وفاته**، سامي للطباعة والنشر والتوزيع، الوادي، 2021م.
- وثيقة صادرة عن مصالح الحالة المدنية لبلدية الوادي معنونة بـ: مستخرج من السجل الأصلي والتي تحمل رقم: 1948-449 A.

- المقابلات والمحاورات الشخصية:

- مقابلة مع الشيخ صالح نغاق، أجراها معه عبد الكريم بوغزالة في بيته مسجلة صوتا وصورة، بتاريخ: الأربعاء 22 ربيع الثاني 1436هـ/ الموافق لـ: 11 فيفري 2015م.

دور المسجد العتيق بخبنة عميش في الرحلة العلمية

The role of the ancient mosque in Khbna Amish in the scientific journey

د. مراد فرجاني

جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي، (الجزائر)
ferdjanimourad@gmail.com

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص:

تتناول هذه الدراسة موضوع الرحلة العلمية التي قام بها طلبة العلم بخبنة عميش/ الوادي خاصة في فترة الاستعمار الفرنسي، حيث لعب المسجد العتيق بهذه المنطقة دورا بارزا في دفعهم (الطلبة) إلى المضي قدما إلى جامع الزيتونة لغرض طلب العلم وتحصيله، بحكم عدّة عوامل، قربه الجغرافي وشهرته كمركز إشعاع علمي ذاع صيته في كل ربوع العالم، علاوة على توفر إمكانيات أخرى ساهمت في إقبال الطلبة عليه، مثل الإطعام والإيواء..، وقد اعتمدت الورقة البحثية على المنهج التاريخي لتتبع مسار الرحلات الطلابية بمنطقتنا، ولتخلص في الأخير إلى أن الهدف من وراء رحلاتهم الرّقي بالمجتمع وإخراجه من بوتقة الجهل والأمية المتفشية آنذاك.

الكلمات المفتاحية: الرحلة؛ العلم؛ المسجد العتيق؛ جامع الزيتونة؛ الطلاب.

Abstract:

This study deals with the topic of the scientific journey undertaken by the students of knowledge in Khbna Omeish / Al-Wadi, especially during the French colonial period, where the ancient mosque in this region played a prominent role in pushing them (students) to proceed to Al-Zaytouna Mosque for the purpose of seeking and acquiring knowledge, by virtue of several factors such as its geographical proximity And its fame as a center of scientific radiation that became famous all over the world, in addition to the availability of other capabilities that contributed to the demand of students for it, such as feeding and sheltering ..., and this research paper relied on the historical method to trace the path of student trips in our region, and concluded in the end that the goal of Behind their journeys is the sophistication of society and its removal from the crucible of ignorance and illiteracy rampant at the time.

Keywords: *the trip; Science; the ancient mosque; Al-Zaytouna Mosque, students.*

1- مقدمة

تعدّ الرّحلة العلمية من أهم السّبل التي تساهم في تشكيل الشخصية العلمية لأي طالب علم؛ فمن وراء حلّه وترحاله يتعلم الصبر لأجل بلوغ مبتغاه، والمتمثل في الاستزادة وتحقيق المنفعة العلمية والمعرفية من شيوخ العلم الذين يقصدهم أو من يكونون في طريقهم إضافة إلى ما يجلبه معه من زاد نفيس يتجلى في الكتب والمخطوطات العلمية النادرة والمفيدة.

وتنقسم الرحلة العلمية إلى نوعين داخلية وخارجية أي داخل الوطن وخارجه، ولقد اخترنا النوع الثاني لموضوع دراستنا، وفيه سنتتبع مسيرة الرحلة العلمية لطلاب خبنة عميش انطلاقا من النواة المحركة لهذه الرحلة؛ أي المسجد العتيق مرورا بجامع الزيتونة وفضله في تنوير عقولهم وصولا إلى الدور الفعال في نشر الوعي الثقافي بمنطقتهم وببعض ولايات الوطن، الأمر الذي ساهم بشكل رئيسي في التحرر من ربقة الاحتلال الفرنسي.

ومن هذا المنطلق نطرح الإشكال الذي مفاده: ما طبيعة تلك الرحلات الطلابية التي قام بها أبناء قرية خبنة عميش بالوادي؟ وماهي دوافعها وأسبابها؟ وما هو الأثر الذي أحدثه الطلبة عند قدومهم لمنطقتهم ووطنهم؟

2- التعريف بخبنة عميش:

تقع خبنة عميش[1] في المنطقة الجنوبية لمدينة وادي سوف على بعد حوالي

1- تسمية عميش جاءت نسبة لرجل من زناتة أعمش العينين مات هناك. ويقال أنّ عميش رجلا من البادية جوادا في قومه، يتبعه الكثير ممن أقعدهم الفقر. وكان قريب العهد بمقدم طرود، مات في حال رجوعه من الصحراء. وقبره في مكان يسمى الفلاوين شمال قرية الخبنة ويعود أصل رجال عميش، إلى أمازيغ الجنوب التونسي وهم من قبيلة زناتة تدعى عموش، وقد خرجوا في قافلة اتجاه الغرب بحثا عن المراعي، وصلوا إلى أرض سوف قبل قرابة مائة عام من وصول الطرود، ولما وصلوا إلى أحد الصحون الواقعة شمالي خبنة الرباح، أعجبتهم المراعي فحطوا الرحال فاستقروا وأسسوا زاوية، وهي عبارة عن خيمة للتعليم وإطعام المساكين. ولما توفي رجال عميش واحدا تلو الأخر اتجه أبناؤهم وأحفادهم نحو الغرب وبقي الموقع مزارا للمارين إلى يومنا هذا. ينظر: إبراهيم العوامر، **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، وزارة الثقافة، الجزائر العاصمة، 2007، ص. 110؛ محمد فضيل بن عمر، **تاريخ و أنساب**، مطبعة الرمال، الوادي، الجزائر، 2016، ص. 183؛ علي عبيد، **عميش مونوغر افيا**، مطبعة سامي، الوادي، الجزائر، ص. 14.

عشرون كيلوا متر في مكان منخفض لحمايتها من الظروف الطبيعية القاسية التي تعرفها المنطقة، ولقربها من المياه الجوفية في باطن الأرض لتسهيل عملية زراعة النخيل بعد حفرها بما يسمى رفع الرملة في الغوط بغابة النخيل أو واحة النخيل؛ لأن منتوجها يعتبر المصدر الأساسي لمعيشة سكان المنطقة، ويقال من شهود عيان أنه أول غوط بمنطقة عميش والثاني على مستوى وادي سوف بقرية الخبنة والذي يسمى بغوط السوفي بعرش أولاد أحمد بغرب شمال المسجد العتيق الحالي.

ورغم طبيعة قاطنيها المعروفة بالبدو الرحل إلا أن أول من سكنها وأستقر فيها عائلات من المزاوير من عرش أولاد أحمد وبعدها توالت عائلات وعروش مختلفة كعائلة فرجاني ولقرع وحماتي..، اللواتي يندرجن ضمن عرش أولاد أحمد، أما من عرش الربايع فنجد عائلة جويدة و سويعي..، في حين نجد من عرش الفرجان عائلة معتوق و منيعي.. وكغيرهم فقد فطر أهل المنطقة على حب العلم وتجسّد ذلك في:

- الترحيب بأول مدرس للقرآن الكريم الملقب بـ "السايحي" وتهيئة مكان مناسب له ولطلبة العلم.
- الدعم المالي والمعنوي في سبيل العلم.
- حث طلبتهم على مواصلة طلب العلم.

3- المسجد العتيق بخبنة عميش والرحلة العلمية:

يعتبر المسجد العتيق بخبنة عميش، من المساجد الأولى التي أنشأت بالمنطقة قبل فترة الاحتلال الفرنسي بسنوات[1]، ورغم بساطة عمرانه الأول[2]؛ إلا أنه تميز

1- يحتل المرتبة الثالثة في إنشائه بالمنطقة الجنوبية بعد مسجدي المراغنية بمنطقتي الصحن والرباح. لقاء شخصي مع بعض شيوخ المنطقة كقدوري علي ولقرع عبد المجيد وفرجاني محمود، بالمسجد العتيق في 2022/12/07، مساء بين صلاتي المغرب والعشاء.

2- قام أهل الخبنة بتجديد بنائه أربع مرات، فبعد انهياره في المرة الأولى سنة 1930 قام أهل القرية بإعادة بنائه سنة 1940 على يد البناء عسيلة الهاشمي على بعد أمتار من مكانه الأول. وفي سنة 1974 أعيد بنائه بالجبس وتوسيعه والذي لا زالت أطلاله موجودة لحد الآن، وتم تجديده بالإسمنت للمرة الرابعة في صورته الحالية منذ سنة 1993. عبيد علي، مرجع سابق، ص. 78؛ لقاء شخصي مع بعض شيوخ المنطقة كمحمود فرجاني في 2022/12/10 مساء قبيل صلاة العشاء.

بمدارسه القرآنية الصارمة. أما عن الطلبة الذين درسوا فيه منهم: محمد العيد خالدي، ثاني إمام بالمنطقة الذي تولى شؤون المسجد بعد الإمام السايحي، والشيخ الهادي عمامرة، والشهيدين في الثورة التحريرية: لقرع محمد الضيف وأخوه محمد الطيب وغيرهم، فهؤلاء كان لهم الأثر الكبير في تخرّج العديد من الطلبة على أيديهم، كعبد الرحمان عمامرة، وعبد العزيز خالدي والبشير خالدي..

والجدير بالذكر أن الرحلة العلمية حظيت باهتمام العلماء القدامى والمحدثين على حدّ سواء، ومنهم العلامة ابن خلدون (808هـ/732هـ - 1336م/1406م) الذي نوه في كتابه المقدمة، لدورها وأهميتها الكبيرة على الإنسان حيث قال: "فالرحلة لا بدّ منها في كسب العلم، لاكتساب الفوائد، والكمال بلقاء المشايخ، ومباشرة الرجال"[1]؛ لذلك و جدناها في طليعة انشغالات مشايخ وأئمة مساجد وادي سوف، كأئمة المسجد العتيق بالخبنة، فإليهم يرجع الفضل في تشجيع طلابهم للتوجه إلى جامع الزيتونة[2]بتونس، للنّهل من علمائه ومشايخه، في مختلف العلوم، ولنيل شهادات علمية معتبرة.

والملفت للانتباه أنّ أولائك الطلبة كان لهم دور بارز في تنشيط الحركة العلمية بمختلف أبعادها؛ التربوية، والتعليمية، والإصلاحية، والثورية بالمسجد وخارجه، بدء بمسقط رأسهم، ثم إلى مركز مدينة الوادي، وصولا إلى مختلف أنحاء الوطن، كمنطقة القبائل وسيدي خليل بوادي ريغ وغيرهما. وسنتطرق إلى الحركة العلمية حسب طبيعة كل شيخ بانفراد، وذلك بعد أن نعرّج على دوافع الرحلات العلمية

1- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2007، ص 592.

2- تعريف بجامع الزيتونة: يعد جامع الزيتونة أحد أقدم معاهد العلم بتونس والعالم الإسلامي، أما عن تأسيسه فقد اختلف المؤرخون في تحديد تاريخه، فهناك من يرجح أن من أمر ببنائه هو حسان بن النعمان عام 86هـ/705م، 79هـ/ 698م، كما قام عبيد الله بن الحبحاب بإتمام عمارته سنة 114هـ/732م. وتعود شهرة هذه المنارة إلى الدور العلمي والثقافي الذي اضطلع به عبر العصور. ويؤكد العلامة عبد الرحمن بن خلدون الذي تتلمذ فيه ودرس به، حيث صنفه في طليعة المؤسسات التعليمية بالمغرب الإسلامي خلال القرنين 8و 9هـ/14و15م. وكان التعليم به يشمل التعليم الإسلامي والديني والأدبي والفلسفة والرياضيات والفلك. ينظر: خيرة الدين شترة، **الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900. 1956م**، ج. 1، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص. 706.

وطرق الالتحاق بها، والتي يمكن حصرها في النقاط التالية:

- القرب الجغرافي بين وادي سوف وتونس.

- الظروف المزرية التي أصبحت تعيشها المنطقة؛ بسبب السياسة الاستعمارية، دفعتهم للهجرة صوب تونس الشقيقة.

- امتناع أهالي خبنة عميش عن مزاولة التعليم في المدارس الفرنسية، حيث يعتبرون تعليمها غير إسلامي، يهدف إلى التشكيك في العقيدة الإسلامية.

- زيارة وفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لوادي سوف، وعلى رأسهم عبد الحميد بن باديس سنة 1937م، كانت دافعا قويا وراء التنمية الفكرية بالمنطقة.

- ساهم قدوم الطلبة من جامع الزيتونة في المناطق المجاورة أو من ذات المنطقة أثناء عطلتهم الصيفية أو تخرجهم، في تشجيع الراغبين في الدراسة للالتحاق بجامع الزيتونة للنهل من معينه والاقتداء بمن سبقوهم.

- كان لزيارات علماء تونس لوادي سوف صداها لمنطقة خبة عميش وقيامهم بحلقات علمية الأثر البالغ في تشجيع طلبتها لالتحاق بجامع الزيتونة ونذكر من هؤلاء المشايخ: الشيخ المكي بن عزوز والشيخ إبراهيم البختري..

4- رحلة طلبة خبنة عميش إلى جامع الزيتونة بتونس الشقيقة:

على الرغم من الرغبة الجامحة لدى طلبة العلم للرحلة العلمية بمنطقة خبنة عميش، إلا أنها اقتصرت على مجموعة من الأفراد كان لهم السبق والتميز، انطلاقا من الأثر الذي أحدثوه على مختلف الأصعدة، خصوصا في المجال الثوري، الذي تباين بتباين أسلوب وطريقة الطالب، نذكر من هؤلاء:

4-1- الشيخ الهادي بن علي عمامرة:

ولد الشيخ عمامرة الهادي بن علي بن مبروك بن فاطمة خلال 1886 بالخبنة، فقد أباه وعمره سبع سنوات، وبعد وفاة أمه باع إرثه وقرر الذهاب إلى الحج، لكن عند نزوله بنفطة التونسية، وجد جماعة يعرفهم من منطقته عميش، فدخل

مدرسة قرآنية وحفظ ربع ياسين، ثم توجه إلى زاوية توزر فوجد متطوعون يدرسون علوم الفقه والتوحيد ومبادئ الشريعة والنحو والصرف، ثم ذهب إلى جامع الزيتونة أين تحصل على شهادة التطويع[1].

رجع إلى مسقط رأسه بالخبنة سنة 1926م، وفي عمر 40 سنة ولا يملك أي شيء سوى علمه، فباشر العمل كإمام بالمسجد ومعلم للقرآن والفقه ومبادئ اللغة والحساب وغيرها، وبعد الاستقلال انتقل إلى مدينة الوادي تقريبا عام 1967/1968،[2] ظل الشيخ عمامرة الهادي يوجه وينصح ويزرع بذور العلم والمعرفة طوال مشوار حياته إلى أن وافته المنية في 28أكتوبر 1972 بالوادي.

أ- الشيخ عمامرة الهادي مفتيا ومعلما وإماما:

كان الشيخ عمامرة الهادي، طموحا ومحبا للتعلم والتعليم، فبعد دراسته بالزيتونة واستيعابه العديد من العلوم كحفظه لموطأ الإمام مالك وغيرها، وتدريسه للقرآن الكريم ومبادئ اللغة والحساب في الجامع العتيق بقريته (الخبنة)، أصبح مفتيا في الحلال والحرام، يقصده الناس للاستفتاء في أمور دينهم ودنياهم، والأخذ بمشورته في القضايا الاجتماعية وحتى السياسية. فكان ينتقل حتى خارج المنطقة إلى حل العديد من المشكلات فعرضت عليه السلطات الفرنسية منصب الإفتاء لمنطقة وادي سوف، ولكنه رفض بحجة وجود الاحتلال الفرنسي، ما عرّضه لمضايقات أدّت في النهاية إلى اعتقاله ومحاولة قتله، من طرف رئيس وقائد مركز لاصاص بالرباح (كرنبا)؛ إلا أن أهالي منطقة الرباح وما جاورها خرجوا على بكرتهم وضغطوا لفك اعتقاله[3]، كما استمر في دفع اشتراكاته المالية للثورة عن طريق لشهيد فرجاني العربي.

1- علي عبيد، مرجع سابق، ص. 81.

2- ثم إماما بالصحن الأول بجامع شادو بعد الاستقلال. لقاء شخصي، مع محمود فرجاني بالمسجد العتيق "الخبنة"، في صيف 2021.

3- لقاء شخصي، مع ابن الشيخ، الشيخ خليل عمامرة، عبر خدمة الواتساب، يوم 20 أفريل 2022.

وقد كان ينتقل من حين إلى آخر بعد عودته من جامع الزيتونة لمنطقة سيدي خليل (بجامعة حاليا) بوادي ريغ ليواصل نشاطه التعليمي والإصلاحي والدعوي هناك[1]، بتكليف من الشيخ عبد العزيز الشريف، الذي طلب منه أن يعمّر مسجده هناك، فأشترط عليه أن يُقسّم السنة فصلين (الشتاء والربيع) في سيدي خليل، وفصلي الصيف والخريف في الخبنة، واستمر على هذا الأمر، إلى غاية سنة 1944 حيث بقي في الخبنة[2]. وقد تتلمذ علي يده العديد من الشيوخ ومن بينهم الشيخ حسين حمادي، والشيخ لقرع محمد الضيف، والشيخ لقرع محمد الطيب، والشيخ دربال عبد القادر وغيرهم[3].

2-4- الشيخ الشهيد لقرع محمد الضيف:

وهو الشهيد محمد الضيف بن لمام بن سعد بن فرجاني لقرع، أمُّه جِمْعة سوفية، ولد سنة 1913بقرية خبنة عميش (ببلدية النخلة حاليا)، إخوته من الذكور محمد الطيب وعبد المجيد، ومن الإناث الزهرة ومسعودة. نشأ وتربى بقرية الخبنة، بدأ تعليمه على يد والده، فحفظ القرآن الكريم، الذي أتمّه مبكرا على يد والده، هذا الأخير كان مولعا بالعلم والتعليم، وكان أغلى شيء عنده وعند أهل سوف قاطبة هو النخيل، لذا فقد قال لابْنَيْه الشهيدين محمد الطيب ومحمد الضيف يوما: "واصلوا دراستكم حيثما رغبتم وأنا مستعد أن أبيع من أجل تعلّمكم ما أملك من النخيل"[4]. كانت حياة الصبي كعادة أطفال القرى بسيطة وطبيعية، خاصة وأن الحالة الاجتماعية للعائلة كانت ضعيفة ماديا.

1- لقاء شخصي، مع محمد لقرع بالمسجد العتيق بالخبنة في 2022/4/15.

2- علي عبيد، **مرجع سابق**، ص. 81.

3- لقاء شخصي، مع ابن الشيخ، الشيخ خليل عمامرة عبر خدمة الواتساب، يوم 2022/4/20.

4- والتي تقارب 60 نخلة تقريبا. لقاء شخصي مع عبد المجيد لقرع بالمسجد العتيق بالخبنة في 11 أفريل 2022 صباحا على الساعة 18:20؛ محمد الصالح بن علي، **شهداء الثورة التحريرية ببلدية النخلة**، مطبعة مزوار الوادي، الجزائر، 2014، ص. 68.

أ- انتقال الشهيد محمد الضيف إلى جامع الزيتونة:

وكما أسلفنا القول، إن والده شجعه كثيرا على مواصلة دراسته، بل كانت أمنيته الأولى والأخيرة، أنْ يلتحق ابنيه بجامع الزيتونة كعادة أبناء المنطقة المحبين للعلم، وهو ما تحقق في بداية الأربعينيات بعد اجتيازه لامتحان الدخول مع أخوه محمد الطيب وقد تزامن التقائهم بالشيخ الحسين والذي سبقهم بعام. فتلقى محمد الضيف مختلف العلوم بالزيتونة على عدد من المشايخ المتخصصين في عدد من العلوم ومنهم:

- الشيخ محمد عبد العزيز النيفر
- الشيخ أحمد بن عثمان
- الشيخ محمد التارز
- الشيخ إبراهيم النيفر
- الشيخ محمد البشير النيفر
- الشيخ محمد الزغواني

والتي أهّلته بأن يكون من رجال العلم المشار إليهم بالبنان في الجهة[1].

ب- الشهيد محمد الضيف مدرّسا ومصلحا ومجاهدا:

آمن الشهيد محمد الضيف بمنهج جمعية العلماء المسلمين وعمل به، حيث قاد حركة إصلاحية علمية بالجهة الجنوبية من الوادي، بعد رجوعه من جامع الزيتونة، حيث شرع في تدريس وتعليم القرآن الكريم وعلومه من فقه ونحو وصرف...، بمدارس جمعية العلماء وبمدينة الوادي بمدرسة شيحات[2]، والتي كان يدرس بها حوالي 70 طالبا، كما سعى إلى نشر الوعي الفكري عن طريق الحلقات والمحاضرات والنشاط الكشفي، رغم تعرّضه للظرب من السلطات الفرنسية كل يوم جمعة[3]، إضافة إلى نشاطه العلمي لم يُخف محمد الضيف توجهه السياسي وموقفه الداعم للحركة الوطنية والتحضير للثورة المسلحة، المتجسد في انخراطه

1- **السابق**، ص. 69.

2- نسبة إلي المسؤول عن المدرسة عبد الباقي شيحة. لقاء مع عبد المجيد لقرع، **مرجع سابق**.

3- **السابق**.

المبكر في التنظيم القاعدي والمدني المساند للثورة بالتجنيد والتعبئة وجمع المال وتوعية الشباب، وكان ذلك في شهر ديسمبر 1954.

ونظرا لنشاطه الإصلاحي البارز، قامت جمعية العلماء بتعينه مدرسا بإحدى مدارسها بمنطقة القبائل[1]، وبالضبط في قرية آيت أو عبان (تيزو وزو) فانتقل مع عائلته إليها سنة 1955، وفي هذه المنطقة صار الشهيد محمد الضيف المعلّم والمربّي والمؤذن والمصلح والمسؤول والقاضي التقليدي الذي يتقاضى عنده الناس، في حين واصل نشاطه الثوري ضمن المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني في منطقة تعج بالنشاط الثوري والعدد الكبير من المجاهدين[2]، فغدا بيته مقرا سياسيا ومأوى ومطعما للثوّار، وأقلق ذلك السلطات الفرنسية فعمدت إلى مداهمة البيت عدة مرات[3]، والتضييق على نشاطه واعتبرته المحرك الرئيسي للثورة بالمنطقة، ومصدر قلق وشخصية غير مرغوب فيها وجب التخلص منها بأي ثمن وبشتى الطرق، وهو ما فعلته في ضحى أحد أيام شهر ذي القعدة 1376هـ/ الموافق لجوان 1957[4]، حين داهمت قوات عسكرية بيته[5]، والقت القبض عليه، ثم أخرجته إلى الساحة بعدما عصبت عينيه بقطعة قماش سوداء، لكن عندما تأكد الشهيد محمد الضيف من نيتهم السيئة فك العصابة السوداء ورماها بعيدا ثم صلّى ركعتين، وقال لجلّاديه الآن افعلوا ما شئتم، فنال الشهادة برصاصات الغدر، رحمه الله وجعل مأواه الجنة[6].

3-4- الشيخ الشهيد لقرع محمد الطيب:

وهو الشيخ لقرع محمد الطيب بن لمام بن سعد بن فرجاني لقرع، أمّه جِمْعة سوفية، ولد خلال 1916بقرية الخبنة (بلدية النخلة) أخو الشيخ لقرع محمد

---

1 .وكان أحمد ميلودي من أخوال أم الشهيد المنسق الرئيسي لذلك، المرجع نفسه.

2- ومن بينهم القائد عميروش. لقاء شخصي مع، أبرز أعيان العمومة الحاج محمد لقرع بالمسجد العتيق، "الخبنة "، في 15 أفريل 2022.

3- يقال أربع مرات. لقاء مع عبد المجيد لقرع، **مرجع سابق**.

4- ويقال في 7 ماي1957. لقاء مع الحاج محمد لقرع بمسجد، **مرجع سابق.**

5- ويقال أنّه كان مع الشهيد عميروش، والذي أصر عليه بالهروب سويا ولكنه رفض. **المرجع نفسه.**

6- محمد الصالح بن علي، **مرجع سابق**، ص ص. 69-70.

الطيب، بدأ حياته بالمهنة المتداولة بالقرية آنذاك، وهي غراسة النخيل والفلاحة، وقد طلب منه والده لِمَام حفظ القرآن الكريم كما فعل أخوه الأكبر محمد الضيف، لكنه تمنّع في بادئ الأمر، وبعدما أتعبته الأشغال الشاقة المتمثلة في رفع الرمال على الظهر ،التي فرضها عليه والده تأديبا له، ورأى أخاه الأكبر محمد الضيف ينعم بالتعليم في جامع الزيتونة، حزّ ذلك في نفسه وندم على تصرّفه وقرّر الدخول إلى المدرسة القرآنية الملحقة بمسجد الخبنة، والتي يديرها آنذاك والده لمام، وبعزيمة منه حفظ القرآن في مدة ثلاث سنوات، وصلى به صلاة التراويح في العام الثالث، وكان ذلك حوالي سنة 1944.[1]

أ- انتقال لقرع محمد الطيب إلى جامع الزيتونة:

لقد وعده والده بأن يبيع من أجل تعلمه ما يملك من نخيل، حيث أرسل ابنه محمد الطيب إلى جامع الزيتونة ليلتحق بأخيه الأكبر الشهيد محمد الضيف في السنة الدراسية 1945/ 1946، ومنها تحصّل على شهادة الأهلية في سنة 1948 /1949، أما شهادة العالمية فقد تحصل عليها في الموسم الدراسي 1951/ 1952، وبعد ذلك رجع إلى مسقط رأسه سنة 1954.

ب- الشهيد محمد الطيب المناضل والمعلم والإمام:

بعد عودته من جامع الزيتونة، انظم إلى أخيه في التدريس والمشاركة في نشاطات جمعية العلماء المسلمين بمدية الوادي، ومع اندلاع الثورة التحريرية سنة 1954، انضم محمد الطيب لصفوفها، في شهر ديسمبر من نفس السنة وهو التاريخ ذاته الذي التحق فيه اخوه الأكبر بالثورة، داعما لها بنضاله الذي تمثل في التوعية والتعبئة والتجنيد وجمع الأموال والسلاح سرا. ففي شهر فيفري 1955 وبعد عودته من المدينة إلى مسقط رأسه بقرية الخبنة مع العمل بالتدريس والصلاة، واصل مسيرته النضالية السرّية، فأجتمع مع القائد حمه لخضر في بيت الزنقي. وإلى غاية خريف سنة 1956م حين اشتداد الرقابة عليه أبلغه الحاج محمد لقرع بضرورة الخروج من القرية ومن منطقة الوادي ككل، والالتحاق بأخيه

1- **السابق**، ص. 88.

في منطقة القبائل[1].

وبعد تفكير عميق قرر الشهيد محمد الطيب الالتحاق بأخيه في منطقة القبائل الكبرى، وبالضبط في قرية آيت أو عبان بلدية أقبيل دائرة عين الحمام حاليا، وامتهن التدريس هناك بقرية مجاورة لقرية آيت أو عبان تسمى" تروال"، وفيها حظي الشهيد محمد الطيب بوافر التقدير والاحترام من طرف سكانها، وصنّفوه كأحد أعيانها، وعلم من أعلامها، فاندمج معهم كأخ ومعلّم وإمام ومجاهد حين حمل السلاح وصعد يقاتل العدو في جبال جرجرة بالليل ويزاول مهنة التدريس بالنهار[2].

وعندما علم باستشهاد أخيه محمد الضيف في 7 ماي 1957 بالقرية المجاورة آيت أو عبان، صُدم وفُجع وأدرك أن العدو الذي غدر بأخيه سيغدر به آجلا أم عاجلا، فغير مجرى مسيرته الجهادية بتخليه عن التدريس نهائيا والنزول إلى منطقة الأوراس، ليأخذ مكانه بين صفوف جيش التحرير الوطني، وشاء قدر الله، أن يلقى ربه ويستشهد في أول معركة جرت عند التحاقه بجيش التحرير بالأوراس[3]، وكان ذلك في شهر صفر 1378هـ / الموافق لأوت سنة 1958، فرحمه الله واسكنه فسيح جناته.

5- خاتمة:

في آخر المطاف نخلص إلى جملة من النتائج أو السمات المشتركة لهؤلاء الأعيان بمنطقتنا في مجال الإصلاح الدعوي والتربوي، ولعل أهمها ما يلي:

- إن الرحلات العلمية لطلبة خبنة عميش، وأخص بالذكر الرحلة إلى جامع الزيتونة، تعدت المفاهيم النظرية إلى المفاهيم العملية، إذ ساهمت حركة الطلاب إلى جانب الشهادات العلمية التي تحصلوا عليها، في الثراء العلمي للمنطقة، والذي تجلّى في جلب العديد من نفائس الكتب والمجلات القيّمة، لأن هؤلاء الأبطال عاشوا

1- لقاء مع الحاج محمد لقرع بمسجد، **مرجع سابق**؛ لقاء مع عبد المجيد لقرع، **مرجع سابق**.

2- محمد الصالح بن علي، **مرجع سابق**، ص ص. 89-90.

3- سعد العمامرة، الجيلاني العوامر، **شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف**، مطبعة النخلة، د، ت، ص. 140.

للقرآن ومع القرآن متعلمين ومعلمين في قريتهم، وفي بعض نواحي وطنهم كواد ريغ ومنطقة القبائل.

- لم يصل هؤلاء الأشاوس لهذه المكانة من العلم؛ إلا بعد جهود مضنية، وإرادة قوّية، وتشجيع من طرف مشايخ وأئمة المسجد العتيق بالمنطقة، وكذا عائلتهم التي دفعت النفس والنفيس، بغية ارتقاء أبناءها إلى أعلى مراتب العلم، رغم بعدهم عن مراكز التعلّم الرائدة آنذاك.

- هؤلاء الطلاب، كان لهم فضل كبير في إخراج الناس، كبارا وصغارا، من ظلمة الجهل والأمية، إلى نور العلم والحق، بتعليمهم مبادئ القراءة والكتابة، وتلقينهم تعاليم دينهم الحنيف.

- إن الرحلات العلمية التي قام بها طلبة هذه المنطقة أدّت مع مرور الزمن إلى صحوة ثقافية شملت كل المجالات الحياتية.

5- قائمة المصادروالمراجع:

*** القرآن الكريم**

1- المصادر:

- ابن خلدون عبد الرحمن، **المقدمة**، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2007.
- العوامر إبراهيم محمد الساسي، **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، منشورات ثالة، الجزائر، 2007.

2- الروايات واللقاءات الشفوية:

- لقاء شخصي: مع الحاج محمد لقرع، بمسجد الخبنة العتيق يوم 2022/04/15.
- ولقاء مع أخ الشهيد في نفس المكان يوم 2022/04/11.
- لقاء شخصي: مع محمود فرجاني بالمسجد العتيق "الخبنة "في صيف 2021.
- لقاء شخصي: مع ابن الشيخ، الشيخ خليل عمامرة القاطن بفرنسا، عبر خدمة الواتساب، يوم 20 أفريل 2022.

3- المراجع:

- بن عمر محمد فضيل، **تاريخ و أنساب**، مطبعة الرمال، الوادي، الجزائر، 2016.
- عبيد علي، **عميش مونوغرافيا دراسة عامة**، مطبعة سامي بالوادي، 2022.
- شترة خيرة الدين، **الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1956.1900م**، دار البصائر، الجزائر، 2009.
- العمامرة سعد، العوامر الجيلاني، **شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف**، مطبعة النخلة، د. ت.
- بن علي محمد الصالح، **شهداء الثورة التحريرية ببلدية النخلة**، مطبعة مزوار، الوادي، 2014.

زيارة وفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى وادي سوف سنة 1937، وأثرها الثقافي في المنطقة

Visit of The delegation of the Algerian Muslim Scholars Association to Oued-Souf in 1937, and its cultural impact on the region.

د. أحمد بالعجال

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة الوادي (الجزائر)

beladjal-ahmed@univ-eloued.dz



ملخص:

تطرق هذه المداخلة موضوع مهم جدا في تاريخ واد سوف، وتاريخ الحركة الإصلاحية عموما. وهو موضوع زيارة الشيخ عبد الحميد بن باديس وأعضاء من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى مدينة الوادي وقراها، في وقت كانت تعدّ فيه هذه المنطقة معقلا من معاقل الطرقية المتعصبة. هذه المفارقة ومفارقات أخرى؛ منها القمع والطوق الحديدي الذي كان يفرضه الاستعمار على سوف جعل من هذه الزيارة تبدو كتحد وانقلاب للأوضاع التي كانت تعيشها سوف ككل.

وعليه جاءت هذه المداخلة لتبرز الأوضاع الصعبة التي عاشتها "سوف" على جميع الأصعدة؛ كما حاولت رصد التحولات الدينية والثقافية، بخاصة فيما يخص الحركة الإصلاحية وتمكينها بوادي سوف؛ دون أن تهمل إبراز انعكاسات زيارة وفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الثقافية وبدرجة أقل السياسية.

الكلمات المفتاحية: وفد جمعية العلماء؛ الحركة الإصلاحية؛ وادي سوف؛ عبد العزيز شريف؛ ابن باديس.

Abstract:

This intervention touches on a very important topic in the history of Oued-Souf, and the history of the reform movement in general. It is the subject of the visit of Sheikh Abdelhamid Ibn Badis and members of the Algerian Muslim Scholars Association to the city of El-Oued and its villages, at a time when this region

was considered a stronghold of "Fanatical toruqia (Tourikya)" This paradox and other paradoxes; Including the oppression and iron collar that colonialism imposed on Souf, this visit seemed like a challenge and a reversal of the conditions that Souf was experiencing as a whole. Accordingly, this intervention came to highlight the difficult conditions that Souf was experiencing at all levels. It also attempted to monitor religious and cultural transformations, especially with regard to the reform movement and its empowerment in Oued-Souf, without neglecting to highlight the cultural and, to a lesser extent, political repercussions of the visit of the delegation of the Association of Algerian Muslim Scholars.

Keywords: *Delegation of the Association of Scholars; Reform movement; Oued-Souf; Abdul Aziz Sharif; Ibn Badis.*

1- مقدمة:

استقرّ اختيارنا للمشاركة في هذا اليوم الدراسي، الذي يتناول موضوع الرحلات العلمية لأعلام وادي سوف وأثرها على المستويين الفكري والثقافي، على موضوع زيارة وفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى وادي سوف. وقد يبدو للوهلة الأولى التباين بين الرحلة والزيارة، لكن هذا التباين ظاهريا فقط. فكل من لفظ الرحلة والزيارة يفيد الانتقال من مكان إلى آخر؛ لتحقيق الأهداف والأغراض نفسها، ورغم الاختلاف في الحجم الزمني بين الفعلين، إلا أن تأثير الزيارة في الكثير من الأحيان قد يترك أثره العميق في الأنفس والآفاق أكثر مما تتركه الرحلة. وليس أدلّ على ذلك، تلك الزيارات التي عرفتها الجزائر في تاريخها الطويل. من ذلك زيارة الشيخ محمد عبده إلى الجزائر سنة (1903م)[1]، التي يعدُّها الكثير من المؤرخين البذرة الأولى لظهور حركة الإصلاح خلال عقد العشرينات.

كما كان لزيارات عبد الحميد بن باديس، خاصة قبل تأسيس جمعية العلماء- إلى مناطق الجزائر المختلفة كذلك أثرها الإيجابي في تكوين الأرضية الإصلاحية من خلال استقطاب الطلبة ورجال الفكر إلى المشروع الباديسي؛ ولأهمية تلك الزيارات

1- حول هذه الزيارة وأهميتها في تاريخ الجزائر، ينظر:

- Ali Merad, **le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940**, 2emeéd. les éditions El hikma, Alger, 1999, p p, 33-35.

في تجربة رائد الإصلاح رأت جمعية العلماء المسلمين في ما بعد اعتماد هذا الأسلوب كوسيلة لنشر دعوة الإصلاح بين الجزائريين، عبر مختلف مناطق البلاد وفق خطة وبرنامج مدروس. ومن تلك الزيارات؛ الزيارة التي قام بها وفد أعضاء جمعية العلماء المسلمين إلى منطقة وادي سوف، بالجنوب الجزائري. ونظرًا لأهمية الآثار التي تركتها هذه الزيارة على منطقة سوف وعلى المستوى الوطني عامة رأينا - في هذا المقال- الحفر في وقائع هذه الزيارة، والبحث في الآثار التي تركتها على المستويين الثقافي والفكري في منطقة سوف.

2- أوضاع وادي سوف قبيل زيارة وفد جمعية العلماء:

كان سكان سوف يعيشون أوضاعا صعبة جدا، ومعقّدة على جميع الأصعدة؛ وذلك لأن الاستعمار قد سامهم سوء العذاب والقهر والتضييق، بخاصة بعد "هدّة عميش" الأولى (15 نوفمبر 1918)، التي قادها شيخ الزاوية القادرية الهاشمي الشريف، حيث ظل وادي سوف وأهله في حال من الترقب استمرّ عقدين من الزمن، دون أن يكون لهم ردّ فعل تجاه أعمال الإدارة الظالمة[1]. ومن أمثلة ذلك الظلم أن الإدارة كانت تجبر الأهالي على تقديم التحية للعسكريين والضباط الفرنسيين عند مرورهم في الأسواق؛ إذلالا لهم وتماديا في قهرهم. كما كانت تفرض عليهم أعمال السُّخرة، حيث كانت تكلّف القياد وشيوخ القبائل بإجبار السكان على وضع إبلهم وبغالهم ودوابهم، تحت تصرف السلطات العسكرية دون مقابل، لتحمل عليها السلاح والمؤن لفرقها المتواجدة في الصحراء للغزو والتوغل فيها[2].

لم تكتف السلطات العسكرية الفرنسية بهذا العسف، بل راحت تكتم على الناس أنفاسهم، برصد تحركات الأهالي داخل تراب الإقليم وخارجه، حيث تم إخضاع السكان للمراقبة المستمرة -لا سيما- في رحلات السفر. ولم يستثن من هذا

1- هدّة عميش الأولى (1918/11/15م)، ينظر: علي غنابزية، **مجتمع وادي سوف "من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1300-1374هـ/1882-1954م"**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2017، ص ص. 74-76.

2- **نفسه**، ص ص. 168-169.

حتى شيوخ الطرق المقربين من إدارة الاحتلال، إذ كان لزاما عليهم هم أيضًا طلب رخصة تنقل وسفر (Permis de Voyage). فالشيخ الهاشمي الشريف مثلًا، وابنه عبد العزيز كانا يقدمان طلبا في كل سنة للسفر إلى تونس لتفقد أملاكهم هناك[1]. فإذا كانت حياة المترفين والمقربين من السلطات الاستعمارية على هذه الحال فكيف كانت حياة عامة الناس من الفقراء والمهمشين وأطراف الناس..؟

وعطفا على أحوال هؤلاء الطُّرقيين؛ فإنهم أيضًا قد ميّزوا الواقع الثقافي في سوف طيلة عقود طويلة. فسوف كانت –ولا تزال- معقلا من معاقل الطرقية[2]. فقد عرفت معظم الطرق التي كانت منتشرة في الجزائر في ذلك الوقت. كالطريقة التجانية والقادرية، والرحمانية (العزوزية) والشابية، والعليوية.. وقد اتّسمت العلاقات والعواطف بين هذه الطرق بالتنوع والتفاوت بين العداء والتّسامح؛ فهناك من كان متسامحا مع الجميع دون إبداء غضبه أو تعصبه لطريقته تجاه غيرها، مثال ذلك إبراهيم العوامر. وهناك من التزم بطريقة معينة مثل ما كان يفعل شيوخ بلدة ڤمار، وأبرزهم الشيخ محمد بن البرية، ومحمد الصالح بن الخوصي. من خلال انتمائهم للطريقة التجانية. كما كان هناك طائفة أخرى من العلماء الذين حاولوا تجنب الطرق الصوفية، بل ورفضها في أحايين كثيرة. وكان سعيهم في إطار الوعظ والتعليم والإرشاد. وهم علماء عديدون، أهمهم علماء بلدة الزقم، إذْ كانت الطرقية بينهم أقل عنفوانا. وهناك أيضًا الشيخ عمار الأزعر في ڤمار الذي كان موقفه واضحًا من الطرقية، فقد كان يعدها من أسباب التخلف بالمنطقة؛ لذلك كان شرسا في محاربتها وكشف شرورها[3]. لكن يبدو أنه لم يكن له الحول والقوة على ذلك ففضل الهجرة والانسحاب بأقل الأضرار.

واللافت للنظر في هذا الصدد، وفي الوضع المشار إليه، أن الصراع بين دعاة

1- **السابق**، ص ص. 159-160.

2- محمد خير الدين، **مذكرات الشيخ خيرالدين**، ج. 1، مطبعة دحلب، الجزائر، 1985، ص. 280.

3- موسى بن موسى، **الحركة الإصلاحية بوادي سوف نشأتها وتطورها (1900-1939)**، مذكرة ماجستير في التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، (2006)، ص. 161.

الإصلاح وأهل الطرق كان أقل حدّة، بل لا يكاد يظهر للعيان، مقارنة بالصراع والمنافسة الشديدة التي كانت بين الطريقتين التجانية والقادرية. هذا الصراع استعمل فيه أنصار الطريقتين كل الوسائل والطرق للنيل من بعضهما. وهو ما استغلته سلطات الاحتلال في تثبيت نفوذها في مناطق الجنوب الجزائري، وذلك بتأييدها لطريقة على حساب أخرى والدس بينهما. وقد لا يستمر هذا التأييد لتخذل هذه الطريقة مرّة أخرى هي أيضًا لتناصر منافستها. وهذا ما كان يحدث مع التجانية والقادرية في سوف[1].

ورغم السلبية التي تظهر وراء هذا الصراع، فإن هناك ما يحمد فيذكر ويشكر من نشاط هذه الطرق؛ فقد لعبت المؤسسة الدينية دورا كبيرا في سبيل نشر التعليم والحفاظ على اللغة العربية. وسعت جاهدة لتوسيع رقعة هذا التعليم ليشمل عددا كبيرا من فئات المجتمع[2]. وقد ساهم جمع من شيوخها في نشر هذا التعليم، وهو تعليم قرآني في الأساس، ومن هؤلاء نجد الشيخ محمد اللّقاني بن السائح، الذي كان يزاول نشاطه التعليمي في زاوية قمار التجانية في حدود سنة 1923م. ومحمد بن حمد النفطي بالزاوية القادرية بالوادي. والشيخ الطاهر العبيدي الذي كان يدرّس بزاوية سيدي سالم (الرحمانية) بالوادي. وعمار الأزعر بالزاوية التجانية بقمار أيضًا، قبل أن يتصادم مع القائمين عليها كما أسلفنا الإشارة إلى ذلك[3].

وساهم في هذا التعليم كذلك، مساجد ومدارس خاصة عرفتها سوف منذ نهاية القرن التاسع عشر، كمدرسة القروي (1890)، ومدرسة الجبيرات (1904)،

1- عمّار هلّال، **أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1962)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 2، 2016، ص. 321.

2- موسى بن موسى، **إرهاصات الحركة الإصلاحية بوادي سوف في مطلع القرن 20م "قمار نموذجا"**، في: مجموعة من المختصين، العلامة المصلح محمد الطاهر التليلي (1910-2003) "قراءة في مسيرته وفكره وآثاره"، تص. أبو القاسم سعد الله، إش. وتنس. عادل محلو، الجمعية الثقافية للمركز الثقافي محمد ياجور بقمار، الوادي، 2005، ص. 47.

3- علي غنابزية، **مرجع سابق**، ص. 109.

ومدرسة سعدودي بحي المصاعبة بالوادي (1901)، ومدرسة الشيخ حسني الهاشمي بحي أولاد حمد منذ عقد العشرينيات ثم الأربعينيات. وقد استمر نشاط بعض تلك المدارس في التعليم حتى الاستقلال.. كما كان للتعليم الرسمي الفرنسي نصيب بين أبناء سوف، حيث عرفت الوادي تأسيس المدرسة الفرنسية منذ وقت مبكر. فقد أسست أول مدرسة سنة 1886م، ثم تلتها مدرسة كوينين سنة 1893م، ومدرسة قمار سنة 1903م، ووصل عدد الحجرات المخصصة لتعليم الفرنسية في بداية القرن العشرين، ثمانية حجرات تستوعب مئات التلاميذ. ثم عرف هذا التعليم تطورا ملحوظا مع مرور الزمن، فقد شهدت الوادي بعد الحرب العالمية الثانية تخصيص مدارس لتعليم الإناث. كانت أولاها في قمار خلال سنة 1948م، وفي الوادي سنة 1949م. ورغم هذا التوسع والانتشار الذي عرفه التعليم الرسمي؛ إلا أن الإقبال عليه ظل محدودًا مقارنة بالتعليم القرآني والعربي[1]. ويرجع ذلك لأسباب كثيرة لسنا هنا بصدد الحديث عنها.

ربما نكتفي هنا ببعض هذه الملامح التي ميزت وضع مجتمع سوف حتى ثلاثينيات القرن الماضي، أين ستحدث تحولات كبيرة ومهمة تعمل على تغيير الخريطة الثقافية في الوادي، أهمها ظهور الفكر الإصلاحي وانتشاره بسرعة بين أبناء سوف، بل وسعي بعضهم إلى نشره في ربوع مختلفة من القطر الجزائري.

3- ظهور الحركة الإصلاحية بوادي سوف:

3-1- مساهمة النخبة السوفية في الحركة الإصلاحية:

عرفت منطقة سوف الفكر الإصلاحي منذ العشرينيات من القرن الماضي، أي قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. وذلك غداة عودة مجموعة من الطلبة الزيتونيين، بعد حصولهم على معارف وشهادات أهّلتهم بأن يكونوا حِرابًا في وجه الفكر المتعفن الجامد. ومن هؤلاء نجد الشيخ اللّقاني بن السائح (1920)، والشيخ عمار بن الأزعر (1924)، اللذان كانا قد نشطا بقمار كما سبق وأن أشرنا

1- **نفسه**، ص. 114.

إلى ذلك. حيث قاما بدور بارز في تشجيع عدد من طلبة قمار على الهجرة إلى تونس لمواصلة التعليم بجامع الزيتونة. إلا أن هذين الشيخين لم يستطيعا صبرا على المضايقات الاستعمارية ومناوشات الطرقية. فهاجر اللّقاني مضطرا إلى تونس منذ أواخر سنة 1925م، وهاجر الأزعر إلى المدينة المنورة سنة 1937م بعد أن أبلى بلاءً حسنًا في سبيل الإصلاح ومقاومة المستعمر[1].

كما برز من بين أبناء سوف نخبة متأثرة بالفكر الإصلاحي ارتبطت بالحركة الصحفية، حيث عرفت الصحف العربية الوطنية منها والإصلاحية مساهماتهم. وكان لمساهماتهم تلك أثر واضح في نشر الأفكار النهضوية بين إخوانهم في سوف. ومن هؤلاء نجد: سالم بن الطاهر السلمي مراسل (الشهاب) سنة 1926م، وقد راسل هذه الجريدة أيضًا كل من محمد بن خالد سنة 1927م، والطاهر محمد سنة 1928م، وساعي من الزقم وغيرهم من أبناء سوف الذين عملوا على نشر الفكر الإصلاحي بين إخوانهم، وأسمعوا صوت سوف صدّاحا، وأبرزوا ما تعانيه لإخوانهم من الجزائريين. وبمساهماتهم هذه جعلوا من سوف في حال من الترقب، وفي أهبة الاستعداد للمساهمة في الفكر الإصلاحي والحياة السياسية الجزائرية[2].

هكذا؛ نجد أنّ أبناء سوف قد تبنّوا الأفكار الإصلاحية في وقت مبكر. وعندما قرّر قادة الرأي ودعاة الإصلاح تأسيس جمعية للعلماء المسلمين الجزائريين، كان حظّ شيوخ سوف فيها وفيرًا في توجيه الدعوات لهم لحضور الاجتماع التأسيسي لهذه الجمعية. فقد وجهت الدعوة لكل من: الشيخ إبراهيم بن عامر (لعوامر)، والشيخ الطاهر العبيدي وشقيقه أحمد، والشيخ الميداني موساوي، وآخرين غيرهم. فلم يحضر سوى الشيخ عمار بن الأزعر، والأمين العمودي، وحمزة

1- موسى بن موسى، **إرهاصات الحركة الإصلاحية...، مرجع سابق**، ص. 69.

2- موسى بن موسى، **الحركة الإصلاحية...، مرجع سابق**، ص ص. 166-167.

بوكوشة[1].. وقد حال دون حضور الآخرين عدم تجشمهم لعناء السفر إلى مدينة الجزائر، أو لعدم تحمسهم لفكرة الإصلاح، أو لعدم تخمّر هذه الفكرة من الأساس عند بعضهم[2].

ورغم المساهمة المميزة للشخصيات المذكورة من أبناء سوف في تأسيس جمعية العلماء، حيث أسندت إلى بعضهم مهام خطيرة في هيكل هذه الجمعية الجديدة، كالعمودي الذي تولّى أمانتها الأولى، وبوكوشة الذي نال شرف عضوية مجلسها الأول كذلك، إلا أن انتشار الفكرة الإصلاحية في سوف ظل محدودًا في بعض الأشخاص؛ ويبدو أن سبب ذلك يعود إلى أن جهود الإصلاحيين السوافة كان سرّيًا. فأول شعبة لجمعية العلماء في الوادي أسسها عمار بن الأزعر سنة 1931م كانت تعمل في الخفى، وظل تأثيرها محدودًا وبطيئًا. ولم يظهر نشاطها إلا بعد عودة بعض الطلبة الزيتونيين السوافة من تونس[3]. ومن بين هؤلاء الطلبة نجد: علي بن السعد خرن أو "خيران" (1932)[4]، وعبد القادر الياجوري (1934)[5]، والشيخ محمد الطاهر التليلي (1934)[6]، والحفناوي هالي وآخرين غيرهم. وقد استمر التوافد على جامع الزيتونة من أبناء سوف حتى تكوَّن من العائدين منهم جيش للإصلاح ساهم في بعث أفكار التنوير والإرشاد[7].

بفضل هذا الجيل الجديد المدفوع بروح الشباب وعنفوانه، بدأ نشاط الحركة الإصلاحية بسوف يظهر للعلن. فقد تم تأسيس أول خلية لجمعية العلماء

1- حول سيرة ومسيرة الشيخ حمزة بو كوشة (شنوف)، ينظر: خير الدين شترة، **الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة**، ج 3، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص. 19؛ ورابح خدوسي وآخرون، **موسوعة الأدباء والعلماء الجزائريين**، دار الحضارة، الجزائر، ط. 3، 2003، ص. 11-12.

2- موسى بن موسى، **الحركة الإصلاحية...، مرجع سابق**، ص ص. 167-168.

3- علي غنابزية، **مجتمع وادي سوف...، مرجع سابق**، ص 129.

4- حول سيرة الشيخ، ينظر: رابح خدوسي وآخرون، **مرجع سابق**، ص ص. 165-166.

5- حول سيرة الشيخ، ينظر: **المرجع نفسه**، ص ص. 76-77.

6- حول سيرته، ينظر: خير الدين شترة، **مرجع سابق**، ص ص 22؛ علي غنابزية، **الشيخ محمد الطاهر التليلي رائد التعليم العصري...، مرجع سابق**، ص ص. 116-117.

7- موسى بن موسى، **الحركة الإصلاحية...، مرجع سابق**، ص 164.

المسلمين الجزائريين بالوادي بصورة علنية حسب ما ورد في جريدة البصائر الصادرة في 10 مارس 1937. وقد تشكلت هذه الخلية من السادة: الأخضر شبرو (أو شابو) (زيتوني)، رئيسًا، الهاشمي بن الدراجي، نائب الرئيس. محمد ميسه، كاتب عام. عبد الحفيظ بن الطاهر، نائب الكاتب العام. عبد الكامل النجعي، أمين المال. قدور الأخضر، نائب أمين المال. محمد بن الحاج لخضر، عضو مستشار. بلقاسم بن الحسين، عضوا. محمد الصالح بن العربي خراز عضوا.

هذا فضلا عن أعضاء آخرين، هم: حمزة بوكوشة، عمار بن الأزعر، محمد الطاهر التليلي، الطيب بن الحاج بن عبد القادر بن فرحات.[1] ورغم خروج هذه الخلية من السرية إلى العلن؛ إلّا أنّ نشاطها ظلّ محدودًا كذلك؛ لأنه كان في حاجة إلى الدعم والمساندة ونفوذ جهات تستطيع أن تخرجه إلى النور، وتأخذ بيده إلى عامة الناس. ومن حسن حظّ تلك الفئة أنها وجدت الدعم والسند في شخص الشيخ عبد العزيز بن الهاشمي الشريف، شيخ القادرية في وادي سوف.

3-2- تحوّل الشيخ عبد العزيز الشريف من الطرقية إلى الإصلاح وأثره في دعم الحركة الإصلاحية:

لقد قوي ساعد الحركة الإصلاحية في وادي سوف بانضمام شخص ذو مكانة، وهو الشيخ عبد العزيز الشريف.[2] المنتسب للطريقة، التي هي أشرس أعداء الإصلاح. فما هي الأسباب التي جعلت هذا الأخير يتحول إلى الإصلاح ويترك الطرقية؟

هناك عدّة أسباب جعلت الشيخ عبد العزيز يعتنق الفكر الإصلاحي، منها رحلة الحج التي قام بها سنة 1936م، وكان لها أثر في تغيير الكثير من قناعاته. فقد

1- حمزة بو كوشة، سير الجمعية وأعمالها "تأسيس شعبة جديدة في وادي سوف"، **البصائر**، ع 59، س 2، 1937/03/19، ص. 7؛ وإبراهيم مياسي، **الصحراء الجزائرية في ظلال وادي سوف "دراسة تاريخية"**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ص. 213.

2- حول سيرة ومسيرة الشيخ عبد العزيز الشريف. ينظر: علي غنابزية، **مجتمع وادي سوف...، مرجع سابق**، ص ص 79-80؛ وحسان الجيلالي، **مرجع سابق**، ص. 97 وما بعدها.

آثر أن يقوم بجولة على هامش هذه الرحلة، وأثناء جولانه في المشرق العربي، خَبِر عن كثبٍ فكر ابن عبد الوهاب، والسنوسي، وأفكار الشيخ حسن البنا، وشكيب أرسلان، ومفتي القدس الشيخ الحاج أمين الحسيني، ورشيد عالي الكلاني.. وهناك تعرّف أيضًا على الفكر الثوري، وتفاعل مع الأحداث السياسية المناهضة للاستعمار الغربي، التي ميزها إذ ذاك قيام ثورات في مصر والعراق وسوريا وفلسطين، وإبرام معاهدات استقلال العراق ومصر. هذا الجو الفكري والثوري، جعل مواقف هذا الشيخ القادري تشهد انقلابا نوعيا دفعه إلى مراجعة قناعاته الطرقية بعد عودته إلى وطنه[1]. كما كان لثقافته العربية الإسلامية التي تلقاها في جامع الزيتونة، واحتكاكه المباشر بقيادة الحركة الوطنية التونسية، بخاصة أعضاء الحزب الدستوري الجديد الذين ظل في تواصل معهم حتى بعد تخرجه من الزيتونة، وعودته إلى موطنه سُوف وبلده الجزائر، أثرا في هذا التحول[2].

والأمر الذي لا يمكن إهماله في هذا الصدد، وهو تأثره بزملائه من الطلبة الزيتونيين الجزائريين، الذين شاركوه حصير الدرس، أمثال: الشيخ مبارك الميلي، والشيخ محمد السعيد الزاهري، ومحمد خير الدين الفرفاري، والشيخ عبد اللطيف السلطاني البسكري.. وقد ظلت علاقاته بهؤلاء دون انقطاع، بل نراه يسند لاثنين منهما مهمة إدارة مدرسة أسسها في مدينة الأغواط سنة 1927م، وهما الشيخان الزاهري والميلي، اللذان أصبحا – فيما بعد - قطبين من أقطاب الحركة الإصلاح الجزائرية[3].

وكان لأفكار جمعية العلماء الإصلاحية، التي بدأت تنتشر في أوساط الجزائريين، أثرها الواضح في تغيير تفكير وقناعات الشيخ عبد العزيز، الذي أصبح

1- حسان الجيلالي، **المرجع السابق**، ص. 101.

2- عمّار هلّال، **مرجع سابق**، ص. 325.

3- عمّار هلّال، **المرجع نفسه**، ص. 325.؛ وأحمد بالعجال، **الشيخ محمد السعيد الزاهري "فكره وآراؤه السياسية" (1900-1956)**، دكتوراه علوم في التاريخ المعاصر، جامعة قسنطينة(2) عبد الحميد مهري، الجزائر، 2018، ص ص.. 126-127.

- بعد تشربه للفكر الإصلاحي - يعتقد أن النضال ضدّ المستعمر يجب أن يكون بالكلمة والسلاح إن اقتضى الأمر، بل أصبح أكثر من ذي قبل يعتقد أن هذا هو السبيل، ولا سبيل غيره للتحرر من المحتل الغاشم. وربما كان للغليان والهيجان السياسي، الذي ساد الجزائر بعد المؤتمر الإسلامي 1936م، أثرًا كبيرًا أيضًا في تحفيز الشيخ عبد العزيز على إعلان وإبداء رغبته في أن يكون جنديا من جنود الإصلاح في الجزائر[1].

ورغم الأسباب التي أوردناها هنا، والتي أسهب في ذكرها وتوكيدها أغلب من ترجم للشيخ عبد العزيز، إلا أننا نميل إلى رأي مؤداه أن الشيخ عبد العزيز، قد عقد العزم على التحول إلى الإصلاح. أو أنه - على الأقل - قد تخلّى عن الطرقية، قبل عقد الثلاثينيات؛ فقد ذكر بعضهم أن الشيخ لم يرتح لوضعيته كشيخ للطريقة القادرية، إذ أبدى رغبته الصريحة في سنة 1929م إلى التخلي عن رئاسة الطريقة، وصرّح لأتباعه ومريديه بذلك، لكنهم لم يرضوا بذلك القرار وضغطوا عليه إلى أن تراجع عنه. ورغم هذا التراجع -الذي كان نزولا عند رغبة هؤلاء الأتباع وتحقيقا لطلبهم- إلا أن الشيخ عبد العزيز طوال الفترة التي تولّى فيها رئاسة القادرية وفروعها المنتشرة في مختلف ربوع الوطن لم يقم بأي نشاط يستهدف من خلاله تطوير زاويته والزوايا التابعة له ماديا ومعنويا، بل انصرف إلى تنمية واستثمار أموال عائلته، وقد حقق في مسعاه هذا نجاحًا منقطع النظير[2]. ومن خلال هذه المعلومات نميل إلى أنّ الشيخ عبد العزيز كان يُضمر هذا التحول ويتحين الفرصة لإظهاره، وما يعزز هذا الرأي تلك الصداقة التي تربط الشيخ بمبارك الميلي المتعصب ضدّ الطرقية، والزاهري عدوَّها اللدود.

ومهما يكن من أمر تلك الأسباب وهذا الرأي؛ فإن الشيخ عبد العزيز قد أوضح موقفه نهائيًا من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ومن الفكر الإصلاحي

1- حسان الجيلالي، **مرجع سابق**، ص ص. 101-102.

2- **نفسه**، ص ص. 98.

عموما، خلال شهر أكتوبر 1937م، في برقية وجهها إلى الشيخ عبد الحميد بن باديس يبدي له فيها إعجابه بأهداف الجمعية وتعاطفه معها. لم يتأخر ابن باديس كثيرًا بالردّ على برقية ابن الهاشمي، الذي حضر المؤتمر السنوي للجمعية المنعقد في 24 سبتمبر 1937م؛ تأكيدًا لنيّته في الانضمام إلى هذه المجموعة. وفي هذا المؤتمر قدّمه الشيخ بن باديس إلى الحاضرين باعتباره عضوًا عاملا في الجمعية وجنديًا جديدًا من جنود الإصلاح[1].

هكذا؛ أصبح الشيخ عبد العزيز عضوًا أساسيًا في الجمعية، بل أحد أكبر داعميها. فقد كانت له فيها مساهمات أدبية ومالية معتبرة؛ جعلت الصحف الوطنية والإصلاحية تشيد بها، وتذكّر باليد البيضاء لصاحبها.[2] إلا أن أكبر خدمة قدمها عبد العزيز للإصلاح في الجزائر هو دعوة وفد من جمعية العلماء لزيارة الوادي. فكان ذلك بداية لعهد جديد سوف تعرفه الوادي وتعرفه الحركة الإصلاحية الجزائرية عامة؛ لما كان لهذا الحدث –الذي يبدو محدودا- من نتائج وآثار مهمة وخطيرة على مستويات مختلفة.

4- زيارة وفد جمعية العلماء إلى وادي سوف سنة 1937م:

تجدر الإشارة إلى أن أسباب زيارة الوفد إلى وادي سوف - زيادة على برقية الدعوة التي أرسلها الشيخ عبد العزيز - ترجع إلى أنّ أسلوب الزيارات كان من الأساليب الذي تتبعه جمعية العلماء في نشر مبادئها وأفكارها بين جماهير الجزائريين في مختلف ربوع القطر؛ حيث كانت وفود الجمعية تجوب البلاد شرقا وغربا، وتلتقي بمختلف شرائح المجتمع، تزور المساجد والمدارس والفرق الكشفية. وقد كان ابن باديس هو صاحب هذه الفكرة. قد دعى رجال الجمعية للقيام بمثل هذه الزيارات خلال انعقاد المجلس العام للجمعية في شهر جوان 1935م، حيث تقرر في هذا المجلس تشكيل وفود حسب العمالات (المقاطعات). فكان وفد عمالة

1- إبراهيم مياسي، **مرجع سابق**، ص. 212.

2- حسان الجيلالي، **مرجع سابق**، ص ص. 105-106.

قسنطينة -الذي نحن بصدد الحديث عن زيارته- مكونًا من: الشيخ عبد الحميد بن باديس، والعربي التبسي، ومحمد خير الدين البسكري، ومبارك الميلي. وكما يبدو من أسمائهم فأعضاء هذا الوفد ينتسبون إلى جهة الشرق، ومن المقربين إلى رئيس الجمعية ابن باديس[1].

1-4- أعضاء وفد جمعية العلماء في الوادي:

في شهر ديسمبر، أي بعد شهرين من انضمام الشيخ عبد العزيز إلى جماعة الإصلاح، نضّم هذا الأخير موعدًا لزيارة الوفد المذكور أعلاه إلى مدينة الوادي، التي كان أهلها متعطشون لرؤية أعضاء جمعية العلماء. وكان شيخ القادرية يطمح من خلال هذه المبادرة إلى تدعيم نشاطه النهضوي وتكريس أفكار الحركة الإصلاحية في المنطقة[2]. في هذا الإطار تشرفت سوف بزيارة الوفد المكون من الشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ مبارك الميلي. العربي التيسي، ومحمد خير الدين، وحمزة بوكوشة.

وجدير بالذكر هنا أن بعض الكتابات أسقطت اسمي الشيخ العربي والشيخ حمزة بوكوشة من عضوية هذا الوفد، رغم تواجدهما في تجمعاته وكانوا من بين خطبائه؛ وقد أرجع البعض ذلك إلى أن بوكوشة لم يكن من وفد الصحراء، وهو من أبناء المنطقة أصلًا، وأما الثاني فقد كان في الوادي في ضيافة الأول قبل مجيء الجماعة، وبالتالي لا يمكن تسميتهما ضمن الوفد[3].

كما تقحم بعض الكتابات اسم الفضيل الورتيلاني، ضمن ها الوفد. والراجح عندنا أنه لم يكن من أعضاء الوفد. وكل ما هنالك أن الشيخ عبد العزيز الهاشمي

1- يذكر خير الدين أن مبارك الميلي قد اعتذر عن مرافقة الوفد لمرضه وللازمته حمية في مأكله ومشربه أمره بها الطبيب، وهو ما لا يسمح به السفر البعيد؛ واكتفى لذلك بزيارة المناطق والقرى القريبة من مقرّ سكنه ميلة، لكن وجوده ضمن وفد سوف يجعلنا نتساءل هل دفعه الفضول لزيارة منطقة مختلفة أن يكون ضمن وفد سوف؟ قد يكون الأمر كذلك!. ينظر: محمد خير الدين، **مرجع سابق**، ص ص. 70-73، 256-257.

2- حسان الجيلالي، **مرجع سابق**، ص. 106.

3- **نفسه**، ص. 107.



قد نضّم له زيارة منفردة في 24 جانفي 1938م، رغم علمه بمعارضة الحاكم العسكري لهذه الزيارة؛ لأن الورتيلاني كان شخصية معروفة بمواقفها الرافضة للإدارة الفرنسية. وقد استقبله الناس بحفاوة عظيمة، وكان لهذه الزيارة الصدى الواسع عند أهل سوف لما طرحته من أفكار ثورية ساخنة، أغضبت الحاكم العسكري، الذي بدأ بدوره يتربص خطوات الشيخ عبد العزيز ويبيت له الخديعة والمكر[1].

2-4- محطات زيارة الوفد في أنحاء الوادي وقراها:

دامت زيارة العلماء إلى الوادي ثلاثة أيام، زار خلالها الوفد المدينة والقرى المجاورة لها، وفق البرنامج التالي[2]:

اليوم الأول- النزول بقمار والتوجه إلى الوادي: في يوم الأربعاء نزل الوفد المكون من الشيخ ابن باديس، ومبارك الميلي، ومحمد خير الدين... بقمار وكان في استقبالهم أنصار الإصلاح في جوّ من البهجة والاحتفال، وبعدها ساروا إلى الوادي. وهناك توجه الوفد إلى مكتب الحاكم العسكري؛ للقيام بزيارة مجاملة؛ لتبديد مخاوف السلطات من هذه الزيارة. وهذه عادة كثيرا ما كان ابن باديس يقوم بها، عند تنقله في مختلف جهات الوطن، وانتهت مسيرة الوفد في ذلك اليوم على مائدة غداء الشيخ عبد العزيز صاحب الدعوة.[3]

اليوم الثاني- في اعْميش: في صباح يوم الخميس، توجه الوفد إلى قرية "عميش"؛ قاصدًا الزاوية الهاشمية، اعترافًا بفضل رئيسها الشيخ عبد العزيز في المساهمة في الحركة الإصلاحية، وتلبيةً لدعوته. وهناك اجتمع عليهم جمع غفير من الناس، فألقى عليهم الشيخ ابن باديس خطابًا توجيهيًا، ثم عاد الوفد إلى

1- عمّار هلال، **مرجع سابق**، ص. 327.

2- ينظر: صدى هذه الزيارة في الأعداد 93-96 من جريدة البصائر، بإمضاء الشيخ حمزة بوكوشة.

3- إبراهيم مياسي، **مرجع سابق**، ص ص. 213-214.

الوادي[1].

التوجه نحو بلدة الزقم: قبل أن يصل الوفد إلى الزقم، توقف في طريقه في قرية "البهيمة" (حساني عبد الكريم حاليًا)، واُستقبلوا هناك بحفاوة وحرارة لم يعهدوهما من قبل، حيث أقيمت لهم الاحتفالات. ولم يغادر الوفد إلى الزقم إلّا والشمس آذنة بالمغيب. وفي "الزقم"، استقبلوا بحفاوة كبيرة أيضًا، وأقيمت لهم الولائم وانتشرت البهجة والأفراح وتعالت الأهازيج والأشعار فرحًا بمقدمهم. وفي السهرة ألقيت دروس الوعظ والتوجيه الباديسية كعادته في كل زيارة، وأسست خلية جديدة للجمعية في الزقم. قضى ابن باديس وأصحابه الليلة في هذه البلدة وفي الصباح توجهوا نحو الوادي[2].

اليوم الثالث- التجمع في سوق الوادي: وخلال يوم الجمعة، وهو اليوم الموعود، لأنه يصادف انعقاد السوق الأسبوعية بمدينة الوادي. كان فرصة مناسبة جدًا أن يلتقي الوفد بجموع زوّار السوق القادمين من مختلف أنحاء الوادي، وحتى من خارج المنطقة. وفي ساحة السوق ألقيت الخطب وتبار الشعراء في إلقاء قصائد الترحيب. وخلال هذا اللقاء، الذي يعد الأول مع الجماهير الغفيرة، التزم ابن باديس وأصحابه بمبدأ التحفظ في مخاطبتهم الناس. فدارت جلّ كلماتهم حول الأمور الدينية والأخلاقية لا غير، بينما هاجم الشيخ عبد العزيز عند تناوله الكلمة الطرقية وأعوان الإدارة الاستعمارية دون تحفظ، بل كان مندفعًا ومتحمسًا كعادته في تناوله لهذه المواضيع[3].

وفي المساء، توجه الوفد نحو **تكسبت** التي استقبلهم فيها الشاب الطيب فرحات، ومنها إلى كوينين، التي استقبلهم فيها أحد كبرائها وهو السيد عبد الوهاب حموية الذي تبرع للجمعية بمبلغ 2500 فرنك، ثم توجهوا نحو بلدة تغزوت، حيث

1- **السابق**، ص. 214.

2- إبراهيم مياسي، **مرجع سابق**، ص. 214..

3- عمّار هلّال، **مرجع سابق**، ص. 327.

تمّ اللقاء مع شيخ التجانية، الشيخ العيد يمبعي، وبعض الشخصيات المهمة. وفيها ألقى بن باديس كلمة حثّ فيها على الاتحاد والتعاون، وأكّد فيها على أنّ الاتحاد لا يتم إلا بروح الجماعة، وبعد ذلك توجهوا للمبيت في قمار[1].

اليوم الرابع- في قمار للمرّة الثانية ونهاية الرحلة: وفي صبيحة يوم السبت، تمّ التوجه إلى مدينة "قمار"، حيث استقبلوا بحفاوة منقطعة النظير، حفاوة تدل على تعطش الناس إلى الدعوة الإصلاحية، كما تدل على التسامح والتعايش الذي بدأت تعرفه هذه البلدة الطيّبة بعد تأسيس جمعية العلماء، رغم الحوادث التي كانت تقع من حين لآخر وتعكر صفو العيش وتعصف بالتسامح. وفي قمار تداول أعضاء الوفد على الخطابة أمام الحاضرين الذين كان جلّهم من رجال العلم والتعليم. حيث شرح ابن باديس في خطبته الخطوط العريضة التي يقوم عليها الإصلاح عنده، وتلاه الشيخ خير الدين، والعربي التبسي، ثم الميلي، وأخيرا الشيخ عبد العزيز الذي دعا في كلمته إلى ترك البدعة، ونبذ الطرق والتمسك بالسنة كما يفهمها دعاة الإصلاح[2].

وبعد تنصيب شعبة للجمعية بقمار، توجه الوفد إلى "**الرقيبة**"، بقصد فضّ نزاع طال أمده بين أتباع الطريقتين القادرية والتجانية، وصل إلى تقسيم مسجد القرية شطرين، وأقاموا في وسطه جدارا فاصلًا، جهة لأتباع القادرية وأخرى لخصومهم، كما حرَّموا التعامل والتزاوج بينهما وبعد تدخل ابن باديس ومرافقيه تمّ تسوية النزاع بين الطرفين، وانتهى الخلاف بينهما، وتمّ الرضا والقبول بالحل الذي اقترحه أعضاء الوفد[3]. وبعد الانتهاء من هذه المهمة، توجه الوفد إلى مكتب الحاكم العسكري بالوادي؛ لتوديعه وإعلامه بنهاية الزيارة. وهي عادة دأب عليها أعضاء جمعية العلماء في زياراتهم كذلك[4].

1- عمّار عوّادي، **مرجع سابق**، ص. 23.

2- حسان الجيلالي، **مرجع سابق**، ص ص. 115-117.

3- **نفسه**، ص ص. 111-112؛ محمد خير الدين، **مرجع سابق**، ص ص. 280-281.

4- إبراهيم مياسي، **مرجع سابق**، ص ص. 215.

5- الآثار الثقافية لزيارة وفد جمعية العلماء للوادي:

مهما يكن من نتائج هذه الزيارة، فإن مجيء شيوخ الإصلاح إلى سوف والإقليم العسكري في الصحراء، يعدّ محمدة في حدّ ذاته، تحسب للشيخ عبد العزيز الشريف. بعد أن مكّن أعضاء جمعية العلماء من كسر طوق الحصار الذي كان مفروضًا على أعضائها. فقد كانوا ممنوعين من زيارة المناطق العسكرية بالجنوب؛ بموجب منشور ميشال (1933م)[1].

ومما تجدر الإشارة إليه أيضًا، أنّ وفد العلماء قد ترك الأثر الطيب لدى الأهالي وعند الدوائر الاستعمارية أيضًا. فقد كان حريصًا على عدم إثارة الأنفس وتحريضها عند مخاطبة الناس. فدارت جميع الخطب حول الأمور الدينية والأخلاقية لا غير. في حين كان عبد العزيز أكثر اندفاعا وحماسا في تدخلاته، وهذا ما أثار عليه حفيظة الإدارة الاستعمارية فيما بعد. ويمكن حصر آثار هذه الزيارة فيما يلي:

5-1- الأثر الأول- تنصيب شعب وخلايا جمعية العلماء:

وهو أهم ما خلفته تلك الزيارة، تمثل في تنصيب شعب وخلايا جديدة لجمعية العلماء المسلمين في مدينة الوادي والقرى التابعة لها، ويلح بعض الباحثين على أن هذا الأثر هو السبب الرئيس وراء سعي الشيخ عبد العزيز ومن ورائه بعض أبناء المنطقة، كثيرًا لهذه الزيارة.[2] وأهم تلك الشعب:

أ- شعبة الوادي:

كانت أول شعبة تم تأسيسها في مدينة الوادي، في شهر مارس 1937م، كما

1- يقول محمد خير الدين: "كان أعضاء جمعية العلماء ممنوعين من زيارة الصحراء، بموجب القرار الذي أصدره الوالي العام في الجزائر سنة 1933... وكان دخول هؤلاء العلماء إلى هذه المنطقة يكاد يكون بطريقة الاختفاء والتمويه كما كان يفعل الجواسيس". ينظر: محمد خير الدين، **مرجع سابق**، ص. 273.

2- عمّار عوّادي، **كتابات ووثائق من تاريخ وادي سوف**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ص. 24.

أشرنا إلى ذلك آنفًا، أي قبل قدوم العلماء بحوالي تسعة أشهر، لكن نشاطها كان سريا ومحدودًا؛ بسبب خضوع هذه المناطق للحكم العسكري، الخاص بمناطق الجنوب، أما بعد زيارة وفد جمعية العلماء المسلمين وتبني الشيخ عبد العزيز نهجها الإصلاحي فقد تغيّرت أوضاع هذه الشعبة ومثيلاتها التي تأسست بوادي سوف بعد ذلك[1].

ت- شعبة الزقم:

أنشئت هذه الشعبة خلال زيارة وفد العلماء، تكوَّن مكتبها من خمسة عشر عضواً، منهم: السيد أحمد القولي، رئيسًا. السيد معمري عبد الرحمان، كاتبًا عامًا. السيد كلكامي إبراهيم نائبًا[2]، بالإضافة إلى أعضاء آخرين.

ث- شعبة تكسبت: التي لا ندري من هم منشئيها ولا الأعضاء المنتسبين لها[3].

5-2- الأثر الثاني- تأسيس المدارس العصرية الحرّة:

المدارس العصرية، سميت بهذا الاسم لمخالفتها الطرق التقليدية في التعليم، وهي مدارس عملت على عصرنة مناهجها وبرامجها، وحتى الوسائل المستعملة في المدرسة، حيث استعملت لأول مرة الكراسي والمناضد بدل الحصير. والسبورة والكراريس بدل اللوحة والدواة. أما عن برامجها فقد كانت متوافقة مع برامج الجمعية في شمال البلاد. وقام على هذه المؤسسات فئات ذات كفاءة تخرجت في معاهد عالية كالزيتونة، استقطبت هذه المدارس فئات متنوعة من أبناء المجتمع.[4]

1- عمّار هلّال، **مرجع سابق**، ص. 327.

2- ينظر ترجمة الأعضاء المذكورين أعلاه، ومعلومات حول هذه الشعبة، في: حسان الجيلالي، **مرجع سابق**، ص ص. 114-115.

3- عوّادي عمّار، **مرجع سابق**، ص. 24.

4- لم يعارض هذه المدارس المسماة عصرية؛ إلا السلطات الاستعمارية التي لم تتوقف عن مضايقتها ومراقبتها المستمرة، وأولئك "الغلاة" المصرٍّ على التقليد والقديم، الذين أطلقوا على أصحاب هذه المدارس لفظ "عَصْرَيُون" تقريعا وذمًا لهم، منه سار على الألسن مسمى "معصرن" أو "عصريون" كاسم للشخص الذي يمارس تدينا يخالف هؤلاء التقليديون. ينظر: علي غنابزية، **الشيخ محمد الطاهر التليلي رائد التعليم العصري...**، **مرجع سابق**، ص. 115.

وأهم تلك المدارس:

أ- مدارس الشيخ عبد العزيز الشريف:

أهمها مدرسة اعْميش، التي أسّسها الشيخ عبد العزيز في شهر مارس 1938م، بزاوية اعْميش القادرية، ثم فتحت لهذه المدرسة فروعا أخرى في "**قمار**" و"**الطريفاوي**" سارت مناهجها وبرامجها - كما ذكرنا - وفق مناهج وبرامج جمعية العلماء. كان يدرس بها الشيخ عبد القادر الياجوري، والشيخ علي بن السعد خيران. كما استعان الشيخ عبد العزيز ببعض أصدقائه من تونسيين وجزائريين للقيام بتسيير هذه المدارس. وكان يدرس في هذه المدرسة القرآن الكريم وعلوم الدين: كالفقه، والحديث، والسيرة النبوية، واللغة والأدب... لكن الأمر الذي يؤسف له، أن عمل هذه المدرسة لم يستمر طويلاً، إذ تم توقيفها بعد حوادث سوف أفريل 1938م[1].

والجدير بالذكر هنا أن الشيخ عبد العزيز لم يحصل على الترخيص لفتح مدارسه؛ وعلى الرغم من الملاحظات والتحذيرات المتكررة التي كان الحاكم العسكري يوجهها له، إما كتابيا أو شفويًا؛ لتسوية وضعية مدارسه قانونيًا، إلا أنه امتنع عن طلب الترخيص وواصل مشروعه التعليمي، ولم يذعن للقوانين الفرنسية المنظمة للتعليم، كقانون 10 أكتوبر 1882م، كما أنه حاول التحايل على مرسوم شوطان (08 مارس 1938م) الذي يراقب التعليم في المدارس الحرّة، على أساس أن هذا المرسوم لم يوجه إلى تعليم الزوايا، وبالتالي فمدارسه لا يمكن أن تخضع إلى هذا المرسوم الظالم[2].

وكان الشيخ عبد العزيز يطمح إلى أن ترتقي مدرسته إلى مصاف المعاهد الكبرى التي تستوعب جموعا كبيرة من الطلبة. وقد تخرج في هذه المدارس – رغم قصر مدة سير هذه المدارس - حوالي 240 تلميذا، واصل بعضهم الدراسة في

1- علي غنابزية، **الشيخ محمد الطاهر التليلي رائد التعليم العصري...، مرجع سابق**، ص. 115.

2- عمار هلال، **مرجع سابق**، ص. 329.

مدارس التعليم خارج الوادي، بخاصة في تونس[1].

ب- مدارس التعليم الحر بقرى سوف:

كما أن مدارس عبد العزيز كانت دافعًا ومحفزًا، وفي كثير من الأحيان مؤثرًا قويًا لظهور مدارس أخرى في هذه الفترة، جاءت كنتيجة لزيارة وفد جمعية العلماء، وأثرًا من آثار انتشار الفكر الإصلاحي في سوف. من هذه المدارس، نجد:

مدرسة النجاح بقمار (1938-1961م): أسسها أعيان قمار، كُلف الشيخ محمد الطاهر التليلي بإدارتها، وساعده في ذلك مدرسين أفذاذ منهم: الشيخ محمود سعداني، وعبد العزيز سعداني، والشيخ محمد التركي. بفضل هؤلاء أصبحت هذه المدرسة معهدا علميا له مكانته وأصبحت بلدة قمار مركز إشعاع علمي، وصرح ثقافي ينير منطقة سوف والمناطق المجاورة لها.[2] أما برامج هذه المدرسة فهي متوافقة إلى حدّ بعيد مع البرامج التي تعتمدها جمعية العلماء المسلمين في مدارسها، كما أنّها في بعض المواد كالحساب والعلوم العصرية أصبحت تعتمد مقررات معتمدة في مدارس دول عربية كلبنان ومصر. ومن المواد التي كانت تدرس في هذه المدرسة: الهندسة والحساب، وعلوم اللغة (قراءة، وخط، إملاء، محادثة، محفوظات..)، والعلوم الدينية (قرآن، فقه، ميراث، أخلاق..)، التاريخ والجغرافيا والسيرة..[3]. وقد تخرج في مدرسة النجاح هذه، جيل كان له حضورا قويًا على الساحة الوطنية والدولية بعد الاستقلال[4].

وفي الفترة التي كانت تنشط فيها مدرسة النجاح ظهرت مدارس أخرى **كمدرسة الفلاح بالخبنة بالرقيبة (1952-1956م)**، والتي أشرف عليها الشيخ محمد التركي. **ومدرسة سيدي عون (1947-1951م)**، التي كان يديرها الشيخ العربي بن عمّار

1- حسان الجيلالي، **مرجع سابق**، ص. 125.

2- علي غنابزية، **الشيخ محمد الطاهر التليلي رائد...**، **مرجع سابق**، ص ص. 115-116.

3- يوسف زغوان، **التعليم العربي الحرّبوادي سوف (1931-1962م) "من خلال الوثائق المحلية والروايات الشفوية"**، مذكرة ماجستير في التاريخ، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، ص. 95.

4- **نفسه**، ص. 87.



الصّالحي، ومما يحسب إلى هذا الشيخ أنه اختصّ البنات بقسم تتعلمن فيه كما يتعلم أقرانهم من الذكور، وهذه حسنة تحسب لهذا الشيخ. و**مدرسة الإصلاح بالزقم (1943-1957)**. كما أسست مدارس أخرى جلّها ينشط في مساجد القرية أو في البيوت، من هذه المدارس ما قام به الشيخ لعروسي حويتي بالجديدة بنشاط تعليمي يحاكي فيه المدارس التي ظهرت في منطقة سوف في تلك الفترة. من حيث البرامج والوسائل مثل السبورة، ومما يروى أن الشيخ العروسي كان موسوعيا في مختلف العلوم والفنون. ومن المتون التي كان يدرسها - حسبما يروى - "سلم الوصول في علم الأصول" لحافظ بن أحمد الحكميّ. دون أن نهمل في هذه العجالة دور مصباح حويذق في الطريفاوي، وأحمد بلخياري رضواني، والشيخ الهادي بلباد (سخري) بالرقيبة. وقد تخرج في هذه المدارس كذلك جيل حمل الراية في ميادين مختلفة كالتعليم والإمامة، ومنهم من فتح له السبيل إلى المعالي ووصل إلى أعلى الرتب في عهد الدولة الوطنية.[1]

3-5- الأثر الثالث- الأثر الأدبي:

كان لزيارة الوفد أثرًا أدبيًا بالغ الأهمية، تمثل في تلك الخطب التي ألقاها أعضاء الوفد، وفي قصائد الترحيب التي أبدع في نَظمها وتفنن في إلقائها أبناء سوف. وقد حفظت صفحات الجرائد وذاكرة الأهالي بعضا من تلك الخطب وتلك القصائد التي تنوعت بين الفصيح والملحون.

من تلك الخطب التي خلدت زيارة وفد الجمعية إلى صحراء سوف، خطبة عبد الحميد بن باديس في الزقم بعنوان: "ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب"، التي ألحّ فيها على التضامن والاتحاد، ورفض الشعوذة والطرقية، التي تؤدي إلى تقسيم الأمة وتشتيت صفها. وخطبة الشيخ العربي التبسي "الدين النصيحة"، وخطب متدخلين آخرين منهم الشيخ عبد العزيز في الوادي وفي مختلف محطات الزيارة. من هذه

1- **السابق**، ص. 75.

الخطب ما اندثر ولم يبق له أثر[1]، ومنها ما هو من الطول والإطناب ما لا يسمح المقام هنا لإثباته[2].

ومجمل القول في هذا الصدد؛ أن خطب ابن باديس وأصحابه التي ألقيت في معظم قرى الإقليم التي تجوّل فيها، كانت تستهدف بث الوعي الوطني في المجتمع، وكسر حاجز الخوف المضروب على سوف بسبب الحكم العسكري، وربط العلماء بالجماهير، وتمكينهم من تصحيح المفاهيم ولمّ شمل أبناء الجهة. وتعليمهم نبذ الخلافات ومواجهة سياسة "فرق تسد"، التي بذرها الاستعمار. وإظهار زيف الفكر الخرافي، بتقديم المبادئ الإسلامية وفق منهج الجمعية التي يستقي فكره من نصوص القرآن والسنّة، التراث الإسلامي الحيّ الصحيح، الذي يدعو إلى التمسك بعقيدة الإسلام الصحيحة، والأخوة والوحدة؛ وإعداد الجمهور للمستقبل[3].

ومن إبداعات أبناء سوف الشعرية، والتي يمكن أن نصطلح عليها مسمى الشعر الإصلاحي، قصيدة للشاعر محمد الطاهر التليلي خلّد فيها تلك الزيارة طويلة جاء فيها[4]:

هبّي قـــرية الرمـــال وهـــيء	واجـبات اللقاء إلى خـير وفــد
هبّــي قـــرية الــرمال وحـــيِّ	أسـد العـلم والـهدى والتحـــدِّي

وليس في مقدورنا هنا، ولا المقام يسمح بسرد الكثير من القصائد التي واكبت وخلدت ذكرى زيارة وفد الإصلاح إلى سوف، بل نكتفي بما أوردنا أعلاه، لكن بمقدورنا وبكل ثقة أن نؤكد على أن هذه الزيارة تركت أثرًا أدبيًا يمكن أن نطلق عليه أدبًا إصلاحيًا، سواءً أكان نثرًا أم شعرًا، فصيحًا كان أو ملحونًا.

1- اكتفت البصائر بنقل خطبة واحدة من هذه الزيارة، وهي للشيخ عبد العزيز بن الهاشمي، ينظر: في "وفد الجمعية بالجنوب"، **البصائر**، ع. 95، س. 3، 1938/01/14، ص. 4.

2- **نفسه**، ص. 113؛ وموسى بن موسى، **الحركة الإصلاحية...**، **مرجع سابق**، ص. 182.

3- علي غنابزية، **مجتمع وادي سوف...**، **مرجع سابق**، ص. 82.

4- عمّار عوّادي، **مرجع سابق**، ص. 21.

4-5- الأثر الرابع- الأثر السياسي:

لن يكون حديثنا عن الآثار السياسية إلا بقدر ما يكون ذلك مرتبطا بالجانب الثقافي سلبا وإيجابا، فزيارة الوفد التي كان تأثيرها الثقافي واضحًا في كل ما ذكرنا أعلاه، كذلك كان أثرها السياسي واضحًا وخطيرًا. يؤكد هذا قول الشيخ خير الدين في مذكراته -وهو يشير إلى أحداث 1938م بالوادي-: "وكان من آثار زيارتنا لهذه الناحية أن قوي ساعد الشيخ عبد العزيز.."[1]. فقد شجعت هذه الزيارة ابن الهاشمي على رفع صوته عاليا ومعارضته للاستعمار وتحديه دون بشكل سافر وقوي[2]. إلى درجة أن نظّم انتفاضة شعبية عرفت بـ "هدّة عميش الثانية" في 13-18 أفريل 1938م.

ومجمل أخبار هذه الحوادث، أن الشيخ عبد العزيز اغتنم فرصة زيارة المدير العام للشؤون الأهلية السيد ميو (Milliot)، وقرر تنظيم مظاهرات احتجاجية. رغم تحذير الحاكم العسكري، أصرّ عبد العزيز على مواصلة الاحتجاجات الشعبية يوم 12 أفريل 1938م. ولم تنته هذه الاحتجاجات باستقبال السيد ميو للشيخ عبد العزيز الذي قدّم له عريضة مطلبية أكد فيها الشيخ على: رفع الظلم المسلط على الأهالي؛ عدم تدخل الإدارة في شؤون المسلمين الدينية؛ احترام تعاليم الدين الإسلامي والمحافظة على مقدساته؛ إعادة الاعتبار للمدارس العربية الحرّة لتقوم بدورها التعليمي في نشر اللغة العربية؛ كما طالبه بمعالجة الأزمة الاقتصادية التي يعاني منها الناس بمساعدتهم المادية والعينية، لكن السيد ميو لم يبت في الأمر ووعد الشيخ بتقديمها للحكومة، فخرج وأمر الجماهير بالانصراف[3].

وفي اليوم الموالي تفاجأت السلطات بتجمع الآلاف من سكان سوف الغاضبين،

1- محمد خير الدين، **مرجع سابق**، ص 281.

2- يذكر محمد خير الدين، وهو من أعضاء الوفد، أن: "الشيخ عبد العزيز كان عصبي المزاج، حاد الطباع، ينفعل ويندفع بسرعة في تهور وطيش أحيانًا؛ فأثار تصرفه غضب الحاكم العام الفرنسي في هذه الناحية، حيث قاد ما يشبه المظاهرة أمام دار الحاكم، وتطاول على الحاكم..". ينظر: **المكان نفسه.**

3- علي غنابزية، **مجتمع وادي سوف...، مرجع سابق**، ص ص. 84-85.

واستطاعت السلطات انهاء هذه المظاهرات يوم 14 أفريل كذلك، لكن الشيخ عبد العزيز راح يعمل على تعبئة الحشود ويدعوها لتنظيم مظاهرات أضخم، مما جعل الاحتجاجات تتواصل حتى يوم 18 من الشهر نفسه. واعتبرت السلطات العسكرية نشاطه هذا إعلانا للثورة والجهاد في الوادي. فكان هذا كافيًا لتتخذه ذريعة ومبررا لاعتقال الشيخ عبد العزيز الشريف وأتباعه من الإصلاحيين باعتبارهم المحرضين على الفوضى والتمرد، وهذا يعني هدم المشروع الإصلاحي والتعليمي في سوف وقراها[1].

وفعلًا؛ كانت نهاية هذا المشروع الذي وئد في المهد، باعتقال وسجن الشيخ عبد العزيز الشريف وبعض من أتباعه (الياجوري، النجعي، علي بن السعد..) يوم 18 أفريل 1938م، وتمّ تقديمهم أمام محكمة قسنطينة التي حكمت عليهم بأربع سنوات سجنا[2]. ولم يفرج على الشيخ إلا في أوائل سنة 1942م، دون أن ينال السراح الكامل، بل تعرض للنفي والإبعاد في مناطق مختلفة من أرض الوطن في: سكيكدة، وأزفون، وشرشال، والعاصمة.. لكن المستعمر لم يكتف بتشريده داخل وطنه، بل أصرّ على نفيه إلى تونس، التي استقرّ بها حتى وفاته سنة 1965م. وكان الهدف من هذا كله هو إفشال مشروعه الإصلاحي، والقضاء على نشاطه الثوري بتجريده من القاعدة الشعبية التي ينتمي إليها[3].

1- **المكان نفسه.**

2- يذكر البعض أن جمعية العلماء لم تتخل عن الشيخ عبد العزيز، رغم عدم موافقته في سلوكه- بل ساندته ماديا ومعنويا طيلة الفترة التي قضاها في سجن قسنطينة، لقد أوكلت له المحامين وناصرته على صفحات جرائدها الإصلاحية كالدفاع والبصائر، ولكن هذا الدعم لم يكن بالقدر الكافي الذي كان ينتظره منها الشيخ عبد العزيز. ينظر: عمار هلال، **مرجع سابق**، ص. 330؛ وعلي غنابزية، **مجتمع وادي سوف...، مرجع سابق**، ص ص. 85-86.

3- حسان الجيلالي، **مرجع سابق**، ص ص. 158 وما بعدها.

6- خاتمة:

لقد كان لزيارة وفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لوادي سوف وقراها نتائج بالغة الأهمية، يمكن حصرها فيما يلي:

- هذه الزيارة دفعت بالحركة الإصلاحية في سوف إلى أبعد مدى لها، وأظهرتها للعلن.

- ربطت شمال البلاد بجنوبها ثقافيا، بل وسياسيًا، وكسرت طوق الحصار الذي كان مفروضًا على عناصر جماعة الإصلاح من طرف المستعمر، إذ كان محظورا عليهم التنقل والدعوة في التراب العسكري بالجنوب.

- دفعت وشجعت على ظهور تعليم عصري، تمثل في مدارس التعليم العربي الحرّ الذي أسسه الشيخ عبد العزيز بن الهاشمي وآخرين، بخاصة الشيخ محمد الطاهر التليلي. وهو تعليم كانت بإشراف جمعية العلماء ووفق مناهجها.

- ساهمت في توعية وتحرير مجتمع سوف من خوفه.

- في هذا الدور برز الشيخ الهاشمي الشريف كبطل للمقاومة والثورة في منطقة سوف، في الوقت الذي اعتقد فيه المستعمر أنه قد نجح في تدجين البقية الباقية من الطرق الصوفية.

7- بيبليوغرافية البحث:

- **البصائر**، (لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)، الأعداد، 59، 93-96، 1937-1938.

- الجيلالي حسان، **جهاد الشيخين "الهاشمي الشريف وابنه عبد العزيز الشريف"**، من إصدارات الزاوية القادرية، الوادي، 2017.

- بالعجال أحمد، **الشيخ محمد السعيد الزاهري "فكره وآراؤه السياسية" (1900-1956)**، دكتوراه علوم في التاريخ المعاصر، جامعة قسنطينة (2) عبد الحميد مهري، الجزائر، 2018.

- بن موسى موسى، **إرهاصات الحركة الإصلاحية بوادي سوف في مطلع القرن 20م "قمار نموذجا"**، في: مجموعة من المختصين، العلامة المصلح محمد الطاهر التليلي (1910-2003) "قراءة في مسيرته وفكره وآثاره"، تص. أبو القاسم سعد الله، إش. وتنس. عادل محلو، الجمعية الثقافية للمركز الثقافي محمد ياجور بقمار، الوادي، 2005.

- (ـــــ، ـــــــ)، **الحركة الإصلاحية بوادي سوف نشأتها وتطورها (1900-1939)**، مذكرة ماجستير في التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، (2006).
- خدوسي رابح وآخرون، **موسوعة الأدباء والعلماء الجزائريين**، دار الحضارة، الجزائر، ط. 3، 2003.
- خير الدين محمد، **مذكرات الشيخ خير الدين**، ج. 1، مطبعة دحلب، الجزائر 1985.
- زغوان يوسف، **التعليم العربي الحرّ بوادي سوف (1931-1962م) "من خلال الوثائق المحلية والروايات الشفوية"**، مذكرة ماجستير في التاريخ، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي.
- شترة خير الدين، **الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة**، ج. 3، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- عوّادي عمّار، **كتابات ووثائق من تاريخ وادي سوف**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014.
- غنابزية علي، **الشيخ محمد الطاهر التليلي رائد التعليم العصري في مدرسة النجاح بقمار**، في: مجموعة من المختصين، العلامة المصلح محمد الطاهر التليلي (1910-2003) "قراءة في مسيرته وفكره وآثاره"، تص. أبو القاسم سعد الله، إش. وتنس. عادل محلو، الجمعية الثقافية للمركز الثقافي محمد ياجور بقمار، الوادي، 2005.
- (ـــــ، ـــــــ)، **مجتمع وادي سوف "من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1300-1374هـ/1882-1954م"**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2017.
- محمد ناصر، **المقالة الصحفية الجزائرية "نشأتها، تطورها، أعلامها، من 1903 إلى 1930"**، مج. 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978.
- مياسي إبراهيم، **الصحراء الجزائرية في ظلال وادي سوف "دراسة تاريخية"**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014.
- هلّال عمّار، **أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1962)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط. 2، 2016.
- Merad Ali, **Le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940**, 2emeéd. les éditions El hikma, Alger, 1999.

أسباب الهجرة العلمية السوفية للبلاد التونسية

Reasons for Soufia scientific migration to the Tunisian country

د. محمد العيد قدع

جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي (الجزائر)

Fadrod077@gmail.com



ملخص:

إن الظروف الجغرافية والمناخية لمنطقة سوف الطاردة للسكان، غرست في أهلها سمة الحركية والحيوية، في حركة دؤوبة لسدّ احتياجاتهم، من الأقطار المجاورة وحتى البعيدة، فكانوا من أكثر الناس تنقلا وهجرة، وفي هذا المقال سوف نتغاضى عن جميع أغراض هجرات أهل سوف، باستثناء هجرة أبنائهم إلى القطر التونسي بغرض طلب العلم، الذي سنحاول التركيز على أسبابه ودواعيه.

وهذه الهجرات في سبيل الاغتراف من المعارف والعلوم أشبه بالبعثات العلمية، عملت على نشر العلوم التي تلقوها، ومنها بعض المعارف غير المعهودة عند طلبة العلم بوادي سوف، فكان لها أكبر الأثر في المحافظة على الشخصية العربية الإسلامية لوادي سوف، وإفشال السياسة الاستعمارية الرامية لمحو الكيان الجزائري الذي يميزه عن فرنسا، كما إن هؤلاء المهاجرين ساهموا في زيادة تمتين الأواصر بين القطرين الجزائري والتونسي.

الكلمات المفتاحية: الهجرة؛ الرحلات العلمية؛ وادي سوف؛ تونس.

***Abstract**:*

The geographical and climatic conditions of the Souf region, which expelled the population, instilled in its people the characteristic of mobility and dynamism, in a tireless movement to meet their needs, from neighboring and even distant countries, and they were among the most mobile and migratory people, and in this article we will overlook all the purposes of migration of the people of Souf, with the exception of the migration of their children To the Tunisian country for the purpose of seeking knowledge, which we will try to focus on its causes and reasons.

These migrations for the sake of gaining knowledge and sciences are more like scientific missions. They worked to spread the sciences they received, including

some knowledge that was not familiar to students of knowledge in Oued Souf. It had the greatest impact on preserving the Arab-Islamic character of Oued Souf, and thwarting the colonial policy aimed at erasing the Algerian entity. Which distinguishes it from France, and these immigrants have contributed to further strengthening the ties between the Algerian and Tunisian countries.

***Keywords:** immigration; scientific trips; Oued souf; Tunisia.*

1- مقدمة

الهجرة حركة تنقل الأفراد والجماعات بتغيير مكان الإقامة، بصفة فصلية وقتية، أو دائمة نهائية، وتكون داخلية بالتنقل داخل القطر، أو خارجية وذلك بالانتقال إلى خارج القطر الأصلي إلى بلد آخر[1]، كما قد تكون نازحة بالتنقل من المكان، أو وافدة بالهجرة إليه. وتلعب هذه الحركة دورا بارزا في العلاقات بين المجتمعات المختلفة، من خلال التأثر والتأثير المتبادل، بين المجتمع الأصلي والأفراد الوافدين إليه.

وذهب أغلب الباحثين، إلى أن أسباب الهجرة من الديار تقوم على ركيزتين:

- أن تصبح الحالة في الوطن الأصلي لا يطيقها الفرد، أو يبدو له على الأقل أنها تفوق درجة احتماله.
- أن يبدو للمهاجر بلدا آخرا يتخذه موئلا له، ظنّا منه أنه سيجد فيه ما عزّ عليه وجوده في موطنه الأصلي[2].

وهجرة السوافة لم تكن بدعا، وما كانت لتخلوا من هذه الدواعي، بالإضافة إلى أن طابع التنقل والهجرة لسكان سوف كان ديدنهم منذ القديم، حتى صار من سماتهم وفي تقاليدهم[3]، وهجراتهم هذه منها الفردية ومنها العائلية، لمزاولة الرعي أو

---

[1]- ناتاليا يفريموفا وتوفيق سلوم، **معجم العلوم الاجتماعية مصطلحات وأعلام**، دار التقدم-موسكو، بيروت، 1992، ص. 283.

[2]- لوثرو بستودارد، **حاضر العالم الإسلامي**، تع. عجاج نويهض، مج. 1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط. 4، 1973، ص. 323.

[3]- عثمان زقب، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة وادي سوف 1918-1947 وتأثيرها على العلاقات مع تونس وليبيا**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الحاج لخضر-باتنة، الجزائر، 2006/2005. ص ص. 216-217.

ممارسة التجارة أو لطلب العلم.. وغيرها، وبالتالي فهجرتهم لتلبية متطلباتهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ولتحسين أوضاعهم ليست غريبة عنهم، حتى أنه خلال خمسينيات القرن 20م كان حوالي ثلث الأشخاص الذين بلغوا سن العمل، مهاجرين إلى التل الجزائري وتونس وغيرها، وعددهم ناهز 12 ألف[1]. ومما تذكره بعض التقارير الفرنسية عن حيوية السوافة، هو وجود أحدهم في الأرجنتين، يعتقد أنه من باعة العبيد الزنوج[2].

2- اتجاهات الهجرة العلمية لأهل سوف:

2-1- الهجرة الداخلية:

إن هجرات أبناء وادي سوف بهذا الصدد متنوعة المقصد، فمنها الداخلية ولو بشكل محدود لقسنطينة قصد طلب العلم[3]، أو للتدريس؛ مثل الذين يزاولون التدريس بمدارس جمعية العلماء، ومنهم الشيخ عبد القادر الياجوري والشيخ علي بن سعد والشيخان الأخوان لقرع "الضيف والطيب"، أو الهجرة المفروضة مثل إبعاد إبراهيم بن عامر عن الوادي ومحمد الطاهر التليلي[4]. لكن الهجرة العلمية الواسعة لطلبة وادي سوف كانت خارج حدود الجزائر؛ وتكاد تقتصر على القطر التونسي الشقيق[5].

2-2- الهجرة الخارجية:

أ- الهجرة إلى المشرق العربي:

كانت أغلب الهجرات العلمية من وادي سوف خارجية، منها ما كانت صوب

---

[1]- علي غنابزية، **مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1300-1374هـ / 1882-1954م**، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008-2009م. ص 289.

[2]- L'annexe de l'El-oued: **rapport sur le souf (Ethnographique sutuation economique moyens d'organisation touristique)**, Art et Métiers indigénes, 1926, dans A. D. M. El, El-oued. p 01.

[3]- Jean Pigoreau: **L'émigration dans l'Annexe d'El-oued** "Manuscrit", 1955. p13.

[4]- موسى بن موسى، **التغلغل الاستعماري بوادي سوف بين المقاومة والتأقلم 1854-1947م**، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، الجزائر 2015. ص ص. 204- 208.

[5]- محمد العيد قدع، **الروابط الاجتماعية والثقافية بين إقليمي وادي سوف والجنوب التونسي (1881 - 1962م)**، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الوادي-الجزائر. ص. 211.

المشرق العربي وهي قديمة جدا، لعل أبرزها الهجرة الدينية تلقاء البقاع المقدسة، والمتمثلة في رحلة الحج الموسمية، التي قد تقترن برحلات لطلب العلم للأزهر الشريف وبلاد الشام والمدينة المنورة، حيث المراكز العلمية العريقة[1]. ومن أمثلة هجرات طلبة العلم إلى المشرق العربي، هجرة الطالب "محمد العربي ستو" المولود بوادي سوف خلال 1870م، الذي هاجر إلى مصر حوالي 1908م[2]، حيث اشتغل مؤدبا للصبيان بالجامع الأزهر، ثم ما لبث أن زاول دراسته به سنة 1916م[3]، وقد ثبت اسمه في قائمة الطلبة الجزائريين بالأزهر في ذات السنة، تحت اسم محمد العربي السوفي، واحتل الرتبة الرابعة بين المصنفين في هذه القائمة[4].

ولم ينحصر دور المهاجرين في التلقي فقط، بل كان لدى بعضهم دور فاعل في نشر العلم، والقيام بجهود في عملية الإصلاح، مثل الشيخ عمار بن الأزعر الذي فرّ من بلدته "ڤمار" بسبب تضييق السياسة الاستعمارية، واستقر سنة 1353هـ/1935م بالمدينة المنورة، حيث يقول عن نفسه: "... سنة 1353هـ وجدت أنا ومن هاجر معي من التلاميذ، من جلالة الملك المعظم إمام المسلمين الملك عبد العزيز آل سعود... كل مساعدة وإكرام إلى أن وصلنا المدينة المنورة"[5]، والجدير بالتنويه أن الشيخ ذكر أن هجرته كانت جماعية، بمعية مجموعة من التلاميذ، ثم يقول: "دخلت مدرسا في مدرسة العلوم الشرعية، ثم حصلت على وظيفة التدريس

---

[1]- **هجرة الجزائريين إلى تونس بين تلبية الحاجيات الاجتماعية وإحداث التكامل الثقافي في النصف الأول من القرن 14هـ/20م. (وادي سوف أنموذجا)**، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الدولي حول: التواصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس، قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر، تاريخ الانعقاد 11/10 نوفمبر 2013.

[2]- موسى بن موسى: **مرجع سابق**، ص. 209.

[3]- عمار هلال: **"الطلبة الجزائريين في الأزهر عام 1916"**، **مجلة الثقافة**، ع. 74، الجزائر، يناير– فبراير 1984، ص. 146.

[4]- موسى بن موسى: **مرجع سابق**، ص. 209.

[5]- محمد سعيد الدفتردار، "من أعلام المدينة المنورة (صاحب الفضيلة العلامة المحدث السلفي الشيخ عمار بن عبد الله بن الطاهر بن أحمد الهلالي الجزائري المدرس بالمسجد النبوي الشريف عليه رحمة الله)"، **مجلة المنهل**، ج. 08، س. 35، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، شعبان 1389هـ/أكتوبر 1966. ص ص. 1106-1105.

في المسجد النبوي، ثم انتقلت إلى مدرسة العلوم الشرعية، وإلى مدرسة الحديث"[1].

ب- الهجرة العلمية نحو تونس:

إن تنقل السكان بين المناطق المتاخمة، بحكم الجوار الجغرافي، والامتداد المكاني لهو أمر طبيعي، وهو ما كان بين منطقة وادي سوف والجنوب التونسي، من هجرات يمكن إرجاعها إلى وجود الإنسان نفسه في هذه البقاع، وليست ظاهرة عابرة، أو وليدة ظروف حادثة[2]، ومما لا جدال فيه أن أبرز العوامل المساعدة على هذه الحركة -زيادة على الوضع الجغرافي- هو ضعف مراقبة الحدود، نتيجة الطابع الصحراوي الصعب وشساعة المساحة[3].

وحسب الإحصائيات التي قامت بها السلطات التونسية قبل انتصاب الحماية الفرنسية والسلطات الاستعمارية قبل عام 1921م، يتبين وجود ثلاث مناطق رئيسة لتمركز أهل سوف بتونس، وهي بلاد الجريد، ومنطقة الحوض المنجمي بقفصة، والحاضرة تونس[4]، ولا ننسى منطقة نفزاوة التي تعتبر أكثر المناطق شبها بسوف، وعلى الرغم من التشابه بين سوف ومناطق الجنوب، إلا أنها تقارب التطابق مع منطقة نفزاوة عامة وبلدة "دوز" خصوصا. والذي يؤكد قدم هجرة أهل سوف إلى تونس -خاصة العلمية- ما ورد في المصادر الإباضية التي لا تخلو من ذكر سوف، عند تعرضها لتنقل الشيوخ وطلاب العلم، كما أن بلدة قبلي كانت مكانا لاستراحة الحجاج المغاربة قبل استئنافهم الرحلة نحو البقاع المقدسة، ومنهم

---

[1]- محمد الطاهر التليلي، **من تاريخ وادي سوف**، مخ، "لدي نسخة منه". ورقة 86.

[2]- عبد الكريم الماجري، **السوافة بالبلاد التونسية من خلال المصادر الأرشيفية-الأهمية العددية وإسهاماتهم في الحياة الاقتصادية والاجتماعية(1860-1960)**، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الدولي حول التواصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس 10، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر، تاريخ الانعقاد 11/10 نوفمبر2013؛ أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة في إطار تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الاسلامية، 2011. ج.5 ، ص. 9.

[3]- Jean Pigoreau, **L'émigration dans l'Annexe d'El-oued** "Manuscrit", 1955. p 03.

[4]- L'administrateur "annexe d'El-oued", **Monographie**, archive de direction moudjahidine d'El-oued. p 30.

سكان منطقة وادي سوف[1].

3- أسباب هجرة طلبة سوف صوب تونس

اجتمعت للهجرات العلمية السوفية، نحو المراكز العلمية بالقطر التونسي، عدة أسباب أهمها:

3-1- السبب التاريخي:

إن الرحلة قديمة عند العرب، ولما جاء الإسلام أصبحت لها خصوصيات في مجالات متعددة، ومنها المجال العلمي، ابتداء من طلب العلم وتنمية المعارف وتجديدها، وتلقي الإجازات في مختلف الفنون، مرورا بجمع العلوم والآثار، مثلما فعل جامعي الأحاديث النبوية والسير...، وانتهاء بتعارف العلماء وتواصلهم، والتراث الإسلامي مليء بمدح هذه الهجرة والحضّ عليها، وهو ما دأب عليه أهل سوف، طلبة وعلماء بالهجرة إلى تونس، وبادلهم علماؤها الزيارات لسوف تعارفا وتعرّفا ونشرا للعلوم والثقافة والوعي[2].

3-2- التماثل الاجتماعي والقرب الجغرافي:

ينتمي أغلب سكان الجنوب التونسي إلى قبيلة سليم التي دخلت المنطقة فيما يعرف بالهجرة الهلالية، وكذلك الأمر بالنسبة لسكان وادي سوف حيث يرجعون إلى نفس الأصول، وهو ما انعكس على الواقع الاجتماعي، فنتج عنه تشابه في العادات والتقاليد، وفي لغة التخاطب والخلفية الفكرية، حيث الزائر من المنطقتين لا يحس بالغربة أو الاختلاف الكبير بين منطقته والأخرى التي هاجر إليها، فلذلك كان تنقل السكان بين المنطقتين -ومنهم طلبة العلم- سهلا سلسا متواصلا واعتياديا[3].

وإن المتاخمة الحدودية بين وادي سوف والجنوب التونسي، شكل -ولا يزال-

---

[1]- أبو زكرياء يحي بن أبي بكر، **سير الأئمة وأخبارهم**، تح. أسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط. 2، 1984، ص ص. 244، 249؛ المرصد التونسي للبيئة والتنمية المستديمة، **التقرير الجهوي حول وضعية البيئة بولاية قبلي**، أوربيس للطباعة، تونس، 2014.

[2]- محمد العيد قدع، **مرجع سابق**، ص. 212.

[3]- **السابق**، ص ص. 126، 145، 146، 159.

جسرا للتواصل المستمر على مرّ العصور، فكان هذا سببا في تحول أنظار طلاب العلم من منطقة سوف، إلى المدارس التعليمية بزوايا الجنوب التونسي، قبل التوجه للزيتونة، لريّ غليلهم في تلقي مختلف العلوم[1].

3-3- السبب السياسي:

طبق الاستعمار الفرنسي في الجزائر، سياسة استعمارية مقيتة، مبنية على الحيف والجور، ومن ضمنها محاولة المسخ للهوية الجزائرية، المرتكزة على اللغة العربية والدين الإسلامي، ولا يتأتى ذلك إلا بمحاربة التعليم العربي وإتباع سياسة تجهيل ممنهجة، بالقضاء على الثقافة الإسلامية، وتجفيف منابعها، ومع وجود الاحتلال في كلتا البلدين؛ تونس والجزائر، فلا يجب التغاضي على نوع الاحتلال في تونس "الحماية"، التي هي أقل وطأة وتأثيرا من الاحتلال في الجزائر "الاستعمار المباشر"، فكان هذا سببا قويا في توجيه الهجرة لطلب العلم إلى خارج الجزائر، والأقرب لأبناء سوف هو القطر التونسي[2].

4-3- العامل الثقافي:

عرفت الحياة العلمية بتونس ازدهارا، فقد كانت أرحب مجالا وأكثر اهتماما[3]، مقارنة لما عليه الحال في الجزائر عموما، ومنها منطقة وادي سوف، التي تعاني تخلفا كبيرا في هذا المجال، والملاحظ أن هذه المفارقة موجودة على مر العصور،

---

[1]- محمد الصالح الجابري، **النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900م-1962م**، الدار العربية للكتاب، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس والجزائر، 1983م. ص. 23؛ محمد السعيد عقيب، **جمعية الشباب السوفي الزيتوني**، مجلة البحوث والدراسات-المركز الجامعي بالوادي-الجزائر، ع. 3، جمادى الاولى 1427هـ/جوان 2006م. ص. 63؛ أبو القاسم سعد الله: **تجارب في الأدب والرحلة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص. 41.

[2]- علي بن حراث، **أسباب تركيز الرحلة العلمية الجزائرية على تونس**، مداخلة ضمن الملتقى الدولي حول: التواصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس، قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي- الجزائر، تاريخ الانعقاد 11/10 نوفمبر 2013.

[3]- لا يعني هذا أن هناك تطور علمي في تونس، فقد كانت كغيرها من مناطق العالم الإسلامي، ترزح تحت وطأة التخلف عموما، خصوصا بالبوادي التي تشكل أغلب مناطقة الجنوب التونسي.

فقد كانت تونس سباقة في هذا المجال[1]، وما وجود جامع الزيتونة وفروعه، إلا مظهر من مظاهر هذا السبق، وهو ما قلل من تأثير السياسة الاستعمارية على الثقافة العربية بتونس، وبالمقابل خلو الجزائر من صرح علمي بحجم الزيتونة[2]، بالرغم من وجود بعض المراكز بقسنطينة وبجاية..، وبعض الكتاتيب البسيطة في المساجد، أو الزوايا الكثير منها شغلها الشاغل هو ربط المريدين بالطريقة الصوفية، أكثر من اضطلاعها بسد الفراغ الثقافي، إضافة إلى عملية التضييق التي مارسها الاحتلال ضد عملية التنوير[3].

وتكتمل الحلقة بسياسة الإبعاد، التي مارسها العدو الفرنسي ضد كل من يلمس فيهم خطرا عليه، وهجرة الآخرين متوجهين إلى قواعد الثقافة التي تلائم تكوينهم، ولم ينصرم النصف الأول من القرن 19م، حتى لم يبق سوى القليل ممن يدافع عن المعالم الحضارية للجزائريين[4].

أ- الدو افع التعليمية:

نظرا لمحدودية مراكز التعليم بوادي سوف، فقد كان طالب العلم عادة ما يحفظ القرآن في بلدته، وبعض المتون المتضمنة لمبادئ الدين والعربية –أن تيسر له ذلك-، فإذا أراد خوض غمار العلم والتبحر فيه، شدّ الرحال إلى مواطنه، حيث يطفئ لظاه في زوايا الجنوب التونسي، التي تعدّ ملجأ له وملاذا، لصيتها عند السكان وقربها، ومن شاء أن يستنير أكثر لاذ بالجامع الأعظم[5] "الزيتونة"[6]. ورغم

1- محمد الطاهر ابن عاشور، **أليس الصبح بقريب؟** "التعليم العربي الإسلامي"، دار سحنون، تونس، ط. 3 ، 2010م. ص. 99.

2- أبو القاسم سعد الله، **أفكارجامحة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988. ص. 56.

3- أبو القاسم سعد الله، **قضايا شائكة**، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1990. ص. 126.

4- سعد الله: **أفكار...** **مرجع سابق**، ص. 62.

5- حوله، ينظر: حسن حسني عبد الوهاب: "أثر تاريخي معاصر لجامع الزيتونة"، **مجلة الزيتونية**، مجلة شهرية تصدر عن جامع الزيتونة، مج. 04، ج. 06، 06 صفر 1360/مارس 1941. ص. 20.

6- علي غنابزية، **مجتمع وادي سوف... مرجع سابق**، ص. 290؛ عبد الحميد زوزو، **الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجز ائرية بين الحربين (1919-1939)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط. 2، الجزائر، 1985، ص ص. 47-51.

صدور قانون "جول فيري" (Jules *Ferry*) بتاريخ 13 فبراير 1883م[1]، الذي يتيح لبعض أولاد الجزائريين الانخراط في التعليم الفرنسي، فقد لقي هذا القانون معارضة شديدة من طرف المعمرين، خشية ارتفاع مستوى الوعي للسكان المسلمين، ويجعلهم يطالبون بحقوقهم، إذا ما انتشر فيهم التعليم[2]، كما أن أغلب أبناء الجزائريين لم ينخرطوا في التعليم الفرنسي، وفروا من مدارسه، لأسباب أهمها خشية التنصير ومقاطعة للمستعمر..[3].

ب- زيارات شيوخ العلم:

تعتبر الزيارات العلمية التي يقوم بها العلماء والمشايخ من تونس إلى وادي سوف، إحدى أبرز العوامل المباشرة في التحريض على قيام أبناء سوف بالرحلة العلمية للمراكز العلمية بتونس، والمتتبع يلاحظ أن هذه الزيارات ليست بجديدة على المنطقة، فهي قديمة جدا ومتواصلة، ذات تأثير بالغ، سواء في ربط العلاقات بين المنطقتين، أو في نشر العلم والصلاح، ونفض الغبار الذي ران على العقول، وتبديد الجهل، خصوصا في غياب الوعي، بفعل السياسة الاستعمارية، بالإضافة إلى حياة البداوة التي يعيشونها[4].

ومن بين شيوخ العلم الذين زاروا وادي سوف وكان لهم تأثير ذائع الصيت: الشيخ محمد الأخضر بن حسين والشيخ المكي بن عزوز الشيخ إبراهيم البختري التوزري والشيخ المبارك بن مازق والشيخ محمد بن السايح اللقاني، الشيخ العربي بن عمار، حيث جالوا في المنطقة، ودرّسوا بمساجدها وزواياها[5].

---

[1]- موسى بن موسى، **التغلغل الاستعماري...، مرجع سابق**، ص.. 198.

[2]- عبد الحميد زوزو، **مرجع سابق**، ص. 48.

[3]- عاشوري قمعون، **العلامة الموسوعي حمزة بوكوشة**، مطبعة سخري، الوادي، الجزائر، 2012/1433، ص. 54.

[4]- محمد العيد قدع، **الروابط الاجتماعية والثقافية...، مرجع سابق**، ص. 230 وما بعدها.

[5]- غنابزية، **مجتمع وادي سوف...، مرجع سابق**، ص 75؛ أبو القاسم سعد الله: **خارج السرب - مقالات وتأملات**، دار البصائر، ط. 2، الجزائر، 2009، ص. 157.

كما أنّ الطلبة السوافة العائدين من تونس، خاصة الذين أنهوا دراستهم، أبهروا العامة بعلومهم التي تفوق نوعا وكما، ما هو موجود لدى الشيوخ المتصدرين للتدريس في سوف، خاصة المتكونين محليا، فقد كانت معارفهم لا تعدو أن تكون تحفيظ القرآن الكريم والخط[1]، وفي أحسن الحالات تقديم بعض الدروس السطحية في فقه العبادات، فكان لهؤلاء الطلبة دور مهم في توجيه الرحلة العلمية صوب المراكز العلمية بالجنوب التونسي، حيث وجد الكثير من السوافة في الفرع الزيتوني وزوايا وكتاتيب نفطة وتوزر مستقرا ومقاما لتلقي مختلف العلوم[2].

وبذلك كان عدد الطلبة بتونس يزداد من سنة لأخرى، وهذا بفضل الطلبة القدامى المتخرجين، أو الزائرين لأهليهم في العطل[3]، فيزيدون من نشر الوعي ويرغّبون الشباب في الرحيل لتونس بغرض طلب العلم، فكان لذلك أثر كبير على أقرانهم، من الذين يتُوقُون للتزود من مختلف العلوم، ووجدوا الأبواب مُوصدة أمامهم ببلدهم سوف[4].

ت- شهرة المراكز العلمية التونسية:

إن السمعة العلمية التي اكتسبها جامع الزيتونة، ومنها فروعه بتوزر وقفصة، وكذلك مختلف الزوايا بالجنوب التونسي القريبة من وادي سوف، مثل زاوية

---

[1]- عثمان زقب، **نماذج من سياسة التقييد والرقابة للإدارة الاستعمارية على التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس 1881-1954 (وادي سوف أنموذجا)**، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الدولي حول: التواصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس، قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر، تاريخ الانعقاد 11/10 نوفمبر 2013.

[2]- عاشوري قمعون، "العلاقات الثقافية بين منطقة سوف وبلاد الجريد التونسية"، **المجلة التاريخية المغاربية**، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، س. 41، ع. 160، جويلية/يوليو 2015. ص. 149.

[3]- إبراهيم شويخ، **الرحلات العلمية و أثرها في الحياة الثقافية بمنطقة وادي سوف 1931-1969م**، رسالة ماستر، قسم العلوم الانسانية، جامعة الوادي، 2018/2017. ص ص. 24-25.

[4]- Jamel Haggui: **les Algériens du sud dans la ville de Tunis pendent l'époque colonial 1881-1956 "Mozabite, Soufis, Ouarglias",** mémoire de D. E. A., Université de manouba, Année Universitaire 2003-2004 , p 87.

مبروك الشامسي: **مذكرات نفيسة**، مؤسسة إيموبال المطبعة العصرية-الوادي، الجزائر، د. ت. ص. 51.

الشيخ إبراهيم بن أحمد القادرية بنفطة، وزاوية الشيخ مصطفى بن عزوز الرحمانية بنفطة كذلك[1]، وزاوية المولدي بوعرّقية القادرية بتوزر.. وغيرها، جعل الطلبة السوافة يشدّون الرّحال إلى هذه المراكز العلمية الشهيرة، بالإضافة إلى ما تمثله هذه المدارس من مراكز جذب روحية، تهفو إليها الأفئدة، وترنو لها القلوب وتشرئب لها الأعناق[2].

أضف إلى ما سبق كفاءة شيوخ العلم هناك، ووزنهم وشهرتهم العلمية، نتيجة تمكنهم العلمي، وخبرتهم الواسعة في هذا المجال، وتنوع المواد الدراسية، حيث يدرس الفرع الزيتوني بتوزر العلوم الحديثة كالرياضيات والفلك والكيمياء ... وغيرها من العلوم[3] وإن كانت بسيطة، وبهذا نستشف التطور، الذي وصل إليه التعليم بتونس في تلك الفترة، مقارنة بمنطقة سوف التي تعاني عوزا كبيرا في هذا المجال.

ث- التواجد السوفي بالجنوب التونسي:

إن وجود السوافة بتونس عموما وببلاد الجريد بصفة خاصة، متن العلاقات الاجتماعية من جهة[4]، ومن جهة أخرى كان هذا مشجعا لطالب العلم على الانتقال، حيث يوجد من يأنس إليه، ويسليه البعد عن مضارب الأهل، ويتلقى

---

[1]- رغم صغر مدينة نفطة آنذاك، إلا أنها كانت تعجّ بشيوخ العلم وحلقاته، وبها الكثير من المساجد، بلغ عددها مع الزوايا 82 مسجدا وزاوية، مما حدا ببعضهم إلى تسميتها بالكوفة الصغرى، وكذلك المدينة المقدسة للجريد. لقاء مع الشيخ حمد توبة، بمنزله بقرية جلمة بلدية المقرن-ولاية الوادي، يوم 2012/01/14، 16:00؛ أوغست–أنطوان دي باتي دي كلام: **ومضات من تاريخ نفطة**، تع. لطفي الطرودي، مطبعة الجريد، نفطة، 2009. ص. 32.

لكن الأرجح أن مصدر هذه التسمية لانتشار التشيُّع بها قديما. محمد الصالح مرمول، **السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983. ص ص. 32-33.

[2]- محمد الشاذلي النيفر، "زيتونة يكاد زيتها يضيء"، **جريدة الزيتونة**، س. 01، ع. 02، نوفمبر 1953، ص. 01.

[3]- محمد علي دبّوز، **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ج. 2، المطبعة العربية، الجزائر، 1971م. ص ص. 16-17.

[4]- لعلّ من بين أهم مظاهر هذا الانصهار والتلاحم، والتأثير والتأثر بين المنطقتين، وجود عدة ألقاب مشتركة، منها: (سوفي، توانسة، عاشور، زلاسي، دقاشي، مسغوني، همامي، غريب،..).

منهم بعض المساعدات[1]، وفي هذا الإطار يذكر الشيخ مبروك الشامسي: أنه كان يسكن بنفطة ويدرس بالفرع الزيتوني بتوزر، وكان ضريرا ومقلا، فكان يقله سائق حافلة أصله من سوف ويدعى العربي بالشاوش مجانا أسبوعا بعد أسبوع، كما كان هناك تاجرا من سوف يسمى نصر واجده عرض خدماته على الطلاب السوافة، أن من كان موسرا يدفع ثمن المقتنيات وإلا عفا الله عنه، بل إنه وجد المساعدة حتى من الطلبة النفطيين من رفقته، فكانوا له خير معين له وأحسن عاضد، حيث يهيؤون طعامه وشرابه ويقومون بحاجاته[2].

ج- التهرّب من الخدمة العسكرية:

رغم أن وادي سوف منطقة عسكرية لا يشملها التجنيد الاجباري، إلا أن الاحتلال عند أزماته لا يفرق في ذلك مثل ما حدث في الحربين العالميتين، حيث يقوم بتجنيد الجزائريين للدفاع عن فرنسا، فيبدأ الأمر بهروب الشباب السوفي خوفا من أن يقعوا تحت طائلة التجنيد في الجيش الفرنسي، ثم لا يلبث المهاجر أن يبدأ بممارسة حياته في وطنه الجديد، التي تنتهي به أحيانا إلى طلب العلم، بإحدى الزوايا التي احتضنته في غربته[3].

5- خاتمة:

عرف أهل وادي سوف بالحركة الدؤوبة والتنقل الدائم من منطقتهم إلى المناطق الأخرى –خصوصا المجاورة-، حتى كان هذا ديدنهم لسد حاجاتهم وتعويض ما تفتقر إليهم منطقتهم، في كثير من المجالات، ومنها المجال الثقافي.

لم تقتصر هجرة أبناء سوف على منطقة بعينها، فقد كانت لهم عدة وجهات تنقلوا إليها، وإنما الرحلة في سبيل طلب العلم كانت مقصورة على البلاد العربية؛ وخصوصا القطر التونسي الشقيق، وهي –بطبيعة الحال-تلائم توجههم الفكري،

1- سعد الله، **تجارب...**، **مصدر سابق**، ص. 41.

2- مبروك الشامسي، **مصدر سابق**، ص ص. 55-56.

3- عبد الحميد زوزو، **مرجع سابق**، ص. 46.

وخلفيتهم الثقافية العربية الاسلامية.

إن عامل الجوار والتماثل الاجتماعي والثقافي بين سكان وادي سوف وسكان تونس -خصوصا أهل الجنوب-أجج التنقل المستمر بين المنطقتين، ودفع بهجرة السوافة إلى تلك البقاع، فشدّ كثير من شباب سوف الرحال إلى مراتع العلم ومنابعه، وأقربها لهم منطقة الجنوب التونسي، حيث الحركة العلمية تشهد نشاطا لافتا في ذلك الوقت، بفضل نشاط الزوايا، وخاصة الزاويتين القادرية والرحمانية والفرع الزيتوني في مسجد الفركوس بتوزر، وكان كثير من أساطين العلم يجوبون تلك المراكز.

لعبت العوامل الثقافية دورا هاما، في حركة التنقل بين المنطقتين، وأبرزها هجرة الطلبة من سوف نحو تونس، لطلب العلم والترقي فيه، في ظل شحّ مصادره بوادي سوف، بسبب طبيعة الكثير من السكان في حياة التبدّي "من البادية"، ويضاف إليها معاول السياسة الاستعمارية الرامية إلى تجهيل المجتمع، بمحاربتها التعليم العربي الإسلامي، بالإضافة إلى وجود مراكز علمية مهمة في البلاد التونسية.

شكل الشباب المهاجر لأجل العلم، أشبه بالبعثات العلمية بالمفهوم الحالي، وهي هجرات تقتصر مدة إقامتها في الغالب، على سنوات طلب العلم والتحصيل، والانتفاع من المراكز العلمية التونسية، التي تخرج منها علماء أفذاذ، وشيوخ أجلاء، كان لهم الفضل في تنوير البصائر، وتحرير العقول، حين عودتهم لديارهم، ولم يقتصر دورهم على نشر العلوم في منطقتهم وادي سوف، وإنما تعداه إلى مناطق أخرى، منها القطر التونسي نفسه، فبعضهم مكث فيه -بعد تخرجه-بصفة مؤقتة أو دائمة.

تعرف الطلبة أثناء وجودهم بتونس، على فضاء جديد مكّنهم من اكتساب المعارف والمهارات، ورغم سياسة التسلط الاستعماري، والفاقة وقساوة الظروف الطبيعية، أثبت أبناء سوف جدارتهم، في التحصيل العلمي، كما كان لهؤلاء الطلبة دورا فعّالا في تمتين عرى وروابط الأخوة بين سكان المنطقتين. بالتصاهر والتجاور

والتعامل اليومي.

ساهم الطلبة السوافة مساهمة فعّالة في الحياة العلمية، بالمنطقة وما جاورها بعد عودتهم من المهجر كنخبة مثقفة، حيث قاوموا السياسة التعليمية الفرنسية، فحافظوا على شخصية الأمة الجزائرية بصبغتها العربية والإسلامية من الذوبان والانحلال، إلى غاية استعادة السيادة الوطنية، وبعد الاستقلال كانوا المسؤول الكفء، والإطار الناجح، الذي تحمّل عبء معركة البناء والتعمير.

التوصيات:

- العمل على ترجمة الوثائق والرحلات والتقارير والبحوث الأجنبية، التي تتناول تاريخ المنطقتين، حتى تزيد المادة المصدرية للباحثين.

- ترغيب الطلبة بالبحث في التاريخ المحلي للمنطقة، لاسيما المشترك مع الأقاليم المجاورة، وتكليفهم بإنجاز بحوث بعناوين مدروسة بعناية، ذات مصادر متاحة، حبذا لو تكون جزئيات صغيرة حتى لا يأخذ الطالب اليأس عند إنجازها، نتيجة اتساعها أو افتقارها للضروري من المادة العلمية.

- عقد ملتقيات وندوات مغاربية، وحتى دولية -إذا تسنى الأمر- لبحث القضايا التاريخية المشتركة، بما يخدم حاضر الأمة، ويبني مستقبلها بخطط مدروسة، ورؤى واضحة المعالم والأهداف.

- على الباحثين في تاريخ وادي سوف، إبراز تأثير وتأثر المنطقة مع الأقاليم المجاورة، الأمر الذي يسمح بإظهار الوحدة الحقيقية، واللحمة بين شعوب المغرب العربي.

- إنجاز أعمال "بحوث، لقاءات، مشاورات، ندوات.."، مشتركة مع البحاثة من القطر التونسي، وحبذا أبناء الجنوب، تبحث في التاريخ المشترك، وتعمل على جمع مختلف الوثائق المحلية، والمخطوطات ووثائق الأرشيف..، ووضعها في متناول الباحثين.

- كما ننصح الطلبة خاصة، الذين هم على أبواب التخرج، باختيار ميدان التاريخ

المحلي، بدل البحوث العامة التي أشبعت بحثا.

6- قائمة المصادروالمراجع:

- المصادر:

- Jean Pigoreau, **L' émigration dans l'Annexe d'El-oued** "Manuscrit", 1955.
- L'administrateur "annexe d'El-oued", **Monographie**, archive de direction moudjahidine d'El-oued.
- L'annexe de l'El-oued, **rapport sur le souf (Ethnographique sutuation economique moyens d'organisation touristique)**, Art et Métiers indigénes, 1926, dans A. D. M. El, El-oued.

- الكتب:

- ابن عاشور محمد الطاهر، **أليس الصبح بقريب؟** "التعليم العربي الإسلامي"، ط3، دار سحنون، تونس، 2010م.
- أبو زكرياء يحي بن أبي بكر، **سير الأئمة وأخبارهم**، تح. أسماعيل العربي، ط. 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
- أوغست أنطوان دي باتي دي كلام، **ومضات من تاريخ نفطة**، تع. لطفي الطرودي، مطبعة الجريد، نفطة، 2009.
- بستودارد لوثرو، **حاضر العالم الإسلامي**، تع. عجاج نويهض، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط. 4، 1973.
- الجابري محمد الصالح، **النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900م-1962م**، الدار العربية للكتاب، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس والجزائر، 1983م.
- دبّوز محمد علي، **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، المطبعة العربية، الجزائر، 1971م.
- زوزو عبد الحميد، **الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1919-1939)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط. 2، 1985.
- سعد الله أبو القاسم، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة في إطار تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الاسلامية، 2011.
- (ـــــ، ـــــ)، **أفكار جامحة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.
- (ـــــ، ـــــ)، **تجارب في الأدب والرحلة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.
- (ـــــ،ـــــ)، **خارج السرب، مقالات وتأملات**، ط. 2، دار البصائر، الجزائر، 2009.

- (ـــــــ، ـــــــ)، **قضايا شائكة**، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1990.

- الشامسي اعواج مبروك، **مذكرات نفيسة**، مؤسسة إيموبال المطبعة العصرية-الوادي، الجزائر، د. ت.

- قمعون عاشوري، **العلامة الموسوعي حمزة بوكوشة**، مطبعة سخري-الوادي، الجزائر، 2012/1433.

- المرصد التونسي للبيئة والتنمية المستديمة، **التقرير الجهوي حول وضعية البيئة بولاية قبلي**، أوربيس للطباعة، تونس، 2014.

- مرمول محمد الصالح، **السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

- ناتاليا يفريموفا وتوفيق سلوم، **معجم العلوم الاجتماعية مصطلحات وأعلام**، دار التقدم-موسكو، بيروت، 1992.

- الرسائل الجامعية:

- شويخ إبراهيم، **الرحلات العلمية و أثرها في الحياة الثقافية بمنطقة وادي سوف 1931-1969م**، رسالة ماستر في التاريخ، قسم العلوم الانسانية، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الوادي، 2018/2017.

- زقب عثمان، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة وادي سوف 1918-1947 وتأثيرها على العلاقات مع تونس وليبيا**، رسالة ماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة الحاج لخضر-باتنة، الجزائر، 2006/2005.

- غنابزية علي، **مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية** 1300-1374هـ/1882-1954م، رسالة دكتوراه في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008-2009م.

- قدع محمد العيد، **الروابط الاجتماعية والثقافية بين إقليمي وادي سوف والجنوب التونسي** (1881-1962م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ، قسم العلوم الانسانية، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الوادي-الجزائر، 2020.

- بن موسى موسى، **التغلغل الاستعماري بوادي سوف بين المقاومة والتأقلم 1854-1947م**. دكتوراه في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، الجزائر.

- Haggui Jamel, **les Algériens du sud dans la ville de Tunis pendent l'époque colonial 1881-1956 "Mozabite, Soufis, Ouarglias",** mémoire de D. E. A., Université de manouba, Année Universitaire 2003-2004.

- **مقالات الصحف:**

- الدفتردار محمد سعيد، **"**من أعلام المدينة المنورة (صاحب الفضيلة العلامة المحدث السلفي الشيخ عمار بن عبد الله بن الطاهر بن أحمد الهلالي الجزائري المدرس بالمسجد النبوي الشريف عليه رحمة الله)"، **مجلة المنهل**، ج. 08، س. 35، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، شعبان 1389هـ/أكتوبر 1966.

- عبد الوهاب حسن حسني، **"**أثر تاريخي معاصر لجامع الزيتونة**"**، **الزيتونية**، مجلة شهرية تصدر عن جامع الزيتونة، مج. 04، ج. 06، 06 صفر 1360/مارس 1941.

- عقيب محمد السعيد، "جمعية الشباب السوفي الزيتوني"، **مجلة البحوث والدراسات**، المركز الجامعي بالوادي، الجزائر، ع. 3، جمادى الاولى 1427هـ/جوان 2006م.

- قمعون عاشوري، "العلاقات الثقافية بين منطقة سوف وبلاد الجريد التونسية"، **المجلة التاريخية المغاربية**، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، س. 41، ع. 160، جويلية/يوليو 2015.

- النيفر محمد الشاذلي، "زيتونة يكاد زيتها يضيء"، **جريدة الزيتونة**، س. 01، ع. 02، نوفمبر1953.

- هلال عمار، "الطلبة الجزائريين في الأزهر عام 1916"، **مجلة الثقافة**، ع. 74، الجزائر، يناير- فبراير 1984.

- **الملتقيات:**

- **هجرة الجزائريين إلى تونس بين تلبية الحاجيات الاجتماعية وإحداث التكامل الثقافي في النصف الأول من القرن 14هـ/20م (وادي سوف أنموذجا)**، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الدولي حول: التواصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس، قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر، تاريخ الانعقاد 11/10 نوفمبر2013.

- بن حراث علي، **"أسباب تركيز الرحلة العلمية الجزائرية على تونس"**، مداخلة ضمن الملتقى الدولي حول: التواصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس، قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر، تاريخ الانعقاد 11/10 نوفمبر2013.

- زقب عثمان، **"نماذج من سياسة التقييد والرقابة للإدارة الاستعمارية على التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس 1881-1954 (وادي سوف أنموذجا)"**، مداخلة ضمن

فعاليات الملتقى الدولي حول: التواصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس، قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر، تاريخ الانعقاد 11/10 نوفمبر2013.

- الماجري عبد الكريم، "**السو افة بالبلاد التونسية من خلال المصادر الأرشيفية - الأهمية العددية وإسهاماتهم في الحياة الاقتصادية والاجتماعية (1860-1960)**"، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الدولي حول: التواصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس ، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر، تاريخ الانعقاد 11/10 نوفمبر2013.

- **مخطوطات ومقابلات:**

- التليلي محمد الطاهر، **من تاريخ وادي سوف**، مخ، "لدي نسخة منه".

- لقاء مع الشيخ توبة حمد، بمنزله بقرية جلمة بلدية المقرن -ولاية الوادي، يوم 2012/01/14، الساعة 16:00.

الحياة العلمية في وادي سوف من خلال إجازات بعض علمائها

The scientific life in Oued Souf
through the licenses (Ijazete) of some of its scholars

أ. نورالدين صحراوي

جامعة الشهيد حمة لخضربالوادي (الجزائر)

Djassem73@gmail.com



ملخص:

يتناول هذا الموضوع جانبا من الحياة العلمية في منطقة وادي سوف، خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، فالمكان والزمان يُشكلان أكبر التحديات أمام السكان في طلب العلم ونشره، فالمنطقة صحراوية بَدوية، متوارية خلف خطوط العلم وسُبل المعرفة، ورغم ذلك ظهر فيها رجال علماء وفقهاء، أوتوا من الحكمة نصيبا وافرا، وتصدروا منابر العلم في العديد من الحواضر العلمية داخل الوطن وخارجه. كما تركوا تراثا علميا في الفقه واللغة، زكّاه أفاضل العلماء والشيوخ.

لذا يهدف هذا المقال إلى جمع بعض المتناثر في الكتب والصحائف، عن جهود علماء وادي سوف خلال تلك الفترة العصيبة من تاريخها الحديث والمعاصر، اعتمادا على تراثهم العلمي والأدبي، وإجازات الشيوخ لهم وإجازاتهم لتلاميذهم، وهو اشهاد لهم عن جدارتهم ومكانتهم العلمية، وزيادة لهم في سندهم المعرفي والروحي.

الكلمات المفتاحية: الحياة العلمية؛ الإجازة؛ الرحلة الحجازية؛ وادي سوف؛ خنقة سيدي ناجي.

Abstract :

This topic deals with an aspect of scientific life in the Oued Souf region, during the eighteenth and nineteenth centuries, as space and time constitute the greatest challenges facing the population in seeking and spreading knowledge. They were given an abundant share of wisdom, and they led the platforms of science in many scientific cities inside and outside the country. They also left a scientific legacy in jurisprudence and language, purified by the best scholars and sheikhs.

Therefore, this article aims to collect some of the scattered books and sheets

about the efforts of the scholars of Wadi Souf during that difficult period in its modern and contemporary history, based on their scientific and literary heritage, and the authorizations of the sheikhs for them and the authorizations for their students. Cognitive and spiritual.

Keywords: *Scientific life; al'Ijaza; Hijaz trip; Oued Souf; khanqat Sidi Naji.*

1- مقدمة

الحياة العلمية في وادي سوف وأغلب المدن الجزائرية، منذ القرن الثامن عشر طغى عليها التخصص الديني؛ كالتفسير وعلم القراءات والحديث وفقه العبادات والمعاملات، وما له علاقة بعلوم الشريعة كاللغة ومبادئ الحساب، التي لا غنى عنها لدراسة العلوم الشرعية. "فأهل البادية ومن في حكمهم من القرى الصغيرة لهم طلب في الفنون الأدبية من نحو وبيان ولغة وغيرها مما به الاقتدار على النظم والنثر لتصنيف كتاب أو ابتكار رسالة واتساع في المعارف والعلوم، ولكن لا اعتناء لهم بتقييد المآثر والوفيات...بل غاية ما يُذكرون به ويُمدحون هو العفاف والتقوى والورع والعبادة، وغالب علومهم العلوم الدينية من عقائد وأحكام عبادة ومعاملات"[1] وهذا النوع من التعليم كانت سوقه رائجة، ومريدوه هم نخبة المجتمع، وهو تعليم ابتدائي حُر تشرف عليه المساجد والزوايا في أغلب الأحيان، ورغم بساطته إلاّ أنه يشهد إقبالا في المدن والحواضر خاصة، ويقِلُّ في المداشر والقرى، على حسب الحالة الاجتماعية والاقتصادية للأسر، وفي الغالب كان الدافع لهذا التعليم هو التَّفقه في الدين وابتغاء المثوبة والأجر والصلاح في المعاش والمعاد.

ولذلك يمكن القول، أنّ أغلب الإنتاج العلمي للجزائريين خلال العهد العثماني، يكاد ينحصر في العلوم الشرعية والصوفية وبعض المجالات الأدبية التي تُعد رافدا لتلك العلوم التي يَنشدها الطلبة، واكتفى العلماء وقتئذ في غالب

1- محمد الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، ج. 2، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906، ص. 403.

الأحيان بالتقليد والتكرار والحفظ[1]، فالفقهاء قلّما اجتهدوا أو استقلوا بآرائهم، بل كانوا يقلدون سابقيهم تقليدا يكاد يكون أعمى[2]. واكتفوا بما وصل إليه سلفهم واعتبروه كفاية المقتصد وغاية المجتهد، فذهب بعضهم لاختصار المطوَّل أو إضافة الحواشي على المختصر[3]، وبعضهم أخذ كلام المتقدمين وجعله في نظم على شكل متون ليسهل حفظه وتدريسه[4]، وهكذا أخذت العلوم في التراجع والجمود إلى أن أظلم عليها ليل الاستعمار الأوربي، فاستولى على الأوقاف الإسلامية وأغلق كثيرا من المدارس والمساجد، وحتى التي نجت من الإغلاق والمصادرة تُركت من دون سند مادي وبشري، حتى أصبحت أطلالا بلا روح.

2- موقع وادي سوف بالنسبة لطرق الرحلات الحجازية والعلمية:

سوف واحة صحراوية في الجنوب الشرقي للمغرب الأوسط، لم تشتهر كمَعلم أساسي في طريق الرحلات الحجازية والعلمية؛ لكنها تقف بالقرب من بعض المسالك الصحراوية المتجهة شرقا؛ إلى تونس، طرابلس ثم مصر، أو شمالا؛ إلى بلاد الزّاب والأوراس وقسنطينة في المغرب الأوسط، أو جنوبا؛ إلى بلاد السودان مرورا بتوقرت وورجلان وغدامس ومنها إلى بر العبيد، وتجارتها في الغالب مع

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج. 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص. 9.

[2]- المرجع نفسه والصفحة.

[3]- على سبيل المثال، "مختصر خليل" من أشهر كتب الفقه المالكي، ألفه الشيخ خليل بن إسحاق (ت 776هـ)، تلقته الأمة الإسلامية بقبول حسن، وأقبل عليه العلماء وتناولوه بالشرح والتعليق حتى وُضع عليه أكثر من مائة تعليق ما بين شرح وحاشية، وللإمام خليل بن إسحاق شرح مطول لكتاب ابن الحاجب في الفقه يقع في ست مجلدات سماه "التوضيح"، قال عنه الشيخ الطاهر الزاوي" ليس من شروح ابن الحاجب مع كثرتها ما هو أنفع منه ولا أشهر..." للمزيد ينظر: خليل بن إسحاق، **مختصر خليل في فقه إمام دار الهجرة**، صححه وعلق عليه، الطاهر أحمد الزاوي، دار المدار الإسلامي، لبنان، ط. 2، 2004، ص. ص. 5، 6.

[4]- ومن الأمثلة على المتون، متن ابن عاشر المسمى "المرشد المعين على الضروري من علوم الدين" للإمام عبد الواحد بن عاشر الأندلسي المالكي (ت1040هـ -1631م)، وهو نظم في أصول الدين وفق المذهب المالكي، يضم "317" بيت من بحر الرجز في العقيدة والفقه والسلوك(التصوف)، ومن المتون المشهورة في وادي سوف في الفقه المالكي، متن "جواهر الإكليل نظم مختصر الشيخ خليل" لمؤلفه الشيخ خليفة بن حسن القماري.

غدامس[1] وبلاد الجريد وقابس، وعليه لم تكن هذه الواحة الصحراوية نكرة في حركة التجارة القارية والرحلات الحجازية.

أما عن الحواضر فنجد في شرقها بلاد الجريد والقيروان بمساجدها وزواياها ذات الشهرة والمقصد، وفي شمالها حواضر بلاد الزّاب؛ بسكرة وخنقة سيدي ناجي[2] وسيدي عقبة وطولقة، واشتهرت زاوية طولقة خلال القرن التاسع عشر وخاصة في عهدي الشيخ علي بن عمر والشيخ علي بن عثمان، فصارت من أكبر المراكز العلمية والصوفية في بلاد الجنوب، وكانت تتبعها إلى حين زاوية نفطة وزاوية سيدي سالم بالوادي[3].

وهذه المدن كانت مقصدا ومحطة في طريق رحلات الحج المارة بشمال الصحراء[4]، وكان من عادة علماء القرى والمناطق النائية الخروج لركب الحاج المغربي وملاقاة العلماء الذين يرافقونه والأخذ عنهم وربط الصلات العلمية معهم، فقد ذكر العياشي أنه تراسل مع بعض علماء الجزائر أثناء مروره بهذه النواحي[5]، وأشاد الناصري الدرعي في رحلته الكبرى(1782م) بالعلوم الكثيرة الموجودة في

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، **مجموع رحلات، رحلة الأغواطي الحاج ابن الدين في شمال إفريقيا والسودان والدرعية**، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر 2011، ص. 96.

[2]- خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، كانت خنقة سيدي ناجي محط رحال العلماء وكعبة قصاد العلم في القطر الصحراوي، فهي مركز علمي تربطه صلة وطيدة بتونس علميا وتجاريا وحتى سياسيا. ينظر: محمد الطاهر التليلي، **إتحاف القارئ بحياة الشيخ خليفة بن حسن الأقماري**، تح. تع. أبو القاسم سعد الله، (مجموعة أعمال)، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص. 21.

[3]-أبو القاسم سعدالله، **تاريخ الجز ائر الثقافي**، 65/7.

[4]- في سنة 1164هـ /1750م أغار بعض الأهالي من النمامشة والأعشاش على ركب الحاج الفاسي وأخذوا أموالهم ومتاعهم، فاشتكى هؤلاء أمرهم لصاحب تونس "علي باشا" فاستدعى هذا الأخير شيخ زاوية الخنقة " محمد بن الحاج أحمد" والشيخ الفقيه أحمد التليلي صاحب فريانة وغيرهم، وأرسلهم لرد سلب المشتكين، لكنهم فشلوا وتعرضوا للإهانة، فأرسل الباشا محلة عسكرية تلاحق المعتدين، وصلت إلى زريبة حامد والخنقة وقمار، وأخذت أنعامهم ومواشيهم تغريما لهم. وفي قمار التي دخلتها محلة "سليمان بن علي باشا" تم قطع نخيل المعتدين انتقاما لصنيعهم. للمزيد حول هذه الأحداث ينظر: أحمد بن أبي الضياف، **إتحاف أهل الزمان بأخبار موك تونس وعهد الأمان**، تح. لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط. 2، 2004، مج. 1، ج. 2، ص. 132.

[5]- أبو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي، 78/2.

بسكرة وامتدح أهلها بأنهم على مذاهب أهل المدينة[1].

وزيادة على ذلك تُعد هذه الحواضر منارات علمية يُغَطي اشعاعها مناطق عديدة في الشمال والجنوب، ويقصدها طلبة العلم للدراسة ومجالسة علمائها وطلب إجازاتهم، أو أخذ فتوى فيما استجد من أمور الدين والدنيا، أو لزيارة أعلامها وأقطاب الصوفية الأحياء منهم والأموات على عادة أهل ذلك الزمان.

لأجل ذلك ذُكر اسم هذه الواحة (سوف) في بعض الرحلات الحجازية أو العلمية، كما زارها أو مرّ بالقرب منها بعض العلماء وأقطاب التّصوف أو التقوا بطلبتها وعلمائها في مناطق أخرى، وأثنوا على علومهم خيرا، فقد ذكرها العياشي في رحلته(1661-1663) وأثنى على ما اقتناه منها من منافع مادية "الإبل" ومعرفية عدها كمن وجد كنزا مفقودا حيث قال" وقد استفدت سفرا من نوازل البرزلّي[2]"[3]، ومن بعده ذكرها الناصري في رحلته الكبرى 1782م، حيث عرفها من خلال أحد أعلامها الذين التقاهم في بلدة سيدي عقبة ووصفه "بالعالم العلامة المسن البركة سيدي خليفة بن الحسن السوفي"، واطّلع على نظمه لابي المودة الشيخ خليل[4].

3- الحياة العلمية بوادي سوف:

لم تَشُذ وادي سوف عن المدن الإسلامية الأخرى في ميدان العلوم، فكانت صورة مصغرة لبعض الحواضر العلمية المشهورة آنداك، كخنقة سيدي ناجي، وبلدة سيدي عقبة، وبلاد الجريد التونسي، واشتهر أهلها بالحيوية والذكاء في الميدان العلمي والاقتصادي وبميل كبير للعلماء والمصلحين، كما اشتهروا بالتديُّن

---

[1]- محمد بن عبد السلام الناصري، **الرحلة الناصرية الكبرى**، د. تح. المهدي الغالي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2013، ص. 226

[2]- نوازل البرزلي مؤلَّف مشهور في الفقه المالكي لصاحبه أبي القاسم بن أحمد بن محمد البلوي القيرواني الشهير بالبرزلي، توفي سنة 841هـ. جمع فيه أهم المسائل الفقهية "النوازل" وأفردها بكتاب تحت عنوان" جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام. ينظر: سهيلة غاوي، **جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام**، رسالة ماجستير كلية أصول الدين، الخروبة، الجزائر، 2001، ص. 79.

3- العياشي، **ماء الموائد "الرحلة"**، تح. سعد زغلول عبد الحميد وآخرون، مركز الدلتا للطباعة، الإسكندرية، مصر، ص. 122.

[4]- محمد بن عبد السلام الناصري، **مرجع سابق**، ص. 896.

والأخلاق الفاضلة[1]، وربما تميز أهلها عن غيرهم بلسان عربي مبين لا عجمة فيه ولا لوثة[2]. وزاد في مكانتها أن حظيت هذه المنطقة الواحية، بنصيب وافر من الأعلام في مختلف العلوم والمعارف العربية والإسلامية.

ولئن كانت الحياة العلمية بسيطة ومحدودة الأثر أوّل الأمر، يكاد يكون إشعاعها في مركز المدينة وبعض البلْدات كالزقم وقمار على الخصوص، ويقِلُّ في أطرافها الأخرى، بحكم الطابع البدوي للسكان هناك؛ إلا أنها عرفت بعض التحسن واتسع نطاق التعليم وأثره[3]مع مرور الزمن وتوسع القرى واستقرار السكان"، وقد امتدحها الشاعر السوري أحمد هويس[4] أثناء زيارته لها قائلا[5]:

مدينة الوادي ضُمّي صفوة النُخب   من رادة الفكر والإبداع والأدب

وعانقي النخوة العَرباءَ في طـــرب   باسم الأصالة والإسلام والنسب

وذاع سيط بعض علمائها خارج المنطقة وخارج البلاد[6]، وشهد لهم معاصروهم من العلماء بالتَّفقه في الدين وعلو كعبهم العلمي، ونالوا إجازاتهم على تلك المعارف، وانتدبتهم بعض المساجد والزوايا للتعليم بها، ومنهم من انتدب لسلك القضاء بالمحاكم الشرعية، فلم تخلُ منطقتهم عبر تاريخها المديد من علماء وفقهاء

1- إبراهيم محمد الساسي العوامر، **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، تع. الجيلاني بن إبراهيم العوامر، در المعارف للطباعة، ص. 25.

2- مجموعة من المختصين، **وادي سوف دراسات تاريخية و اقتصادية وثقافية متنوعة**، مطبعة مزوار للطباعة والنشر والتوزيع، الوادي، 2008، ص. 120.

3- إبراهيم رحماني، **الشيخ محمد الطاهر التليلي وجهوده في البحث الفقهي والإفتاء**، مطبعة سخري، الوادي، ص. 7.

4- شاعر وأديب ومؤرخ سوري ولد سنة 1945 جنوب مدينة حلب من أسرة علمية وجيهة، كان ضمن البعثة التعليمية السورية إلى الجزائر عام 1966، وبقي بالجزائر مدة 18 سنة مدرسا في العديد من ثانوياتها ثم بالجامعة المركزية بالعاصمة. للمزيد ينظر: **المرجع نفسه**، ص. 7.

5- **المرجع نفسه والصفحة.**

6- ذكر الناصري في رحلته الكبرى أنه التقى في مدينة سيدي عقبة أثناء رحلة العودة من الحج "بالعالم العلامة المسن البركة سيدي خليفة بن الحسن السوفي...وكنا سمعنا به ولم نلقه لمغيبه ببلده". للمزيد ينظر الرحلة الناصرية، ص 896.

ومصلحين[1]، ومن هؤلاء نذكر على سبيل المثال لا الحصر: محمد بن محمد بن عمر العدواني (ت 1700م) والشيخ خليفة بن حسن لقماري(1711-1792م) والشيخ علي بن صابر (ق 19) والشيخ الحاج علي بالقيم(1840-1910)، والشيخ عبد الرحمان العمودي(ت 1327 هـ/ 1910م) والشيخ محمد العربي بن محمد الصالح بن موسى موساوي(1873- 1904) وأحمد دغمان(ت.1891). ومن أعلام سوف المتأخرين نذكر إبراهيم العوامر والشيخ محمد الساسي معامير(1880-1967) والشيخ عمار الأزعر(1898-1968) والشيخ محمد الطاهر التليلي والطاهر وأحمد العبيدي وحمزة بكوشة وأبو القاسم سعد الله.

وبالرغم من افتقار المنطقة للتعليم العالي في الفترة العثمانية والفرنسية على غرار كثير من المدن الأخرى[2]؛ إلا أن التعليم الابتدائي (القرآني) خاصة لقي رواجا واهتماما بوادي سوف بفضل المؤدبين والزوايا[3]، "حتى لا تكاد تجد بسوف أميا، لأن التعليم منتشرا فيها انتشارا"[4]، واعتبارا لهذا النوع من التعليم يكون ما ذهبت إليه الكاتبة الفرنسية سيللي ميللي يتطابق مع كلام حمزة بوكوشة، فقد زكّت المنطقة على ما سواها بنسبة تفاضلية فقالت: "وليس غريبا أن نجد واحدا من عشرة يحفظ القرآن كله بينما في باقي افريقيا الشمالية فإن هذه المعرفة خاصة بالطلبة وبعض الخواص بنسبة 1/1000"[5] .

---

[1]- إبراهيم العوامر، **مرجع سابق**، ص. 25

[2]- جاء في كتاب أبحاث وآراء للدكتور سعد الله ص. 175. "ما يلفت النظر أن الجزائر العثمانية لم تكن تتوفر على مؤسسة للتعليم العالي؛ مما يترتب عليه هجرة الراغبين منهم في طلب العلم" إذا كان هذا حال الجزائر بمدنها الكبرى فما بالك بمناطق الجنوب والواحات الصحراوية.

[3]- أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، ص. 226

[4]- مراسلة الشيخ حمزة بوكوشة إلى السيد علي غنابزية، نقلا عن علي غنابزية، **مجتمع وادي سوف**، ص. 171،

[5]- نفسه.

4- الإجازة اعتراف بالأهلية ومفخرة علمية:

4-1- المفهوم اللغوي والاصطلاحي:

كلمة الإجازة في اللغة مصدر، وهي مشتقة من الفعل جوّز، ويقال جُزت الموضع أي سرتُ فيه، وأجزته خلّفته وقطعته، وأجزته نفذته.

أما في الاصطلاح فهي شهادة واعتراف بالأهلية، في فن من فنون العلم يمنحها الشيخ لتلميذه أو القطب الصوفي لمريده بهدف أخذ الطريقة[1]، بعد استظهار ما اكتسبه من العلوم وما تحقق فيه من المواصفات، وقد تكون الإجازة تكليف من الشيخ لتلميذه في الإنابة عنه في الدروس أو الفتوى. كما شاع بين العلماء تبادل الإجازات، فقد يطلبها عالم مغمور من عالم مشهور ذائع السيط، حتى تكون زيادة له في سنده وقبولا بين الناس، ولذلك نراهم يسافرون من أجلها ويرتحلون من بلد إلى آخر، ويترقبون قدوم العلماء في رحلاتهم الحجازية للظفر منهم بإجازة.

ومما تعارف عليه كثير من العلماء، أن لاّ تكون الإجازة إلا بعد القراءة على الشيخ المُجيز وملازمته أياما وشهورا بل أعواما عديدة في بعض الأحيان، ومناظرته في بعض المسائل[2] حتى يشتد عوده، فهذا عيسى الثعالبي[3] لازم شيخه علي بن عبد الواحد الأنصاري أكثر من عشر سنوات حتى نال إجازته، ولازم عمر المانقلاتي[4]

1- فمثلا سيدي سالم الأعرج صاحب الزاوية الرحمانية في وادي سوف أخذ الطريقة عن سيدي علي بن عمر الطولقي. للمزيد ينظر: محمد الحفناوي، **مرجع سابق**، ص.. 391.

2- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، 40/2.

3- هو عيسى بن محمد بن محمد بن أحمد بن عامر الجعفري، الثعالبي نسبة لوطن الثعالبة جنوب جزائر بني مزغنة، أصله من ناحية وادي يسر جنوب شرق مدينة الجزائر، ولد ونشأ في زواوة، تتلمذ على الشيخ سعيد قدورة وغيره حتى صار من أكبر فقهاء المالكية في القطر الجزائري، طاف بالعديد من الحواضر العلمية كتونس والقاهرة وجاور الحرم المكي إلى غاية وفاته سنة 1080هـ/1669م، له العديد من المؤلفات مثل: " منتخب الأسانيد" الذي ذكر فيه شيوخه المالكية. للمزيد ينظر: الحفناوي، **مرجع سابق**، ص ص.. 77، 85، أيضا عادل نويهض، **مرجع سابق**، ص. 91.

4- هو عمر بن محمد بن عبد الرحمان المانقلاتي، من عائلة توارثت العلم في بجاية، فقيه، أصولي، منطقي، انتقل إلى مدينة الجزائر ثم المغرب، أثنى عليه ابن زاكور الفاسي وقال: أجازني بالجزائر وتطوان. للمزيد ينظر: عادل نويهض، **معج أعلام الجزائر** من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، ط. 2، 1980، ص. 318.

(ت.1693م) معلمه الأنصاري سنين عديدة، وقرأ عليه العديد من أمهات الكتب في مختلف العلوم، فقال في ثبت أسانيده حين أجاز ابن زاكور الفاسي، أنه "قرأ على مشايخ أجلة أعلام ومن أجَلِّهم عندي سيدي ومولاي الذي لازمته أربعة عشر سنة نهارا وليلا في غالب الأوقات أبو الحسن سيدي علي بن عبد الواحد السلجماسي الأنصاري قدّس الله روحه في دار النعيم..."[1] حتى نال الإجازة عن جدارة واستحقاق.

وقد يقرأ الطالب على شيخه بعض مؤلفاته أو بعض أمهات الكتب في الحديث والفقه والتفسير والنحو مثل: صحيح البخاري، مختصر خليل في الفقه، ولامية ابن مالك في الصرف، ونظم أبي إسحاق التلمساني في الفراض[2]، فإذا تمكن الطالب منها ينال إجازة شيخه (إجازة عامة أو مقيدة)، بكلمات نثرا أو نظما، كان العلماء يجتهدون ويتفردون في تنميق عباراتها حتى تصبح قطعة أدبية راقية، تضم فوائد علمية وتاريخية[3] وترجمات لشيوخ ومتصوفة من مختلف المدارس العلمية والطرق الصوفية.

فالإجازة عرضٌ واسع للعلوم الإسلامية، وكشف للكتب التي راجت واشتهرت فأصبح العلم لا يتم إلا بها، إضافة إلى احتوائها على قائمة للمدرسين ولشيوخهم وهو ما يعرف بالإسناد[4]، فمن علا سنده وقوي كان أجدر بتصدُّر مجالس العلم والفتوى والقضاء والطريقة، لذلك كان طلبة العلم يفتخرون بإجازة من عُرف عنه التشدد في منحها، ومن كان اسمه عابرا للحدود، فنجد طلبة العلم ببجاية في القرن السابع للهجرة (13م) يفتخرون بإجازة الشيخ أحمد بن محمد المعافري[5]

1- الحفناوي، **مرجع سابق**، ص. 298.

2- مولاي بالحميسي، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص. 33.

3- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، 55/7.

4- مولاي بالحميسي، **مرجع سابق**، ص. 34

5- فقيه مالكي، مقرئ، نحوي، لغوي، نشأ بقلعة بني حماد وبها أخذ العلم عن والده، ثم انتقل إلى بجاية فأخذ العلم عن أبي زكريا الزواوي، من مؤلفاته" مختصر كتاب التيسير" في القراءات السبع لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني. ينظر: عادل نويهض، **مرجع سابق**، ص. 306.

المُتقن لعلم القراءات، قال عنه الحفناوي: "كان لا يتسامح في الإجازة بوجه ولا يُمكِّن منها إلا بعد التحصيل، ومن ظفر من الطلبة بإجازته فقد ظفر بالغاية القصوى ووصل إلى المرتبة العليا، وما أدركت من الطلبة إلا وهم يفتخرون بلقائه والقراءة عليه"[1].

1-4- خصائص الإجازة العلمية وقيمتها التاريخية:

إذا استثنينا الإجازات النظمية، نجد أن الإجازات النثرية تتشابه في الشكل والمحتوى كثيرا، ويبقى التمايز فقط من حيث بلاغة اللغة وجمال الأسلوب للمجيز، لذلك تكون البنية النموذجية للإجازة على النحو الآتي[2]:

- البسملة والحمدلة ثم التصلية على النبي محمد صلى الله عليه وسلم في مطلع الإجازة.
- الإشادة بفضل العلم، وبالأخص موضوع الإجازة.
- ذكر طبيعة العلاقة العلمية بالمجاز له، وحرصه في التعلّم.
- تواضع الشيخ المُجيز قائلا بأنه ليس أهلا لمنح الإجازة، لكن إلحاح المريد أجبره.
- الإقرار بالإجازة؛ ويتضمن التصريح بها عامة أو مقيدة، وقد يسبق أو يتبع بسند مرويات المجيز وشيوخه ومؤلفاته.
- خاتمة الإجازة، تبدأ عادة بعبارة "قاله وكتبه فلان" "هذا خط فلان" الفقير إلى رحمة مولاه، لطف الله به في الدارين، ثم يتبعها باسمه وتاريخ الإجازة، ثم الصلاة على النبي وآله عليهم الصلاة والسلام.

أمّا بخصوص قيمتها التاريخية، فيمكننا القول:

- أنها شاهدة على تمسك علماء المنطقة بسِير سلفهم السابقين وطرق التدريس لديهم في المغرب والمشرق.
- وهي أداة للتثبت العلمي، يتّبعه العلماء لتحريهم الأمانة والكفاءة العلمية. فتعد

1- محمد الحفناوي، **مرجع سابق**، ص، 75

2- فوزية لزغم، **الإجازات العمية لعلماء الجزائر العثمانية** (1518-1830)، ب. ت، ص ص. 368، 374.

وثيقة صحيحة يمكن أن تتخذ دليلا على علوم صاحبها.

- تقدم الإجازة لمحة موجزة عن الحياة العلمية والتطور الفكري، ومناهج التعليم، والمقررات الدراسية في المجتمع (بيئة الإجازة).
- تعتبر مصدرا لتراجم الشيوخ وأقطاب الصوفية.
- تسلط الضوء على حياة المجيز والمجاز له.
- تعد وسيلة لمعرفة مراكز العلم وحواضر المعرفة.
- تتضمن معلومات جغرافية وتاريخية عن البلدان.

5- نماذج من علماء سوف وإجازاتهم:

5-1- خليفة بن حسن الإقماري السوفي:

أ- نسبه ونشأته:

هو الشيخ خليفة بن حسن بن مبارك بن سعد بن محمد بن أبي العافية، القماري منشأ ودارا، يتصل نسبه بجد قبيلة أولاد سيدي الشيخ ابن الدين البكري القاطنة في جنوب وهران ببلدة البيِّض، وعن طريق هذه القبيلة يرتفع نسب الشيخ إلى الصحابي الجليل أبي بكر الصديق رضي الله عنه[1].

ولد الشيخ خليفة سنة 1123هـ/1713م ببلدة قمار وهي احدى بلدات وادي سوف، وفيها كان تعليمه الأولي كباقي أطفال المنطقة، حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ اللغة العربية، ثم انطلق يلتمس طرق العلم في الحواضر القريبة من سوف، بداية من منطقة الزَّاب: خنقة سيدي ناجي، سيدي عقبة، طولقة، ثم الجريد التونسي: نفطة، وتوزر. انتسب إليها طالبا ثم أصبح فيها إماما مدرسا وفقيها مجتهدا.

من شيوخه الذين كان لهم الفضل في تكوينه، الشيخ إبراهيم بن سعد، وإبراهيم شريط القماريين[2]، وأبو القاسم بن تريعة المجوري، والشيخ الشنقيطي،

---

[1]- محمد الطاهر التليلي، **مرجع سابق**، ص ص. 19-20.

2- إبراهيم محمد الساسي العوامر، **مرجع سابق**، ص. 174.

والشيخ موسى الفاسي الجِمْني[1]، والشيخ عبد الله بن عبد الواحد العمراني الخَنْقي، والشيخ عبد الحفيظ صاحب زاوية الخنقة. وله تلامذة كثيرون، في الوادي وبلاد الزاب خاصة.

قال عنه صاحب الصروف: كان سيدي خليفة المذكور صاحب باع طويل في الفقه لا يجارى في زمانه، وخصوصا في جمع النظائر والأشباه. كان خالص العقل، محرر النقل، مسلّم له ما يدّعيه من غير مطالبة بحجة لما عرف من ورعه، وله القدم الراسخ في التصوف ومعرفة كلام القوم وأحوالهم ودرجاتهم"[2]. وعدّه الشيخ محمد بن عبد الرحمان[3] من أعلام الصحراء في القرن 18م، فقال عنه: "ومن أهل الصحراء الشيخ خليفة بن حسن القماري السوفي فقد نظم مختصر خليل نظما عجيبا وهو مطبوع" وقدّمه بعلمه وانتاجه على كثير من شيوخ العلم هناك، مثل الشيخ سيدي محمد بن عزوز شيخ زاوية البرج، والشيخ علي بن عمر شيخ زاوية طولقة، والشيخ سيدي عبد الحفيظ شيخ زاوية الخنقة[4].

ب- تراثه العلمي:

للشيخ خليفة آثار مكتوبة في الفقه المالكي والأدب العربي[5]، منها ما بقي محفوظا، ومنها ما تلاعبت به يد الزمان فضاع واندثر، نوجز ذلك في الآتي[6]:

- جواهر الإكليل نظم مختصر الشيخ خليل، وهو أشهر تأليف عُرف به الشيخ خليفة، حيث اجتهد الشيخ خليفة بن حسن في نظم كتاب الشيخ خليل بن اسحاق في الفقه المالكي على شكل متن يضم 9817 بيتا حتى يسهل حفظه

1- وهو أحد شيوخ مدينة فاس المغربية، استقر بمنطقة جِمْنة التونسية بعد عودته من الحج، وقد تتلمذ عليه الشيخ خليفة بها.

2- إبراهيم محمد الساسي العوامر، **مرجع سابق**، ص. 174.

3- من شيوخ زاوية الهامل وأعلامها.

4- محمد الحفناوي، **مرجع سابق**، ص. 404

5- محمد الطاهر التليلي، **مرجع سابق**، ص. 31

6- **نفسه**، ص ص. 31- 56.

وتدريسه للطلبة.

- كتاب الكنّش: ويضم مجموعة من المسائل والفتاوى الفقهية التي دوّنها الشيخ في مخطوط من ثلاثمائة صفحة، لكنه مفقود الآن.
- نظم من 76 بيتا فيه إجابة لمسألة وردت عليه من فقهاء الزاب يستفتونه في صحة طلاق تقدم به ولي الزوجة، بسبب ضرر لحقها من زوجها.
- شرح ونظم السنوسية، وهو نظم لمحتوى العقيدة السنوسية.
- قصيدة لامية في نظم الأجرومية.
- قصيدة معرفة الأثر وحكم الاستدلال به، وهي موجهة لفقهاء خنقة سيدي ناجي.

ت- إجازاته من شيوخه وإجازاته لتلاميذه.

للشيخ خليفة إجازات من شيوخه وله إجازات لتلاميذه، لكن أغلبها مفقود أو مبتور، فقد جاءت إجازاته من طرف بعض العلماء الذين تتلمذ عليهم أو استدعاهم هو لإجازته، خاصة من زار منهم زوايا الزاب أثناء رحلاتهم الحجازية، ومنهم الفقيه عبد القادر بن شقرون الفاسي[1] الذي قرضه فقال فيه: "رأيت في بسكرة النخيل الفقيه الفاضل الجامع لأشتات الفضائل...سيدي خليفة بن حسن... وقد أطلعني على نظمه الجليل لمختصر أبي الضياء خليل ... وقد طلب مني [استدعاني] أن أوقع عليه ما تيسر؛ فساعدته إسعاد محب صادق فرقمت هذه الحريفات"[2].

كما زكّاه الناصر الدرعي "صاحب الرحلة"، الذي التقاه بمدينة سيدي عقبة، فقال عنه "كنا سمعنا به ولم نلقه لمغيبه ببلده، [وهذا يدل على شهرة الرجل] وجاء بقصد ملاقاة الركاب النبوية على عادتهم، وأوقفني على نظم لأبي المودة خليل، وزاد عليه بعض قيود وتنبيهات، وهو نظم سلس لا بأس به"[3]. كما أثنى على علمه وخُلُقه

1- هو الشيخ عبد القادر بن أحمد بن شقرون الفاسي، مرّ بالجزائر أثناء رحلته لأداء مناسك الحج، والتقى بالشيخ خليفة بن حسن في بلدة بسكرة سنة 1193هـ. ينظر: أبو القاسم سعد الله، 442/1

2- محمد الطاهر التليلي، **مرجع سابق**، ص. 59.

3- محمد بن عبد السلام، **مرجع سابق**، ص. 896.

كثير من المتقدمين والمتأخرين نذكر منهم؛ الشيخ الخضر بن الحسين في مجلة "البدر التونسية" عدد شعبان 1340هـ، والشيخ عثمان بن المكي التوزري في شرحه على تحفة الحكام "العاصمية"، والشيخ إبراهيم بن عامر السوفي في تاريخه "الصروف" والشيخ الحفناوي في كتابه تعريف الخلف برجال السلف، ومحمد بن يوسف الباروني صاحب المطبعة البارونية بمصر الذي قام بطبع نظم جواهر الإكليل[1]، وقد يكون أوّل من نشر هذا العمل.

ترك الشيخ خليفة بعض الإجازات لطلبته، مثل إجازته للشيخ أحمد بن علي بن صابر النفطي، وأخرى للشيخ محمد بن العقبي الشريف الحسني[2]، وأخرى لتلميذه سيدي محمد بن الشيخ العقبي[3]، ولا يستبعد أن تكون له إجازات أخرى لم يصل إليها الباحثون حتى الآن.

5-2- إجازة المكي بن عزوز للشيخ الطاهر العبيدي (1886–1968):

تتلمذ الشيخ الطاهر العبيدي على كثير من العلماء منهم في وادي سوف، عبد الرحمان العمودي، ومحمد العربي موسي، ثم واصل تعليمه في جامع الزيتونة بتونس، ومن شيوخه هناك الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، وتراسل مع كثير من علماء عصره، في الداخل والخارج، ومن أشهرهم المكي بن عزوز. وهذا الأخير أجازه مراسلة من الآستانة (إسطنبول)، وللشيخ العديد من التآليف أغلبها منظومات فقهية، مثل منظومة ستر العورة، ومنظومة في التصوف "جريان المدد في الاعتصام برجال السند" والنصيحة العزوزية في نصرة الأولياء والصوفية[4].

5-3- إجازة المكي بن عزوز للشيخ البشير بن أحمد بن بوكوشة (والد حمزة بوكوشة):

كان البشير بوكوشة من حفظة القرآن الكريم، ومن النساخين الكبار في المنطقة لجودة خطه، حيث نسخ من القرآن 65 نسخة من مختلف الأحجام، وقد ساعدته حرفة النساخة في اكتساب زاد علمي لا بأس به، وربما يكون من المتفقهين

1- محمد الطاهر التليلي، **مرجع سابق**، ص. 62.

2- نفسه، ص. 67.

3 نفسه، ص. 78.

4- وقد أقرضه فيها الشيخ ابن باديس والشيخ محمد بن عبد الرحمان الديسي والشيخ عبد ربه بن سليمان المصري. للمزيد ينظر: أبو القاسم سعد الله، **تجارب...**، **مرجع سابق**، ص. 100.

بالسماع، فكثيرا ما يجالس العلماء والفقهاء وأهل الحديث، فهو من أصدقاء الشيخين إبراهيم بن عامر (صاحب الصروف) والمكي بن عزوز، وهذا الأخير أجازه في رواية الحديث النبوي " الراحمون يرحمهم الرحمان"[1].

5-4- إجازة الطاهر بن عاشور للشيخ محمد العيد آل خليفة:

وهي إجازة ربما يكون الشاعر محمد العيد قد طلبها من الشيخ الطاهر بن عاشور، الذي تتلمذ عليه بجامع الزيتونة سابقا، وقد جاءت الإجازة سنة 1372هـ، وهي تتعلق بكتب الحديث والأدب والشريعة الإسلامية، وحينها كان الشيخ محمد العيد مدرسا في عين مليلة[2]، وتدل على تبحر الشاعر محمد العيد في العديد من الفنون العلمية.

6- خاتمة:

علماء منطقة سوف أنذك أكثر ممن أحصيناهم في هذه الأسطر، منهم المشهور ومنهم المغمور، منهم من انتسب إلى المعاهد والزوايا والمساجد ذات السمعة العلمية، وتتلمذ على أساتذتها وشيوخها ونال حظه من الشهرة والإجازة، ومنهم من لم نجد عنهم إجازات كأمثال: الشيخ عبد الرحمان العمودي، والشيخ علي بن صابر، واحمد دغمان، وإبراهيم بن عامر، وأحمد العبيدي، وحمزة بوكوشة، ومحمد الطاهر التليلي وغيرهم، وهم شموس ساطعة في كثير من العلوم المرتبطة بالشريعة واللغة العربية على المستوى المحلي وحتى خارجه، وإنما لم نحفل بسواهم اكتفاء بالبحر عن الجداول والأنهار واستغناء شموس النهار عن الدراري والأقمار[3]، بحسب تعبير ابن زاكور.

5- قائمة المصادر والمراجع:

- أبي الضياف أحمد، **إتحاف أهل الزمان بأخبار موك تونس وعهد الأمان**، تح. لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط. 2، 2004، مج. 1، ج. 2.

- بالحميسي مولاي، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

- التليلي محمد الطاهر، **إتحاف القارئ بحياة الشيخ خليفة بن حسن الأقماري**، تح. تع. أبو

1- عاشوري قمعون، **العلامة الموسوعي الشيخ حمزة بوكوشة**، مطبعة سخري، الوادي، 2012، ص. 12.

2- أبو القاسم سعد الله، 70/7.

3- مولاي بالحميسي، **مرجع سابق**، ص. 32.

القاسم سعد الله، (مجموعة أعمال)، عالم المعرفة، الجزائر، 2011.

- الحفناوي محمد، **تعريف الخلف برجال السلف**، ج. 2، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906.

- خليل بن إسحاق، **مختصر خليل في فقه إمام دار الهجرة**، صححه وعلق عليه، الطاهر أحمد الزاوي، دار المدار الإسلامي، لبنان، ط. 2، 2004.

- رحماني إبراهيم، **الشيخ محمد الطاهر التليلي وجهوده في البحث الفقهي والإفتاء**، مطبعة سخري، الوادي.

- سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج. 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

- (ــــــــ،ــــــــــــ)، **مجموع رحلات، رحلة الأغواطي الحاج ابن الدين في شمال إفريقيا والسودان والدرعية**، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر 2011.

- العوامر إبراهيم محمد الساسي، **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، تع. الجيلاني بن إبراهيم العوامر،

- العياشي، ماء **الموائد "الرحلة"**، تح. سعد زغلول عبد الحميد وآخرون، مركز الدلتا للطباعة، مصر.

- غاوي سهيلة، **جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام**، رسالة ماجستير كلية أصول الدين، الخروبة، الجزائر، 2001.

- قمعون عاشوري، **العلامة الموسوعي الشيخ حمزة بوكوشة**، مطبعة سخري، الوادي، 2012.

- لزغم فوزية، **الإجازات العمية لعلماء الجزائر العثمانية (1518-1830)**، ب. د. ط، ب. ت.

- مجموعة من المؤلفين، **وادي سوف، دراسات تاريخية و اقتصادية وثقافية متنوعة**، مطبعة مزوار للطباعة والنشر والتوزيع، الوادي، 2008.

- الناصري محمد بن عبد السلام، **الرحلة الناصرية الكبرى**، د. تح. المهدي الغالي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2013.

- نويهض عادل، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، ط.2، 1980.

الشيخ أبو القاسم سعد الله ورحلاته العلمية من خلال مصنفاته

Sheikh Aboul -Kassem Saadallaah And his scientific trips through his writings

د. سفيان صغيري

جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي

ssegheiri39@gmail.com

أ. د. الجباري عثماني

مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية

كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي (الجزائر)

otmani-djebari@univ-eloued.dz



ملخص:

نتناول في هذه الورقة البحثية نبذة عن حياة الشيخ أبو القاسم سعد الله، من حيث رحلاته العلمية التي سلكها انطلاقا من بلدته قمار إلى تونس حيث قصد جامع الزيتونة، ومنه كانت انطلاقته ليجوب عدة بلدان ومحطات مختلفة من العالم، كانت له فيها تجارب في التعليم والتأليف، لنستعرض من خلالها مضمون هذه الرحلات واسهاماته فيها في تنشيط الحركة الثقافية في الجزائر بشكل عام وفي سوف بشكل خاص.

الكلمات المفتاحية: أبو القاسم سعد الله؛ الرحلات العلمية؛ واد سوف؛ الحركة الثقافية .

Abstract*:*

In this research paper, it deals with an overview of the life of Sheikh Aboul-Kassem Saadallaah, in terms of his scientific trips that he took from his hometown of Qamar to Tunisia, where he went to the Al-Zaytouna Mosque, and from there he set out to tour several countries and different stations of the world, in which he had experiences in teaching and writing, To review the content of these trips and his contributions to them in revitalizing the cultural movement in Algeria in general and in Souf in particular.

Keywords: *Aboul -Kassem Saadallaah; Scientific trips; Oued-Souf; cultural movement.*

1- مقدمة

لا يوجد أي عالم أو شيخ علم لم يسلك في حياته درب الرحلة في طلب العلم؛ وذلك لما فيها من فوائد جمّة في تحصيل العلوم والفنون من مصادرها ومراكزها من مدارس ومساجد عامرة ومكتبات ثرية، وأيضا لملاقاة الشيوخ وأساتذة العلوم لأخذ الاجازة والاستفادة والاستزادة، هذا الطريق الذي سلكه شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله انطلاقا من بلدته قمار بوادي سوف، عندما اكتمل تعليمه الأولي وحفظه للقرآن والمتون مع تراكم الأسباب المشجعة لسلوك درب الرحلة العلمية، والتي خاضها تحقيقا لرغبته واصراره، فكانت رحلاته سببا في نبوغه الأدبي والتاريخي بعد ذلك.

لقد ترك الشيخ أبو القاسم سعد الله الكثير من المصنفات في أشكال مختلفة، من كتب محققة ودراسات تاريخية وأدبية، كانت نتاج رحلاته الطويلة بين الدول ومراكز الأرشيف والمكتبات، وتتويجا لمساره العلمي والأكاديمي الحافل والزاخر، حيث وهب حياته للعلم دارسا في الزيتونة، والقاهرة، وأمريكا، وأستاذا وباحثا ومؤرخا في أرقى الجامعات في الجزائر والعالم العربي، تاركا وراءه إرثا علميا أثرى به المكتبات الجزائرية، خاصة تاريخ الجزائر الثقافي وتاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، وغيرها من المراجع والمؤلفات، وسوف نتناول هذه المداخلة من خلال العناصر الآتية:

- مفهوم الرحلة وأسبابها.

- ترجمة مختصرة لحياة الشيخ أبو القاسم سعد الله.

- رحلاته إلى (تونس، مصر، أمريكا، أماكن أخرى).

ولقد اعتمدنا في تحرير هذه الورقة البحثية على المصنّفات التي دوّنها الشيخ أبو القاسم سعد الله، وعلى ما كتب حول سيرته ومسيرته.

2- مفهوم الرحلة:

لم يعرف علماء الجزائر الاستقرار، فكانت حياتهم عبارة عن ترحال دائم، وتنقلات مستمرة، بغض النظر عن وضعهم الاجتماعي أو الاقتصادي أو حالة البلاد السياسية، فقد رأوا في السفر والهجرة شرطا ضروريا للعالم، وهي من متطلبات كسب العلوم المختلفة، كما كانت الرحلة بالنسبة لهم فرصة للانفتاح على الخارج والتعرف على المجتمعات الأخرى، وأيضا سببا مهما لمجالسة العلماء والأخذ منهم، فبالرغم من الصعوبات التي تعرضوا لها إلا أنها لم تثنهم على المضي قدما في طريق استكمال رسالتهم السامية في نشر المعارف والعلوم والنهل منها، لذلك لا نكاد نجد بالجزائر عالما أو طالب علم استقر وطاب له المقام في مكان معين، واستحسن التمتع بملذات الحياة في الاستقرار والركون، بل سلك معظمهم مسار الهجرة والرحلة.

تعتبر الرحلات من أوضح صور النشاط الثقافي والعلمي للعلماء والشيوخ في المناطق التي يزورونها، وذلك من خلال ما يقدمه الرحالة من معلومات تخص سير رحلته، وتراجم من يلاقيهم من العلماء ومن كان على اتصال بهم، كما أنها تبرز بشكل واضح معالم الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية للفترة التي تمت فيها الرحلة والزمن الذي استغرقته، وكذا الطرق التي سلكها سواء كانت طرق برية أو بحرية، أو في المحطات التي توقفوا عندها أو مرو عليها[1]، وقد نشطت رحلات علماء سوف وطلبتها خلال الفترة الاستعمارية، خاصة ناحية تونس، خاصة أنها كانت مقصدا مهما لهم باعتبار الوجهة الرئيسية نحو جامع الزيتونة، فقد شكلت تلك الرحلات روابط متينة رسخت تقارب العادات والتقاليد بين مجتمعات البلدين وشكت مظهرا للتواصل الثقافي بينهما[2].

1- أبو القاسم سعد الله، **تجارب في الأدب والرحلة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص. 203.

2- صالح بوسليم، عائشة محمة، "من مظاهر التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني(1519-1830م)؛ هجرة العلماء والطلبة الجزائريين إلى تونس أنموذجا"، **مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية**، مج. 4، ع. 5، ص ص. 53-80.

لقد تنوعت أهداف الرحلة من طلب العلم والتعرف على البلدان وأخذ الإجازات وغيرها[1]، ويمكن تصنيف الرحلات إلى عدة أنواع حسب أغراضها ومقاصدها طلبا للدين أو الدنيا[2]، وهي الرحلة الحجازية والرحلة المغاربية والعلمية والرحلة الصوفية وغيرها[3]. فمفهوم الرحلة مشتق من الترحال والارتحال[4]، "هي ما يحوزه المرتحل (السائر) بغية طلبه وغرضه، وقد تكون فنا أدبيا علميا تتوفر على مادة قيمية علمية وأدبية، تساهم في التاريخ والجغرافيا والأدب وعلم الاجتماع"[5].

ويلخص الإمام الشافعي فوائد الرحلة في الأبيات الآتية[6]:

تغرب عن الأوطان في طلب العلى وسافر ففي الأسفار خمس فوائد

تفريج همّ واكتساب معيشـــــة وعلم، وآداب، وصحبة ماجد

ويقوم الرحالة بتسجيل كل ما يراه و يكتشفه من خلال رحلته من معارف وعلوم ومعالم وأحداث[7]، كما تعتبر الرحلة مصدر مهم في كتابة التاريخ بشكل عام وعرفت الجزائر والمغرب الأقصى العديد من الرحالة الذين اخترقوا الآفاق، أبرزهم الرحالة المغربي المشهور ابن بطوطة[8]، والعديد من الرحالة المغاربة الذين ساهموا في طبع العلاقات الخارجية للمغرب، عبر رحلاتهم المختلفة والمتنوعة وقد صنفها محمد الفاسي إلى خمس عشر نوع منها الحجازية، والسياسية، والاستكشافية،

1- عبد القادر ربوح، "الرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي خلال القرن 11هـ/17م"، **مجلة البحوث والدراسات**، مج. 15، ع. 1، 2018، ص. 300.

2- عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي، **الرحلة في الإسلام أنواعها آدابها**، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1416هـ/1996م، ص. 23.

3- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي...، مرجع سابق**، ج. 2، ص. 381.

4- ابن منظور، **لسان العرب**، تح. علي عبد الله الكبير وآخرون، مج1، دار المعارف، القاهرة، د ت، ص. 1609.

5- عطلاوي عبد الرزاق، **الرحلات العلمية وأثرها في الحركة الإصلاحية الجزائرية 1900-1954**، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2019، ص. 26.

6- وتنسب هذه الأبيات أيضا إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ينظر: **ديوان الشافعي**، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط. 3، 1426هـ/2005م، ص. 49.

7- أحمد أبو سعد، **أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي**، منشورات دار الشرق الجديد-بيروت، 1962، ص. 5

8- حسين مؤنس، **ابن بطوطة ورحلاته**، طبع بمطابع دار المعارف، مصر، 1980، ص. 7.

والسفارية، والزيارية، والعلمية، وغيرها[1]، ويعتبر المغاربة أكثر اهتمام بالرحلة من غيرهم في الأندلس والمشرق[2].

عرف علماء سوف الرحلة خاصة نحو تونس، وقبله رحلات كثيرة إلى الحجاز، وقد استمرت حتى أصبحت ظاهرة منتشرة بينهم تحركها عدة ظروف ودوافع تسببت بها الظروف السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية[3]، ونستعرض هنا فقط الأسباب العلمية والدينية باختصار:

- السياسة الاستعمارية الفرنسية ضد الأهالي في التضييق على التعليم العربي الحر ومنع المعلمين من تأدية مهامهم في التدريس[4].

- عمليات القمع ضد الأئمة ومصادرة ممتلكاتهم والتضييق على المؤسسات الدينية من الزوايا والمساجد، وملاحقة المعلمين الذين يقومون بتدريس العلوم والتاريخ وغيرها[5].

- رغبة الطلبة في استكمال دراستهم في المساجد العامرة والزوايا في الجريد التونسي وجامع الزيتونة[6].

3. ترجمة مختصرة للشيخ أبو القاسم سعد الله:

هو الشيخ الأديب المؤرخ الموسوعي أبو القاسم سعد الله ولد سنة 1930م بضواحي مدينة قمار بولاية الوادي جنوبي شرق الجزائر، حفظ القرآن الكريم وتلقى مبادئ العلوم من لغة وفقه ودين، درس بجامع الزيتونة بتونس من 1947

1- محمد بن عبد الوهاب المكناسي، **الرحلة**، تح. محمد بوكبوط، دار السويدي، بيروت، 2003، ص. 15.

2- أغناطيوس كراتشكوفسكي، **مرجع سابق**، ج. 1، ص 382.

3- محمد الصالح حثروبي: **هجرات سكان واد سوف الى مدينة بسكرة خلال القرن العشرين**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2019، ص. 43

4- علي غنابزية، **مجتمع واد سوف**، دار هومه، الجزائر، 2017، ص. 186.

5- سفيان صغيري، **الشيخ العربي بن عمار وجهوده الاصلاحية في الدعوة والتعليم ببلدة سيدي عون (1947 – 1951م)**، مداخلة في الملتقى الدولي السابع المقاومة الثقافية لأعلام الفكر الإصلاحي في الجنوب الشرقي الجزائري ما بين 1900-1962م. 4-5 جوان 2022.

6- حثروبي، **مرجع سابق**، ص. 44.

حتى 1954 واحتل المرتبة الثانية في دفعته، بدأ سنة 1954 يكتب في صحيفة البصائر التي كانت تصدرها "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، وكان يطلق عليه اسم "الناقد الصغير"، كما درس بكلية الآداب والعلوم الإنسانية في القاهرة، وحاز على شهادة الماجستير في التاريخ والعلوم السياسية سنة 1960م.

انتقل بعدها سعد الله إلى الولايات المتحدة سنة 1960، حيث درس في جامعة منيسوتا التي تحصل منها على شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر باللغة الإنجليزية سنة 1965. وبالإضافة إلى اللغة العربية، يتقن الراحل اللغتين الفرنسية والإنكليزية، كما درس اللغتين الفارسية والألمانية.

تخصص سعد الله في تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، وتاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، وتاريخ النهضة الإسلامية الحديثة، إضافة إلى تاريخ الدولة العثمانية منذ سنة 1300، وقد سمحت له إسهاماته في دراسات مختلف الحقب التاريخية بالتدريس في عديد الجامعات العربية والأميركية، إذ عمل أستاذا للتاريخ في جامعة آل البيت بالأردن بين 1996 و2002، وأستاذا للتاريخ بجامعة الجزائر منذ 1971، وجامعة الملك عبد العزيز بالسعودية، وجامعة دمشق، وجامعة عين شمس، ومعهد البحوث والدراسات العربية في مصر. وفي الولايات المتحدة، عمل سعد الله أستاذا زائرا بقسم التاريخ في جامعات منيسوتا، وميشيغن، وأستاذ مساعدا في التاريخ بجامعة ويسكنسن، أوكلير بين 1960 و1976[1].

توفي المؤرخ الجزائري الدكتور أبو القاسم سعد الله يوم 14 ديسمبر 2013 بمستشفى عين النعجة العسكري في الجزائر العاصمة عن عمر يناهز 83 سنة، إثر مرض عضال ألزمه الفراش.

1-3- شيخ المؤرخين مُكثر في التصانيف والأسفار[2]:

أ- التحقيق:

- تاريخ العدواني، تأليف محمد بن عمر العدواني.

1- أبو القاسم سعد الله، **حياتي**، دار علم المعرفة، الجزائر، 2015، ص. 15 وما بعدها.

2- خالدي مريم، "السيرة والمسيرة التعليمية للدكتور ابو القاسم سعد الله". **مجلة الخلدونية**، مج. 9، ع. 1، 01-06-2016، ص ص. 245-269

- حكاية العشاق في الحب والاشتياق، تأليف الأمير مصطفى بن إبراهيم باشا.
- رحلة ابن حمادوش (لسان المقال)، تأليف عبد الرزاق بن حمادوش.
- رسالة الغريب إلى الحبيب، تأليف أحمد بن أبي عصيدة البجائي.
- مختارات من الشعر العربي، جمع المفتي أحمد بن عمار.
- منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تأليف عبد الكريم الفكون.

ب- الترجمة:

- شعوب وقوميات الجزائر 1985م (Peoples and Nationalisms) .
- الجزائر وأوربا، تأليف جون ب وولف John B.Wolf
- الجزائر في العهد العثماني Algiers Under the Turks
- حياة الأمير عبد القادر، تأليف هنري تشرشل.

ت- التاريخ:

- تاريخ الجزائر الثقافي، في 9 أجزاء.
- أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، في أربعة أجزاء، .
- الحركة الوطنية الجزائرية، في ثلاثة أجزاء، وصدرت الأجزاء الأخرى سنة 1992م و 1997م عن دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال.
- la Montee du Nationalisme Algerien

وهو ترجمة من الإنكليزية إلى الفرنسية لأطروحة المؤلف (ظهور الحركة الوطنية الجزائرية).

ث- أعلام ودراسات:

- رائد التجديد الإسلامي، ابن العنابي.
- شاعر الجزائر، محمد العيد آل خليفة، ..
- شيخ الإسلام داعية السلفية، عبد الكريم الفكون.
- الطبيب الرحالة، ابن حمادوش.
- القاضي الأديب، الشاذلي الفلسطيني.

ج- إبداعات وتأملات:

- أفكار جامحة، الجزائر.



- تجارب في الأدب والرحلة.
- دراسات في الأدب الجزائري الحديث.
- الزمن الأخضر - ديوان سعد الله
- سعفة خضراء (قصص).
- في الجدل الثقافي.
- قضايا شائكة.
- منطلقات فكرية.
- هموم حضارية..

4- رحلاته[1]:

4-1- رحلته إلى تونس(1947-1954م):

ذكر تفاصيلها في مؤلفه "حياتي"[2] وبدأت الرحلة عندما اجتمعت العديد من الأسباب التي جعلته يرحل إلى تونس ومنها بالخصوص تشجيع والدته التي تريده أن يسلك درب خاله الحفناوي هالي اضافة إلى تشجيع عديله وصديق والده الشيخ الطاهر التليلي، وتحفيز الطلبة الذين سبقوه إلى الزيتونة وانتشار الحركة الاصلاحية في سوف، وإتمامه لتعليمه القرآني بحفظه كاملا مع المتون في اللغة والفقه[3].

التحق الشيخ بتونس سنة 1947م بعدما تمكن من جمع ما يعوله خاصة أنه تأخر سنة بسبب ظروفه المادية الصعبة، ووصل إلى تونس في أواخر شهر سبتمبر سنة 1947م[4]، مع بعض شباب قمار الذين أرسلهم معه والده في ظروف صعبة بعدما عان من قساوة السفر والتعب مار على بلدات الجزائر ومنها بسكرة وقسنطينة وتبسة، وكان دخوله إلى تونس عن طريق الحدود ليلا لأنهم لا يملكون

1- مريم خالدي، **أبو القاسم سعد الله حياته وأعماله**، أطروحة دكتوراه، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس، 2018/2017، ص. 20.

2- أبو القاسم سعد الله، **حياتي ...، مرجع سابق**، ص. 70.

3- أبو القاسم سعد الله، **حوارات**، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2005، ص. 220.

4- أبو القاسم سعد الله، **حياتي ...، مرجع سابق**، ص. 75.

تصاريح السفر وبطاقات الهوية.

عند وصوله إلى الحاضرة التونسية استقر في البداية في وكالة اللفة وهي احدى الأماكن التي يقصدها الطلبة والتجار خاصة القادمين من قمار، ومنها بدأ في اجراءات وضعه الاداري فقام بعمل بطاقة تعريف خاصة، انتقل بعدها إلى مدرسة صاحب الطابع في حي الحلفاويين الشهير، والخاص بطلبة الزيتونة الجدد استعدادا لا جراء امتحان القبول.

والتحق أخيرا بالزيتونة، حيث تم تأهيله إلى السنة الأولى بصعوبة، استقر في البداية في مدرسة صاحب الطابع بالحلفاويين (1947-1948)، وبعد سنة أنتقل إلى منطقة جامع القصر بحي المنارة حيث بقي فيه إلى أن اكمل سبع سنوات دراسته في جامع الزيتونة، درس في بدايتها في الجامع الحفصي(1948-1949)، ثم الجامع اليوسفي (1949-1950)، ثم الجامع المرادي (1950-1951)، ثم مدرسة بن عبد الله (1951-1952)، واكمل دراسته في الجامع الأعظم (1952-1954)، تحصل خلالها على شهادة الاهلية سنة 1951 ثم شهادة التحصيل سنة 1954م، وقد عرف سعد الله نجاحا فكريا وثقافيا في تونس وتمكن من نشر أول إبداعاته وفكره الأدبي في صحف النهضة والزهرة وغيرها[1].

2-4- رحلته إلى مصر (1955-1960م):

بعد رفض جمعية العلماء المسلمين إدراجه ضمن البعثات الطلابية التي ارسلتها إلى المشرق بسبب عدم دراسته في المعاهد الباديسية، عاد إلى الجزائر وقرر العمل حتى يجمع الأموال التي تمكنه من السفر، وفعلا بعدما تمكن من جمع المبلغ المطلوب من خلال عمله في عدة مدارس للجمعية في الجزائر، قرر السفر إلى مصر، خاصة بعدما تم حل مشكلة جواز السفر، ومن تونس انطلق في رحلته الثانية في يوم 25 أوت 1955 ليصل القاهرة في 24 سبتمبر 1955، بعدما تأخر بسبب

1- محمد رحاي، "أبو القاسم سعد الله مؤرخا"، **مجلة المستقبل العربي**، ع. 431، جانفي 2015.

اجراءات الحدود حيث مكث في ليبيا ثلاث ايام، ونزل سعد الله في القاهرة عند الشيخ البشير الابراهيمي حيث استضافه 15 يوم، وقد تم قبوله في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، وأقام في منطقة المعادي، ومع نشاطه الفكري هناك نال شهادة في الصحافة سنة 1957 وتمكن من الحصول على شهادة ليسانس في "الأدب العربي والعلوم الاسلامية" في جويلية 1959[1]. استكمل دراسة الماجستير في الآداب في القاهرة وتحصل على الديبلوم سنة 1960 من معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة.

3-4- رحلته إلى أمريكا (1960-1967):

بعد تلقي قبول طلب المنحة للدراسة في أمريكا في جويلية 1960م سافر إلى تونس لاستكمال اجراءات السفر، انطلق في رحلته عبر الطائرة إلى امريكا في 28 نوفمبر 1960 من تونس حيث نزل في لندن ومنها إلى نيويورك، وبعد ان تمكن من دراسة اللغة الانجليزية واتقانها سجل في جامعة مينيسوتا في تخصص الأدب الأمريكي لكنه غير مجال دراسته تماما واتجه إلى التاريخ بعد قراءته لمقال تحت عنوان: "الوجود العربي الاسلامي في جزيرة سردينيا" ودرس تخصص التاريخ والعلوم السياسية، ووقع على اختيار عنوان أطروحته بـ "الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930"، وتمت مناقشتها في 20 سبتمبر 1965[2].

4-4- رحلته إلى المملكة المغربية[3] سنة 1973م:

وقد ذكر تفاصيلها في كتابه تجارب في الأدب والرحلة، وكان الغرض منها زيارة مجاورة للبلد الذي تربطه بالجزائر علاقات تاريخية تشترك شعوبه باللغة والدين والمصير، والسبب الثاني هو الهدف الاسمى والأول في رحلاته هو البحث والتنقيب عن المخطوطات والمؤلفات ولقاء الأساتذة، وقد ذكر تفاصيل رحلته بدقة متناهية

1- أبو القاسم سعد الله، **قضايا شائكة**، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1993، ص. 15.

2- أبو القاسم سعد الله، **خارج السرب**، دار المعرفة، الجزائر، 2011، ص. 12.

3- أبو القاسم سعد الله، **تجارب في الأدب والرحلة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، ص. 203.

واصفا مشاهداته الميدانية للبيئة والمجتمع في المغرب الاقصى، وقد نزل بعاصمته الرباط، قام في الرباط بزيارة كلية الآداب لجامعة محمد الخامس اين واضب على البحث دراسة المخطوطات في قسم الخزانة العامة اين التق بالأستاذ محمد ابراهيم الكتاني، والاستاذ محمد حجي، والمؤرخ المصري المشهور عبد الله عنان، وغيرهم .

كما توجه إلى الدار البيضاء وقدم مشاهداته بتفاصيلها الدقيقة وصفا للمدينة وأوضاعها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وقام خلالها بزيارته كالعادة للمكتبات ومصادر الكتب والمخطوطات، وزار مدينة سلا وذكر ما شاهه ايضا مع مختلف زياراته ومرافقته للأساتذة والعلماء وذكر ما وجده من مخطوطات وكتب مخطوطة ومنشورة وغيرها الكثير.

4-5- رحلته إلى الجزيرة العربية 1977م[1]:

كان سبب الرحلة هو استجابة لدعوة علمية في الرياض لحضور الندوة العالمية الأولى لمصادر دراسات تاريخ الجزيرة العربية، وأيضا لعدة أسباب اخرى هي رغبته في زيارة الحجاز، وقد وردت تفاصيل الرحلة في كتابة تجارب في الأدب والرحلة، حيث ذكر تفاصيلها ومضمونها، مع مشاهداته في المملكة انطلاقا من الرياض، كما قام بعدة زيارات لمدائن صالح وللحرمين الشريفين التي هي مبتغى كل مسلم يقول سعد الله عن ذلك: "إن توجه الجزائريين إلى الحجاز كان عادة نتيجة توق روحي نحو الحرمين وزيارة البقاع التي وطئتها أقدام الرسول صلوات الله عليه وسلم وصحابته"[2]، وهو أحد أهم الأسباب في رحلات المغاربة إلى المشرق، "ونحن نعرف أن المغاربة منذ كانوا مولعون بالرحلة إلى المشرق"[3].

1- أبو القاسم سعد الله، **تجارب...، مرجع سابق** ، ص. 235.

2- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجز ائر الثقافي...، مرجع سابق**، ج. 2 ، ص. 381

3- عبد الهادي التازي، **رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية**، ج..1، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 1426هـ/2005م، ص. 25.

قال عبد الله بن عمر البسكري[1] في مطلع قصيدته[2]:

دار الحبيب أحق أن تهواها	وتحن من طرب إلى ذكراها
وعلى الجفون إذا هممت بزورة	يا ابن الكرام عليك أن تغشاها
فلأنت أنت إذا حللت بطيبة	وظللت ترتع في ظلال رباها

4- خاتمة:

ختاما ومن خلال تتبعنا لمسار الشيخ أبو القاسم سعد الله في سيرة المختصرة الخاصة بجانب الرحلات العلمية التي قام بها في مختلف الدول والأماكن، قد ساهمت بشكر كبير في تكوين شخصيته وانفتاحه للعلوم والآداب والتاريخ وتوسع ثقافته المعرفية، واكتسابه للخبرة والمعرفة، فقد كان قلما سيالا لا ينصب ونبعا متفقا من المعارف والتآليف التي لا تنضب، وكان صاحب فضل كبير في اسهاماته في مجال التأليف الثقافي والتاريخي والأدبي للجزائر، بحيث لا يمكننا في هذه الورقات القصيرة أن نلم بجميع جوانب حياته ورحلاته واسهاماته الغزيرة التي أفاد فيها وأجاد.

5- قائمة المراجع:

- ابن منظور، **لسان العرب**، تح. علي عبد الله الكبير وآخرون، مج. 1، دار المعارف، القاهرة، د. ت.

- أحمد أبو سعد، **أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي**، منشورات دار الشرق الجديد- بيروت، 1962.

- أغناطيوس كراتشكوفسكي، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، تر. صلاح هاشم، إيغور بليايف، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، موسكو، 1957.

- التازي عبد الهادي، **رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية**، ج. 1، مؤسسة الفرقان للتراث

1- عبد الله بن عمر بن موسى البسكري، كان حيا سنة 765هـ-1364م: من علماء المالكية، شاعر، أديب، من أهل بسكرة رحل إلى المشرق، وحج، واستقر بالمدينة المنورة. ينظر: عادل نويهض، **مرجع سابق**، ص. 42.

2- زين الدين أبو بكر المراغي، **تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة**، مخ. بمركز ودود للفهارس وكتب التحقيق، مجلة مركز ودود للمخطوطات، ورقة رقم 122.

الإسلامي، 1426هـ/2005م.

- الصعيدي عبد الحكيم عبد اللطيف، **الرحلة في الإسلام أنواعها آدابها**، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1416هـ/1996م.

- المكناسي محمد بن عبد الوهاب، **الرحلة**، تح. محمد بوكبوط، دار السويدي، بيروت، 2003

- بوسليم صالح، محمة عائشة، "من مظاهر التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني(1519-1830م)؛ هجرة العلماء والطلبة الجزائريين إلى تونس أنموذجا"، **مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية**، مج. 4، ع. 5.

- حثروبي محمد الصالح، **هجرات سكان واد سوف إلى مدينة بسكرة خلال القرن العشرين**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2019.

- خالدي مريم، **أبو القاسم سعد الله حياته وأعماله**: أطروحة دكتوراه، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس، 2018/2017.

- (ـــــ،ـــــ)، "السيرة والمسيرة التعليمية للدكتور أبو القاسم سعد الله"، **مجلة الخلدونية**، مج 9، ع. 1، 2016/06/01م

- ربوح عبد القادر، "الرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي خلال القرن 11هـ/17م"، **مجلة البحوث والدراسات**، مج. 15، ع. 1، 2018.

- رحاي محمد، "أبو القاسم سعد الله مؤرخا"، **مجلة المستقبل العربي**، ع. 431، جانفي 2015.

- زين الدين أبو بكر المراغي: **تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة**، مخطوط بمركز ودود للفهارس وكتب التحقيق، مجلة مركز ودود للمخطوطات، ورقة رقم 122.

- سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج. 2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1983.

- (ـــــ، ـــــ)، **تجارب في الأدب والرحلة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

- (ـــــ، ـــــ)، **حياتي**، دار علم المعرفة، الجزائر، 2015.

- (ـــــ، ـــــ)، **خارج السرب**، دار المعرفة، الجزائر، 2011.

- (ـــــ، ـــــ)، **قضايا شائكة**، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1993.

- (ـــــ، ـــــ)، **حوارات**، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2005.

- صغيري سفيان، **الشيخ العربي بن عمار وجهوده الاصلاحية في الدعوة والتعليم ببلدة**

سيدي عون (1947-1951م)، مداخلة في الملتقى الدولي السابع المقاومة الثقافية لأعلام الفكر الإصلاحي في الجنوب الشرقي الجزائري ما بين 1900-1962م. 4-5 جوان 2022.

- عطلاوي عبد الرزاق، **الرحلات العلمية و أثرها في الحركة الإصلاحية الجزائرية 1900-1954**، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2019.

- غنابزية علي، **مجتمع واد سوف**، دار هومه، الجزائر، 2017.

- مؤنس حسين، **ابن بطوطة ورحلاته**، طبع بمطابع دار المعارف، مصر، 1980.

الرّحلة الزيتونيّة للشّيخ الحسين حمادي السوفي وأثرها العلمي

Al-Zaytouna Journey of Sheikh Al-Hussein Hommadi and its scientific impac

أ.د. علي خضرة

مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية

كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي (الجزائر)

Khedourah-ali@univ-eloued.dz



ملخص:

إن الرحلة الزيتونية التي قام بها الشيخ الحسين وغربته عن أهله وبلدته بغية التزود من العلم الشرعي ونشره في البلاد التونسية ثم بالديار السوفية إلى آخر رمق من حياته ـ ونحن في ذكراه الواحدة والأربعين ـ هي أمانة في رقاب من بعده من طلبة العلم والباحثين في الجنوب التونسي وجنوب الوادي عموما، ومن أهل منطقة إعميش خصوصا، والتي من ثمارها العلمية: المنهج الوسطي بالحسنى في طلب العلم ونشره، وتزيد مهمة الأجيال اللاحقة من أسرة البحث والمعرفة في كيفية التعامل مع تراث رواد خريجي الزيتونة من الجزائريين، ونشر ذلك في أرض الواقع، وفي أوساط ازدادت تعلقا بالمادية وابتعدت كثيرا عن روح التفاعل الايجابي مع روح الشريعة ومقاصد الاسلام.

الكلمات المفتاحية: الرّحلة؛ الزيتونة؛ الحسين حمادي؛ وادي سوف.

Abstract:

The Al-Zaytouna journey undertaken by Sheikh Hussein and his estrangement from his family and town in order to acquire religious knowledge and spread it in Tunisia and then in the Soufian lands until the last breath of his life, and we are on his forty-first anniversary, is a trust in the necks of those who come after him from students of knowledge and researchers in southern Tunisia and the south of the valley in general, and from the people of the Aamish region in particular, and from the scientific fruits of which: the moderate approach with goodness in seeking knowledge and spreading it, and the task of the subsequent generations of the research and knowledge family increases in how to deal with the heritage of the pioneers of the graduates of the olive from

Algeria, and spreading that on the ground, and in circles that have become increasingly attached to materialism and have moved far away from the spirit of positive interaction with the spirit of Sharia and the objectives of Islam.
Keywords: *Journey; Al-Zaytouna; Hussein Hammadi; Oued Souf.*

1- مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وبعد.

إن مما تزخر به منطقة سوف تاريخها الحافل بالأحداث، ورجالها الذين صنعوا صفحات في سجل التاريخ وكتبوا من خلال رحلاتهم العلمية البارزة مواقف خالدة لا يمكن أن ينساها الأجيال على مر الليالي والأيام، ولو غفل عنها بعضهم قصدا أو سهوا فإن سجل التاريخ سوف يحفظها لهم. وإذا كان الحديث عن رحالة العلم والفكر بجهادهم العلمي والفكري وعطائهم المعنوي والمادي، وما قدموا للأجيال اللاحقة في خدمة أمتهم ودينهم من فقه وتنظير وتضحية في نشر كتاب الله تعالى وتعليمه هو من أضعف الجهد ورد الجميل في معرفة قدر هؤلاء الأعلام والرموز الشامخة. فما بال القارئ الكريم إذا نظر إلى زمانهم وظروف حياتهم وفترة بروزهم، وما صاحب ذلك من عوامل داخلية وخارجية تمنع من العطاء وتكسر الجهود، بل وتحارب كل محاولات الخدمة لتوعي الأبناء ونشر قيم العدل والوحدة والإخاء ومنع الظلم والقهر والجفاء.

لقد أثّر الزيتونيون تأثيرا كبيراً في الحياة الثقافية لمنطقة سوف، إذ كان لهم الفضل في نشر الثقافة الإسلامية، وتصفية اللغة العربية من العجمة وقد ساهمت مبادراتهم الإصلاحية والتعليمية والثقافية في ربط الجزائري بماضيه وتذكيره بأمجاده وإحياء تراثه عن طريق الكلمة المكتوبة شعراً ونثراً[1] ومنه تأتي هذه الورقة العلمية المعنونة بـ: الرحلة الزيتونية من طلبة منطقة سوف إلى الزيتونة العامرة،

1- خير الدين شترة، **الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900-1956م**، ج. 2، دار البصائر، 2009، الجزائر، ص ص. 1518-1519.

وقد أخترنا مظهرا لهذا الدور والنشاط العلمي الذي قدمه الشيخ الإمام الحسين حمادي (رحمه الله) باعتباره أحد أبرز المنتسبين السوافة إليها في القرن 20، فمن هو الشيخ الحسين حمادي؟ وماهي إسهاماته العلمية في الساحة الثقافية لأهل سوف عموما والجنوب التونسي خصوصا؟

2- التعريف بجامع الزيتونة:

جامع الزيتونة هو أقدم وأهم الحواضر العلمية العربية في أفريقيا، أسسه الأمير عبد الله بن الحبحاب، سنة 79هـ/ عام 732م، بتونس وقد سبقه في التشييد الفاتح حسان بن النعمان الغساني، فكان هذا المَعْلم شاهدًا على نهضة الحضارة الإسلامية وازدهارها العلمي والمعرفي[1].

2-2- من هم الزيتونيون؟

هو لقب يحمله كل من انتسب إلى جامعة الزيتونة وتخرج فيها، وإن كانت هذه النسبة غير شائعة بيننا، فيذكر اسم الشيخ دون نسبته، والعادة عندنا نسبته لمسقط رأسه وهو الشائع، والحال غير ذلك مع المنتسبين لحاضرة الأزهر بمصر، فكثير ما يلحق اسم العَلم بلفظ الأزهري لدلالة على أنه تخرج في الأزهر، ولا أعرف سبب تحاشي ذكر نسبة الزيتوني عند التعريف بشيوخنا رغم كثرتهم وفضل جامع الزيتونة عليهم.

وخلاصة القول فلفظ الزيتوني؛ المقصود في بحثنا هذا، هو لقب يحمله كل من درس في جامع الزيتونة وتخرج فيه حاملا شهادة العالمية، وقد يلحق بهم خريجو معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة باعتبار هذا المعهد فرع للزيتونة بالجزائر.

ولقد أبدع الطلبة الجزائريون الزيتونيون في إعداد الأجيال المتعاقبة تربويا وفكريا منذ أن توافدوا على جامع الزيتونة في بداية القرن العشرين ثم أنشأوا هياكل علمية وثقافية وطلابية تسمح لهم بحرية النشاط العلمي والثقافي وكان من

1- راجع موقع وزارة الشؤون الدينية التونسية، الرابط:
http://www.affaires-religieuses.tn/public/ar/monuments/377878638

ذلك تأسيس جمعية الطلبة الزيتونيين. ولا يخف على أحد من الباحثين مساهمة جمعية العلماء المسلمين الجزائيين في تنوير الرأي العام الجزائري حينها علميا ودينيا وتحصين الناشئة في ظل الاستعمار الفرنسي الماكر من مخططات التغريب وتدمير الهوية ومن أبرز طلبة جمعية الطلبة الزيتونيين الجزائريين، الشيخ الحسين بن علي بن حمادي بن علي السوفي، العزالي، المتوفى يوم 15أفريل 1982م بالنخلة رحمه الله تعالى.

3- التعريف بالشيخ الحسين حمادي رحمه الله:

3-1- نسبه ومولده:

هو الحسين بن علي بن حمادي بن علي بن سالم بن نصيب بن علي بن بلقاسم بن لعجال بن بلقاسم بن العزَال[1]. والعزال هو جد العزازلة، ويرتقي نسبه إلى الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله .صلى الله تعالى وسلم على أبيها ورضي الله عنها.

ولد الشيخ الحسين حمادي بن علي بن حمادي بن علي سنة 1900م بالنخلة، والده علي حمادي إمام مسجد النخلة" مسجد الشيخ الحسين حمادي حاليا". وقد توفي والده في شهر رمضان الموافق لشهر اكتوبر 1941م عن عمر ناهز الثمانين، والدته مريم بنت عبد الله عباسي من حي العبابسة بالبياضة، توفيت عام 1937م تزوج بعدها والده خديجة بنت العربي كنيوة، ولم ينجب منها، وتوفيت بعده بعدة سنوات، وقد كان الشيخ الحسين سادس إخوته، وأصغرهم سنّا[2].

أسرة الشيخ الحسين حمادي كانت أسرة يسيرة الحال، شأنها شأن معظم أسر سكان المنطقة حينها، ولكنها تميزت عن غيرها من الأسر السوفية أنها كانت

1- محمد الصالح بن علي، **الشيخ الحسين حمادي، حياة علم وكفاح**، من إصدارات دار الثقافة لولاية الوادي، مطبعة سخري، 1433هـ2012م، ص. 37.

2- محمد العيد قدع، **الشيخ الحسين حمادي، دوره الاجتماعي ونشاطه العلمي والتربوي بتونس ووادي سوف 1902-1982م**، مطبعة ذويب، 2013م، ص. 14.

أسرة علم ومكانة روحية عالية بين الناس لاشتغال أبنائها بالإمامة وتدريس القرآن ومعاونة الناس، مما جعل الشيخ لحسين لا يخرج عن نهج والده فخلف والده في إمامة المصلين بالمسجد العتيق بالنخلة.

2- 3- نشأته وحياته:

تلقى الشيخ الحسين حمادي تعليمه الأول علي يد والده الامام علي بن حمادي، ولكنه لم يمكث طويلا، إذ كان شديد التعلق بالنهضة التونسية في الجريد التونسي في حفظ القرآن وتدريس المتون، فالتحق بزاوية "سيدي إبراهيم بن أحمد الشريف" بنفطة، وأوصى عليه والده شيخ الزاوية آنذاك الشيخ "لحبيب" الذي كان آية في حفظ القرآن تلاوة ورسما وعدا، فأكمل الشيخ الحسين حفظ القرآن كله في هذه الزاوية وتعلم بعض العلوم الخادمة لفهم كتاب الله: كالفقه والتوحيد والتفسير والنحو والصرف والميراث.. وغيرها[1].

وقد كان من أبرز شيوخه بنفطة: الشيخ" محمد بن حمد "والشيخ "إبراهيم الصمادح" والشيخ "التابعي بن الوادي" بالإضافة إلى الشيخ "لحبيب" الذي كان أكثر من تعلق به الشيخ الحسين وتأثر به.

كما تميز السيخ الحسين عن أقرانه بتفوقه الدراسي، وبعد هذه المرحلة من حياته اضطرته الحاجة إلى العمل بعد رسالة أبيه سنة1918م أن والده لم يعد يقدر على إعانته، وفي بحثه عن مصدر يسترزق منه، التقى في محطة القطار بتوزر بأحد أعيان عائلة "العمامي" ببلدة "المكناسي" فاقترح عليه تدريس القرآن ببلدة الخروبة بعد أن علم أنه من حملة كتاب الله[2].

وقد واصل السيخ الحسين تعليمه للقرآن في هذه البلدة إلى غاية سنة 1940م، وأثناء هذه المدة التي استقر فيها بالمكناسي كان يتردد على جامع الزيتونة

1- محمد الصالح بن علي، **مرجع سابق**، ص. 39.

2- علي خضرة، "الشيخ الحسين حمادي السوفي 1900-1982ودوره في خدمة المذهب المالكي في جنوب سوف والجنوب التونسي"، **مجلة البحوث والدراسات**، ع. 20، س. 12، جوان 2015م، جامعة الوادي، ص. 219.

لإكمال دراسته وإشباع نهمه العلمي فانخرط في صفوف طلاب الجامع الأعظم "الزيتونة"، وفي طريقه للجامع كان يتنصت إلى كلام الشيخ الطاهر بن عاشور لطلبته، وقد نال شهادة الادعاء في أول امتحان له بالزيتونة ثم أتم السنة الخامسة والسادسة بنجاح سنة 1932م وانقطع بعدها لظروف خاصة وقعت في تونس في ما سمي بفتنة التجنيس سنة 1933م.

ولقد درس الشيخ الحسين الذي حمل في الوثائق الرسمية والسجلات بجامع الزيتونة اسم "الحسين بن علي السوفي" على عدد من المشايخ المتخصصين في عدد من العلوم ومنهم: الشيخ محمد عبد العزيز النيفر، الشيخ محمد الحطاب بوشناق، الشيخ أحمد بن عثمان، الشيخ محمد التارزي، الشيخ ابراهيم النيفر، الشيخ محمد البشير النيفر ، الشيخ محمد الزغواني[1].

وفي صيف هذه السنة قرر أن يلتحق بجامع الأزهر، فبدأ يعد العدة من أجل هذا الحلم، ولكن والداه كانا قد رتبا لابنهما لوازم إتمام نصف دينه، فتزوج في: 17 رجب 1353هـ/25 أكتوبر 1934م. كان للشيخ الحسين طموح كبير وهمة عالية، للدراسة بالأزهر الشريف، ولكن الظروف حالت دون دلك، فاضطر للاستقرار في بلدته النخلة.. ومما قاله في تمنيه الذهاب إلى مصر بيتين من الشعر تدلان على قدرته على النظم[2]:

فلو كانت الدنيا تدوم رأيتني ××× سكنت بمصر فهي أحسن موطني

ولكنها ليست تدوم لحادث ××× لهذا رضيت منها بالوطن الدني

وفي شهر رمضان المعظم سنة 1940م قام بزيارة عائلية إلى أهله بالنخلة، بعد أن مكث المدة التي بعد زواجه في الخروبة بالمكناسي وبجوار مسجدها مدرسا ومعلما لكتاب الله، ويشاء الله أن تكون هذه الزيارة هي الأخيرة لوداع والده ومعلمه

1- محمد السعيد عقيب، **الشيخ الحسين حمادي ونشاطه التعليمي في تونس ووادي سوف**، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الدولي: التواصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس، 11/10 نوفمبر 2013، ص ص. 3-4 .

2- محمد الصالح بن علي، **مرجع سابق**، ص. 55.

الأول حيث توفي الوالد يوم الاربعاء 22 رمضان 1356هـ/23 أكتوبر 1940م، وقد أوصى ابنه خيرا ليلة وفاته بالمسجد والجماعة، فما كان من الابن البار بوالديه إلا أن نفذ وصبة والده واستخلف والده في إمامة إخوانه المصلين بالمسجد العتيق بالنخلة فكان بحق إماما وواعظا ومفتيا وقاضيا، بل ومصلحا وداعيا إلى كتاب الله والعمل به.

وفي أوائل الخمسينيات أصيب الشيخ الحسين بمرض النسيان فنسي كل شيء إلا القرآن، ولم يعد يدرس القرآن فكلف تلاميذه الكبار بالتدريس عوضا عنه ومنهم: ابنه الطالب لمين والطالب عمر شويرفات والمكي بن علي ومحمد الكبير خالدي.

تم نفي الشيخ سنة 1957م، من طرف الادارة الفرنسية إلى تونس واستقر به المقام بلدة في الرديف، ومكث فيها أكثر من خمس سنوات وهو يواصل تدريس القرآن في المدرسة التي أنشأها "محمد بقاص" بذات البلدة إلى أن جاءت لحظة الفرج الأكبر على كل جزائري غيور على دينه، وهي لحظة الاستقلال والحرية، حيث عاد الشيخ الحسين إلى وطنه الأم وإلى مسقط رأسه النخلة التي أحبّها وأحبته وأحبه أهلها، ورجع إلى إمامة أهلها وتدريس القرآن، ولم ينس حتى المكفوفين إذ خصص لهم وقتا يعلمهم شيئا من القرآن والفقه والحديث النبوي[1].

3-3- المرض والوفاة:

في مطلع سنة 1982م بدأت أيام السيخ الحسين تتداول بين تعب وتقدم السن والمرض المرهق، وبحلول شهر مارس من نفس السنة تدهورت صحته وانقطع عن المسجد ولزم الفراش ابتداء من يوم: 24 مارس 1982م، واستمرت معاناته مع المرض الى منتصف شهر أفريل حين فاضت روحه الى بارئها صباح يوم الخميس 21 جمادى الثانية 1402هـ/15 أفريل 1982م[2]، كانت جنازته جنازة مهيبة وكبيرة جدا،

1- **أعلام سوف**، مديرية الثقافة، إصدارات دار الثقافة لولاية الوادي، مطبعة مزوار، 2006، ص. 24.

2- محمد السعيد عقيب، **مرجع سابق**، ص. 9.

طلبت من عمي الصلاة عليه، وكذلك الإمام للصلاة عليه لكنهم رفضوا فصليت عليه أنا (ابنه لمين)، وكل ثلاث صفوف أحد يسمع الناس حتى يسمع الناس لكثرتهم. ووفاته كانت كبيرة جدا على الجهة، فليس له مثيل في ذلك الوقت،

4- جهوده العلمية في الرحلة الزيتونية:

لقد كان لتلقي الشيخ الحسين في تكوينه الأولى عن طريق والده ومن بعدها على أيدي مشايخ الزاوية بنفطة وكذا شيوخ جامع الزيتونة، أثر كبير في تكوين مشربه الفقهي ورسم معالم منهجه الفكري والعقدي، ومما لا يخفى على أي دارس ومطلع على آثار الفقهاء المغاربة عموما أنهم انتهجوا في مدارسهم الفقهية علما وعملا مذهب إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس (ت. 179هـ)[1].

والشيخ الحسين رحمه الله تعالى، واحد من الائمة الذين جروا مجرى آبائهم ومعلميهم فكان في منهجه الفقهي متمسكا بالمذهب المالكي، ولم يعرف عنه أنه أفتى بغيره، وإن كان قد اطلع على بعض المسائل الفقهية وحكمها عند باقي الفقهاء وخصوصا الأئمة الأربعة؛ لأنه ثبت عنه أنه رحمه الله تعالى، كان يرجح عمل الامام مالك على غيره ويتضح هذا جليا من قضائه وفتاويه وكذا معظم عناوين مكتبته التي يغلب عليها ولاسيما في المجال الفقهي كتب السادة المالكية.

4-1- تحفيظ متون الفقه المالكي مع القرآن:

عمل الشيخ الحسين منذ توليه التعليم سواء في تونس أو في جنوب الوادي على تعليم متون الفقه المالكي التي عرفت الشهرة عند المالكية المغاربة كمتن ابن عاشر "الحبل المتين "وكانت طريقة الشيخ أن تكتب في الألواح كما يكتب القرآن الكريم، وبالأخص إذا رأى الشيخ من بعض طلابه فطنة ونشاطا ملحوظا، زاده في التحصيل فدله على الرجوع إلى شرح سيدي خليل بحاشتي الدسوقي وأحمد الدردير أو متن الرسالة لعبد الله بن أبي زيد القيرواني، أو الخلاصة الفقهية لابن

1- علي خضرة، **مرجع سابق**، ص. 221.

جزي الغرناطي وغيرها من مصنفات الفقه المالكي بالإضافة إلى موطأ الامام مالك بن أنس رحمه الله.

2-4- نشر المذهب المالكي بالفتوى والتعليم:

ويتضح جليا من خلال شهادات الطلبة الذين كانوا يدرسون عنده القرآن، كما يذكر هذا الأمر أحد طلبته فيقول: عنه" ولكن الشيخ لا يخرج عن المذهب المالكي ولا يفتي بغيره إلا لضرورة كحال الاصلاح، أو إبعاد المشقة والضرر كرمي الجمرات في الحج قبل الزوال"[1].

وقد ذكر بعض طلابه أيضا ومن نقل عنهم سيرة الشيخ الحسين أنهم بحثوا عن حالات الاصلاح التي قام بها الشيخ بين الناس، فلم يجدوا فيها مسألة واحدة خرج فيها الشيخ عن قول السادة المالكية في فتواه، وليس في اطلع عيه في أقوال الائمة في العديد من المسائل.

3-4- عدم التلفيق بين المذاهب:

وهذا الأمر يتضح جليا من فتاوى الشيخ، إذ كان الناس يستفتونه في أمور دينهم ويأخذون مشورته في أمور دنياهم التي يشكل عليهم فيها وجه الصواب والدقة، واستكمالا للشهادة السابقة يقول المتحدث ذاته، عن رأي الشيخ في المسألة التي لها أكثر من قول، إذ يقول المتحدث: "لأن الشيخ الحسين لا يرى بأسا من تتبع الرخص للضرورة، ولكنه لا يجيز التلفيق بين المذاهب"[2].

ومن المعلوم أن التلفيق الذي يمنعه الشيخ هو الأخذ في المسألة الواحدة بأكثر من رأى من مذهبين أو أكثر والوصول إلى حقيقة مركبة (ملفقة) لا يقرها أحد الأئمة. والغرض عند الشيخ في عدم إجازة التلفيق هو أن لا يجمع المقلد قول إمامين أو أكثر في فعل له أركان وجزئيات لها ارتباط ببعضها لكل منها حكم خاص

1- محمد العيد قدع، **مرجع سابق**، ص. 113.

2- علي خضرة، **مرجع سابق**، ص. 223.

مختلف فيه بين اجتهاداتهم فيقلد أحدهم في حكم ويقلد غيره في حكم آخر.

ومما يعذر الشيخ فيه لهذا النهج أن الغالبية المطلقة ممن يستفتونه من طبقة العوام والمستمعين والناشئة من طلبة العلم، وبحكمة منه .رحمه الله - أن لا يوقع المستفتي في حرج للأخذ من أقوال الأئمة، فالأولى في نظر الشيخ أن يحافظ السائل على أقوال فقهاء المالكية ويعمل بها ،بدل أن يوضع في موضع المرجح بين الأقوال، وليس له أهلية للمقارنة بين أقوال الفقهاء .

4-4- عدم التعصب لرأي المالكية حال وقوع الدليل الأقوى مع غير مذهبهم:

من شيم الشيخ الحسين فبالرغم من أنه كان ملازما للمذهب المالكي ولا يحيد عنه قيد أنملة، إلا أنه كان لا يحب التشدد والتنطع والتعصب، فلا يخطئ مخالفه في المذهب، ولا يراه بعين الريبة والانحراف، بل يحترم رأيه، ولا يعارض اجتهاده ما دام ملتزما بالحكم الشرعي، ولا غرو أن يكون هذا من صنيع الشيخ، فقد كان "ذو أخلاق حسنة مع كل الناس، إذا قصده المحتاج لا يخرج خاوي الوفاض.

له فضل على أهل النخلة وعلى كثير مما سواها، وما أصدق وأجمل ما وصفه به الشيخ حمد توبة. وهو من تلامذة الشيخ الحسين في مرثية قالها في رثاء معلمه وفيها زهاء عشرين بيتا، مطلعها: نم قرير العين يؤنسك الذكر إلى أن يقول[1]:

مكارم الاخلاق فيك سجية *** في شخصك نبتت أصولها العشر

دين وعلم حياء وعفة *** كرم وفاء ثم لين وصبر

صدق أمانة زدت حلما بشاشة *** لمقدم الضيف يعلو وجهك البشر

4-5- تورع الشيخ الحسين في الفتوى:

وهذا شأن إمام دار الهجرة، الامام مالك بن أنس،حيث كان يفتى في خمسين مسألة مثلا، فلا يجيب إلا على القليل منها، وشيخنا الشيخ الحسين حمادي كان

1- علي غنابزية، **مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن التاسع عشر(م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2000/2001م، ص. 39.

يتهيب الفتوى ولقد تقلد الافتاء لعدم وجود من يفتي ويبين الأحكام للناس بجنوب الوادي، وحتي إذا أفتى "لا يستعجل فيما أستفتي فيه، وفي كثير من الاحيان يطلب من المستفتي أن يراجعه في الغد، أو بعد الغد أو الاسبوع القادم إن لزم الأمر . كما أنه لا يجيب إن حدث له لبس أو غموض في قضية ويوجه المستفتي إلى من له القدرة على ذلك، لا يجيب للمشاحن الذي يريد الانتصار لرأي تعصب له، مقابل رأي مخالف لمشاحنه"[1].

4-6- التدقيق والتفصيل والإحاطة بحيثيات الفتوى:

حيث كان الشيخ الحسين يتثبت جيدا في حوليات كل مسألة يستفتى فيها ويدقق مبلغ حسه في كلام السائل، وقد جاءه مرة أحد وسأله عن السفر في رمضان والتقصير في الصلاة، ولما كان هذا الشخص من العاملين في مجال تهريب السلع عبر الحدود، فقد فصّل الشيخ الاجابة تفصيلا شافيا لا لبس فيه، وبعد أن تطرق إلى جواز السفر في رمضان وشروط التقصير ختمه بقوله: "أمّا سفر ليبيا إن كان مباحا يجوز فيه التقصير، وإلا فلا"[2].

5- أهم المجالات التي برز فيها دور الشيخ الحسين حمادي في رحلة جنوب الوادي والجريد التونسي

تبوأ الشيخ الحسين مكانه هامة في المجتمع السوفي لطيب سيرته ومحاسن أخلاقه بينهم، مما جعله يدخل قلوب الناس دون استئذان محبة ومهابة، هذه المنزلة للشيخ بين الناس جعلتهم يستفتونه ويأخذون بمشورته، حتي قال فيه أحد طلابه: "وفي النخلة كان أبا للجميع، مسموع الكلمة وموضع الاحترام والإجلال، فطلبته يقولون كنا نحبه كثيرا ونجله ،ويعاملنا معاملة الأب لأبنائه، وعندما نفي من النخلة أظلمت النخلة وسادها سكون رهيب وفراغ قاتل، ولم ترى الناس أياما أضيق عليها من تلك الايام، فكأن لكل بيت عزيز متوفى، وأصبحت البلاد قفرا على

1- محمد الصالح بن علي، **مرجع سابق**، ص ص. 107-108.

2- **نفسه**، ص ص. 108-109.

حد تعبير الشيخ توبة"[1].

وما زال لحد الآن لا يذكر اسم الشيخ الحسين حمادي إلا ويترحم عليه من طرف الجميع، وكم من الأثر الطيب تركه في قلوب أهل النخلة رحمه الله تعالى، هذا المقام للشيخ، جعله يتفانى في خدمة خلق الله ونشر تعليم كتابه، تعبدا لله رب العالمين، من خلال عدة مجالات كان الشيخ قد اتخذها في تفاعله الاجتماعي ودوره الهدائي الاصلاحي. وقد تلخص أهمها في المحاور التالية:

1-5- تعليم القرآن وتعليم الفقه ومتونه:

كان للشيخ الحسين مع تعليم كتاب الله محطات متعددة المراحل في المكناسي والرديف وفي النخلة قبل النفي وبعده، مما أكسبه هذا التنقل تجارب عدة في تعليم كتاب الله تعالى، كما أن أسلوبه في تعليم كتاب الله تعالى للكبار والصغار قد اعتمد على الطريقة التقليدية باللوح، وبعض المتون في ما يتعلق بعلوم القرآن، مثل: مورد الضمآن، الداني الفاسي والمصباحي في الرسم، متون الفقه كمتن ابن عاشر وسيدي خليل والموطأ والرحبية في علم المواريث وكذا الخلاصة الفقهية.. وغيرها

وكان وقت التدريس من قبل الشروق حتى الضح، وكان التحفيظ تركيزا على الصغار ولكن كان هناك أيضا للكبار وتدريسهم كمحو للأمية للسور القصار، ولم تكن له دروسا بانتظام وإنما كانت مناسباتية. ومن المشايخ الذين عاصروه: عبد الكريم عسيلة- الهادي العمامرة، عوينات البخاري[2].

وكان الشيخ يدرس الفقه والنحو والصرف وله معرفة كبيرة بالنحو، وظل الشيخ إماما ملتزما بوصية والده بخلافته الإمامة بقرية النخلة فعكف على تعليم الأجيال المتون باللغة العربية، والقرآن وبعض العلوم الشرعية فتخرج على يديه عدد كبير من الحفاظ لكتاب الله قدر بحوالي 95 طالبا. يقول أحد طلبته، عنه:

1- محمد العيد قدع، **مرجع سابق**، ص. 119.

2- **نفسه، الصفحة نفسها.**

"كل من التقيت بهم من معلمي القرآن في ربوع هاته الولاية، ولاية الوادي قديمهم وحديثهم، ما وجدت شخصا يشبهه حتى الشبه، فضلا بأن يكون مثله.

توفر شرطين: أما الشرط الأول: الكفاءة وحفظه لكتاب الله حيث أن فهمه لأسرار هذا الكتاب والعربية التي يتمتع بها والفقه وكان رحمه الله متوغلا في الفقه المالكي. وأما الشرط الثاني، وهو الشيء الذي سمح له في إنقاذ قرية النخلة .وما جاورها هو كثرة زاده والإخلاص، لأن المعلومة والمتعلقة بكتاب الله تعالى لا تصل إلا بالإخلاص"[1].

2-5- الامامة والوعظ والإرشاد الديني:

كان الشيخ من الزهاد في الامامة، يتهرب منها حيثما وجد لكن وصية والده وطاعته له جعلته يتحملها وهو يتمثل قول والده له: وقد كان آخر ما لفظت به شفتا والده ليلة أخذت روحه إلى بارئها: "هنيني على الجماعة في صلاة الصبح "فحمل الشيخ الوصية محل الجد وجعلها نصب عينيه طول حياته، وكان يقول لطلابه: "إن وصية أبي هي التي ربطتني بالإمامة في النخلة؛ لأن الإمامة مسؤولية وأمانة لا يحملها إلا من يقدرها حق قدرها ويعي تبعاتها"، ولما نفي إلى تونس عرضت عليه الامامة فأباها، وكان يجتمع إليه بعض مشايخ أصحاب المدارس الحرة، ليتلقوا عنه دروس في الفقه والنحو. وغيرها، فإذا حضرت الصلاة قال لهم ليؤمنا أحدكم فإني لا أصلح لها، ولما عاد إلى النخلة غداة الاستقلال باشر الامامة مجددا تنفيذا لوصية أبيه[2].

1-5- الفتوى والإصلاح الاجتماعي:

من أبرز ما قدمه الشيخ في تفاعله الايجابي مع أفراد مجتمعه هو ميله للتيسير في الفتوى ونبذ التشدد والتعسير، حتى يحبب للناس العمل والتعبد وفق منهج متوازن في العبادة، "وقد خصص جزءا من بيته لاستقبال طلاب العلم والفتوى،

1- حصة إذاعية، "اسماء في الذاكرة"، **إذاعة سوف المحلية**، حصة يوم 2007/04/27.

2- محمد الصالح بن علي، **مرجع سابق**، ص. 87.

ولضمان التدقيق والتحرّي والسرية التامة للفتاوى ذات الطابع الشخصي، والفتاوى التي تثير جدلا لدى العامة لخصوصيتها وطابعها الاستثنائي[1]".

4-5- القضاء وفعل البروالإحسان:

إن مكانة الشيخ ومنزلته بين أهل النخلة، وحتى لما كان في تونس وثقة الناس به جعلتهم يرجعون إليه في قضاياهم التي يختلفون فيها، أو يشكل عليهم فيها وجه الصواب مما جعل الشيخ يتبوأ مكانة القاضي الأول والحكم يرضى بحكمه الجميع خصوصا في قضايا الميراث وما يتعلق به، والقضايا الأسرية والاجتماعية، وأيضا قضايا العقار والأراضي والأملاك الخاصة أو ما يتعلق بالمسائل المالية كالبيوع والإجارة والديون وغيرها[2].

6- الخاتمة:

إن هذه الاطلالة الموجزة التي وقفنا فيها على علم من الأعلام المرموقين في منطقة الوادي والنخلة بالذات لتعطي للسامع الكريم أن واجب الامانة الذي يشترك فيه الجميع هو أن لا يقطع خط التواصل بين هذه الجبال الشم من العطاء والفكر رغم صعوبة الظروف ومعاكسة الأحوال وبين الأجيال اللاحقة التي تنعم بالرخاء والسعة وتحسين الأحوال والظروف على كل المستويات .

وحتى نسهم في بعث جهاد هؤلاء الابطال رأينا أن إطلالة على هذا العلم الذي علم أقرانه وأجياله، وكل من عرفه كيف ينفق عمر العبد في خدمة كتاب الله تعالى ونشر تعاليمه السمحة، وكيف يستطيع أن يوفق بين الحياة الخاصة والحياة العلمية.

إن الرحلة الزيتونية التي قام بها الشيخ الحسين وغربته عن أهله وبلدته بغية التزود من العلم الشرعي ونشره في البلاد التونسية ثم بالديار السوفية إلى آخر رمق

1- محمد العيد قدع، **مرجع سابق**، ص. 116.

2- محمد الصالح بن علي، **مرجع سابق**، ص. 108.

من حياته، ونحن في ذكراه الواحد والأربعين، هي أمانة في رقاب من بعده من طلبة العلم والباحثين في الجنوب التونسي وجنوب الوادي، عموما، ومن أهل منطقة إعميش خصوصا، والتي من ثمارها العلمية: المنهج الوسطي بالحسنى في طلب العلم ونشره، وتزيد مهمة الأجيال اللاحقة من أسرة البحث والمعرفة في كيفية التعامل مع تراث رواد خريجي الزيتونة من الجزائريين، ونشر ذلك في أرض الواقع، وفي أوساط ازدادت تعلقا بالمادية وابتعدت كثيرا عن روح التفاعل الايجابي مع روح الشريعة ومقاصد الاسلام.

7- المصادروالمراجع:

- **أعلام سوف**، مديرية الثقافة، إصدارات دار الثقافة لولاية الوادي، مطبعة مزوار، 2006.

- حصة إذاعية، "أسماء في الذاكرة"، **إذاعة سوف المحلية**، حصة يوم 2007/04/27.

- خير الدين شترة، **الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900م-1956م**، ج. 2، دار البصائر، الجزائر، 2009.

- علي خضرة، "الشيخ الحسين حمادي السوفي 1900ـ 1982 ودوره في خدمة المذهب المالكي في جنوب سوف والجنوب التونسي"، **مجلة البحوث والدراسات**، ع. 20، س. 12، جامعة الوادي، جوان 2015م.

- علي غنابزية، **مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في التاسع عشر(م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة الجزائر 2001/2000م.

- محمد السعيد عقيب، **الشيخ الحسين حمادي ونشاطه التعليمي في تونس ووادي سوف**، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الدولى: التوصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس 11/10 نوفمبر2013م.

- محمد الصالح بن علي، **الشيخ الحسين حمادي، حياة علم وكفاح**، من

إصدارات دار الثقافة لولاية الوادي، مطبعة سخري، 1433هـ2012م.
- محمد العيد قدع، **الشيخ الحسين حمادي دوره الاجتماعي ونشاطه العلمي والتربوي بتونس ووادي سوف 1902-1982م**، مطبعة ذويب، 2013م.
- موقع وزارة الشؤون الدينية التونسية الرابط:
http://www.affaires-religieuses.tn/public/ar/monuments/37787863.

الرّحلات العلميّة للشّيخ عزّ الدّين عبّاسيّ ودورها في تنشيط الحركة الثّقافيّة بالوادي

The scientific journeys of Sheikh Izz al-Din Abbasi and their role in activating the cultural movement in the valley

د. علي زواري أحمد

مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية

كلية العلوم الإسلامية -جامعة الوادي (الجزائر)

zouari-ahmed-ali@univ-eloued.dz



ملخص:

يتضمّن مقالنا الحديث عن الرّحلات العلميّة للشّيخ عزّ الدّين عبّاسيّ ودورها في تنشيط الحركة الثّقافيّة بالوادي، وقد عالجنا فيه الإشكاليّة الّتي مفادها التّعريف بالشّيخ ورحلاته العلميّة وما أسهم به الشّيخ في تنشيط الحركة الثّقافيّة بمنطقة الوادي، وقد عالجنا الموضوع في ثلاثة مطالب كان الأوّل للتّعريف بالشّيخ عزّ الدّين عبّاسيّ، والثّانيّ تحدثنا فيه عن أهمّ رحلاته العلميّة، وفي الثّالث عن أهمّ الأدوار الثّقافيّة التي أفرزتها تلك الرّحلات العلميّة بعد استقرار الشّيخ بالوادي، وقد خرجنا بنتائج منها؛ أنّ للرّحلات العلميّة للشّيخ عزّ الدّين عبّاسيّ الدّور الكبير في تكوين الشّيخ ما أسهم في جهده المتواضع في النّشاط الثّقافيّ بالوادي.

الكلمات المفتاحية: الرّحلات؛ العلميّة، عزّ الدّين عبّاسيّ؛ الوادي؛ الثّقافيّة.

Abstract:

Our article includes talking about the scientific trips of Sheikh Izz al-Din Abbaci and their role in activating the cultural movement in the valley, and we have addressed the problem of introducing the Sheikh and his scientific trips and what the Sheikh contributed to activating the cultural movement in the valley area, and we have addressed the subject in three demands, the first was to introduce Sheikh, Ezzedine Abbaci and the second in which we talked about his most important scientific trips, and in the third about the most important cultural roles that resulted from those scientific trips after the settlement of the

Sheikh in the valley, and we came out with results from them The scientific trips of Sheikh Ezzedine Abbaci played a major role in the formation of the Sheikh, which contributed to his modest effort in the cultural activity in the valley.

***Keywords**: travels; scientific, Ezzedine Abbaci; Valley; Cultural.*

1- مقدمة

تعدّ الرّحلات العلميّة من أهمّ المصادر التي يُعوّل عليها -قديما وحديثا- في كسب العلم، وجلب المنفعة، والتّزود بالمعرفة، والتّنوير بثقافة الآخرين والاستفادة من تجاربهم، ولهذا لا نعجب حين نقرأ تراجم العلماء فنرى الرّحلات العلميّة جزءا من سيرتهم، وسبيلا من سبل بلوغهم المراتب العلميّة المرموقة.

وقد كانت منطقتنا وادي سوف (الوادي) أحد المناطق التي اعتمد رجالاتها على الرّحلات العلميّة للتّزوّد بالمعرفة والتّكوين العلميّ، وذلك لعدّة أسباب؛ منها الاستعمار الذي منع فيها الكثير من مراكز العلم وإشعاعاته، ما جعل الجهل يدبّ في أوساط النّاس، الشّيء الذي دفع بأبناء المنطقة لركوب الرّحلة العلميّة قصد التّحصيل العلميّ والرّجوع لتّنوير المجتمع السّوفيّ بالعلم والمعرفة والثّقافة المطلوبة. ولعلّ من هؤلاء أحد أعلام منطقتنا، صاحب الدّعوة والعلم ورمز من رموز الإصلاح بها؛ ألا وهو الشّيخ عزّ الدّين عبّاسيّ الذي كانت له رحالات علميّة كغيره من أعلام المنطقة والتي تركت أثرا كبيرا، وأدّت دورا مشهودا في تنشيط الحركة الثّقافيّة بالوادي، لذا وددنا الإسهام في هذا اليّوم الدّراسيّ بأن نخصّص الحديث عن هذا العلم السّوفيّ، وقد وسمنا مداخلتنا بعنوان: "الرّحلات العلميّة للشّيخ عزّ الدّين عبّاسيّ ودورها في تنشيط الحركة الثّقافية بالوادي".

أهميّة البحث: وتكمن أهميّة الموضوع في التّعريف برجالات منطقتنا ودورهم الذي قاموا به في بعث روح الإحياء في أوساط مجتمعنا، والذين منهم الشّيخ محمّد عزّ الدّين عبّاسيّ الذي نودّ التّعريف به والكشف عن جهوده التي بذلها في مجال التّنوير الثّقافيّ والتّعليم الدّيني بمنطقة وادي سوف نظرا لأهميّتها.

دو افع اختيارالبحث: اغتنام المناسبات -كمثل هذا اليوم الدّراسيّ - للتّعريف

بأعلام المنطقة قصد إحياء تراث ومآثر الأسلاف وتوريث ذلك للأجيال، والشّيخ عزّ الدّين عبّاسيّ من هؤلاء الأعلام الذي يحتاجون لمثل هذه الوقفات نظرا لما قدّمه لمنطقتنا من نشاطات إصلاحية كثيرة ومتنوّعة، فهو مجاهد أثناء الثّورة التّحريريّة، وبعد الاستقلال واصل عمله الإصلاحيّ في إطار التّعليم والتّأليف والفتوى وتوليه المناصب التّعليميّة والدّينيّة على حد سواء.

إشكاليّة البحث: وعلى ما ذكرنا فإنّ إشكاليّة موضوعنا تكمن في التّعريف بالشّيخ عزّ الدّين عبّاسيّ ورحلاته العلميّة التي قام بها في بداية مشواره العمليّ والعلميّ والدّور البارز الذي أثمرته تلك الرّحلات العلميّة، ما أسهم في تنشيط الحركة الثّقافيّة بمنطقة الوادي، ويندرج ضمن هذه الإشكاليّة أسئلة فرعيّة، منها: من هو الشّيخ عزّ الدّين عبّاسيّ؟ ماهيّ أهمّ رحلاته العلميّة؟ وماهي الأدوار الثّقافيّة التي أفرزتها تلك الرّحلات العلميّة بعد استقرار الشّيخ بالوادي؟

منهج البحث: لقد اتبعنا في هذا البحث المنهج الوصفيّ التّحليليّ الذي يعتمد على جمع المادّة العلميّة وتحليلها وترتيبها في مضانّها المطلوبة.

وبعد هذه المقدّمة التّعريفيّة بالموضوع نشرع الآن في تفصيل جزئياته.

2- من هو الشّيخ عزّ الدّين عبّاسيّ؟

2-1- آخر لقاء لنا بالشّيخ عزّ الدّين عبّاسيّ:

لقد عايشت الشّيخ عزّ الدّين عبّاسيّ عن قرب، وكنت معه لفترة زمنيّة معتبرة في مديريّة الشّؤون الدّينيّة والأوقاف بالوادي، وبالضّبط في المجلس العلميّ للمديريّة، وممّا لاحظناه عنه أنّه شيخ يحمل همّة وعزيمة الشّاب، أو كما يقال: شاب في ثوب شيخ، حيث لا يعرف الكلل ولا الملل ولا التّراخي ولا التّواني، مقداما معطاء شديد النّشاط والحركة، ما جعله لا يتأخر عن لقاء من لقاءات المجلس العلميّ إلّا لسبب قاهر يمنعه من ذلك، وحتى في آخر أيّامه يؤتى به يتهادى بين شخصين، أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله حتى يصعد لمكان اللّقاء في

المديريّة، فيعينونه صعودا ونزولا ورغم ذلك لا يتخلف عن الحضور.

وقد كان آخر مرّة زار فيها الشّيخ مقرّ المديريّة قبل وفاته بشهرين تقريبا، حيث لم يستطع الشّيخ إكمال اللّقاء وأراد الانصراف نظرا للتّعب الذي سبّبه له المرض مع العجز الذي صاحب تقدّمه في العمر، وكان لي شرف توصيله لبيته بسيّارتي، وفي الطّريق فضفض لي الشّيخ بالكثير من الأشياء وأفرغ ما في جعبته وما يدور بخاطره، حيث شعرت حينها أنّه يوصيني وصيّة مودّع، وكأنّ لسان حاله يقول لي أنّه آخر لقاء به، ولمّا وصلنا البيت طلبت منه أن يسلمني نسخة من فتاويه - التي سنتكلم عنها لاحقا - وقد وعدني بها من مدّة، فقلت له: يا شيخ اليوم هذه فرصة لا أذهب حتّى تعطني نسخة من كتاب الفتاوى، فقال لي طيب، انتظرني قليلا سوف آتيك بها، ودخل بيته وانتظرته برهة من الزّمن ثمّ خرج ومعه نسخة من الفتاوى فسلمني إيّاها ثمّ صافحته مودعا ورجع لبيته، وأنا رجعت أدراجي للمديريّة لإكمال اللّقاء، وبعدها اشتدّ المرض بالشيخ ثمّ كان فراقه لنا وللحياة الدّنيا.

2-2- التّعريف بالشّيخ عزّ الدّين عباسيّ:

هو الشّيخ عزّ الدّين عبّاسيّ، العلّامة الفاضل أصيل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ورجل من رجالات الدّعوة، يعرفه الخاصّ والعامّ في الوادي، وفي كامل تراب الوطن الجزائري، فهو من مجاهدي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، جمع بين العلم والفقه والأدب والشّعر، وعُرِف بالعمل والجدّ والاجتهاد والاعتزاز بالنّفس والصّرامة في الحقّ. ولد الشّيخ محمّد عزّ الدّين عبّاسيّ[1] عام 1930م بقرية الزّقم[2] بلدية حسّاني عبد الكريم ولاية الوادي، فهو ابن عائلة محافظة عرفت بالعلم والأخلاق الفاضلة، حيث قام عليه والده بالرّعاية والتّربية والتّعليم؛

1- عبّاسيّ محمّد عزّ الدّين، **تحفة السّالك إلى خير المسالك**، الوادي، مطبعة مزوار ، 2008، 1/1.

2- هي أقدم قرى ولاية الوادي، تقع وسط بلدية حساني عبد الكريم، بحيث تبعد عن مدينة الوادي من النّاحية الشّرقيّة حوالي 10كلم، كانت تسمّى قديما بمدينة اللّجّة، ثمّ سميّت الزّقم نسبة للوليّ الصّالح الزّقام عمارة محمّد العدوانيّ اللّجّيّ، المعلومة مأخوذة من الشّبكة العنكبوتيّة من الصفحة الآتيّة: الموسوعة الحرّة، حساني عبد الكريم، الرّابط: http:/ar.wikipedia.org

لأنّه كان إماماً ربّانياً وعالماً عاملاً، فقد قضى بياض نهاره وسواد ليله في خدمة بيوت الله تعالى إماماً ومعلّماً ومربّياً وداعياً إلى الله إيمانا واحتسابا[1].

وقد تلقى الشّيخ محمّد عزّ الدّين عبّاسيّ مبادئ تعليمه الأولى بمسقط رأسه الزّقم، فحفظ القرآن الكريم في سن مبكّرة على يد والده الشّيخ مسعود عبّاسيّ والشّيخ إبراهيم كلكامي، وبحكم كون الشّيخ وحيد أبيه، الذي كان له نِعمَ الأب أدبا وخلقاً وحياء وعطفا وحبّا؛ لذا كان دائما ملازما له، الأمر الذي جعل منه شخصيّة نابغة في تلقي مبادئ تعليمه الأوّلية من الفقه والأدب والبلاغة وغيرها من المبادئ بمسقط رأسه الزّقم[2]. وقد كان الشّيخ من ضمن الوفد الذي استقبل الشّيخ عبد الحميد ان باديس أثناء زيارته للوادي في شهر ديسمبر من سنة 1937م وكان عمره آنذاك سبع سنوات[3].

وأمّا والدته فهي فطّوم بنت محمّد عرشي، مرجعا وقمّة في الوفاء والالتزام بالكتاب والسّنة وهدي السّلف الصّالح، فقد كانت تعمل لدنياها كأنّها تعيش أبدا، وتعمل لآخرتها كأنّها تموت غدا، وإلى جانب قيامها بما هي معهودة عليه من الأعمال المنزليّة في الثّلاثينيات والأربعينيات -من القرن الماضي- كالمنسج والرّحى وتربية الأبناء، وقد توفيت سنة 1948م رحمها الله تعالى[4].

وقد توفّى الشّيخ محمّد عزّ الدّين عبّاسيّ، بعد أن أقعده المرض وتقدّم العمر - يوم السّبت، الأوّل من شهر فيفري سنّة 2014م عن عمر ناهز الأربعة وثمانين عاماً، ودُفن الشّيخ بالمقبرة الشّرقيّة لبلدة الزّقم بمسقط رأسه، وكانت جنازة مهيبة حضرتها السّلطات المحليّة برفقة السّيد مدير الشّؤون الدّينيّة والأوقاف الأستاذ مباركي بالخير مع إطارات المديريّة، وأعضاء المجلس العلميّ، وأئمّة الوادي،

1- عبّاسيّ، **تحفة السّالك..، مصدر سابق**، 1/ 2 – 3.

2- خديجة بالخير، **فتاوى الشّيخ عزّ الدّين عبّاسيّ في باب الأنكحة، جمعا ودراسة**، رسالة ماستر في الفقه وأصوله، جامعة الوادي، السّنة الجامعيّة: 1463هـ-1437هـ الموافق 2015م -2016م، ص. 10.

3- العيد بلّالي، كلمة مسجّلة ألقاها للشّيخ في إذاعة الوادي يوم 2015/1/29م سا: 8:50.

4- عبّاسيّ، **تحفة السّالك..**، 1/2–3.

كما حضرها أهل بلدة الزّقم وما جاورها ومحبّي الشّيخ ومن تربطهم به صلة قرابة أو رحم علم من داخل الولاية وخارجها، فقد كان محبوبا من الجميع؛ فهو إنسان عاش مع النّاس حياة بسيطة متواضعة، فكانوا يزورونه في مكتبه أو في بيته أو في المسجد، ورغم كونه كتوما وصبورا وعزيز النّفس، إلّا أنّه كان يحب المزاح كثيرا، ولا تغادر الطّرفة لسانه، الأمر الذي يدلّ على مدى حسن علاقته بالنّاس.

3- الرّحلات العلميّة للشّيخ عزّ الدّين عبّاسيّ:

نتناول هذا المطلب الثّانيّ المتعلّق بالرّحلات العلميّة للشّيخ عزّ الدّين عبّاسيّ في الفروع التّاليّة:

3-1- رحلة الشّيخ عزّ الدّين عبّاسيّ إلى تونس:

حياة الشّيخ العلميّة كانت مليئة بالمواقف، حافلة بالإنجازات العلميّة، حيث تخلّلتها الرّحلات في طلب العلم، ما جعله يتنقّل من بلدته لبلدات أخرى، فبعد حفظه للقرآن الكريم في سنّ مبكّرة، وبعد أن أخذ ما يمكن أخذه من العلم عن علماء بلده وبلدته وما حولها، وبعد أن رأى أنّ ما تهيأ له من الحصاد المعرفيّ يكفي لبلوغه -إن شاء الله - إلى مستوى أرقى[1]، خطر بباله حينها السّفر لتحقيق ذلك.

لقد فكّر الشّيخ في التّنقل من بلدته لطلب العلم، فسافر إلى تونس الشّقيقة ولم يكن معه من الزّاد والإمكانيات الماديّة ما يمكن أن يذكر ويعوّل عليه للسّفر؛ وخاصّة لطلب العلم، إلّا أنّ حماس الشّباب عند الشّيخ والرّغبة الصّادقة في طلب العلم، والعزم الرّاسخ في مواصلة طريق العلم فقد يسّر الله الأسباب وفتح الأبواب، وما هي إلّا مدّة وجيزة لا تذكر حتّى أصبح الشّيخ واحدا من طلبة الزّيتونة بعد نجاحه في مسابقة الدّخول، فوجد في جامع الزّيتونة - الجامع والجامعة - شيوخا صدقوا ما عاهدوا الله عليه من العلم والورع والتّقوى، والتّضحية في سبيل نشر العلم مع الأخلاق الفاضلة والتّواضع والتّبحر في الاختصاص، وبقي فيها حوالي

1- السابق، 1/4.

خمس أو ستّ سنوات[1] وكان معه الفقيد الدّكتور أبو القاسم سعد الله رحمه الله تعالى، بحيث نال الشّيخ عزّ الدّين من خلالها شهادة التّطويع، وعاد من الزّيتونة في حدود 1954م، وكان هذا الوقت بداية اندلاع الثّورة الجزائريّة وهو العام الذي توفي فيه والده.

2-3- رحلات الشّيخ عبّاسيّ العلميّة داخل الوطن الجزائريّ:

وبعد عودت الشّيخ عزّ الدّين عبّاسيّ من الزّيتونة انتقل مباشرة إلى الجزائر العاصمة حيث التقى الشّيخ ببعض شيوخها البارزين والمعروفين بعلمهم وعملهم ودعوتهم الإصلاحيّة، مثل: الشّيخ العربي التّبسيّ، والشّيخ العبّاسيّ بن الشّيخ الحسين[2]، والشّيخ الحفناوي هالي[3]، والشّيخ أحمد حمّاني[4]، والشّيخ إبراهيم مزهودي[5]، ولم تطل إقامته بالعاصمة حتّى انتقل إلى مدينة سيق؛ إحدى المدن القريبة من وهران مُعيّنا من جمعية العلماء المسلمين للتّعليم بمدرستها سنة 1955م.

1- أحمد طهراوي، لقاء مع الشّيخ يوم الخميس 15فيفري 2018م، بالشّؤون الدّينيّة والأوقاف بولاية الوادي، سا: 10:30، صباحا.

2- ولد عبّاس بن الشّيخ الحسين سنة 1912م في الزّاوية التي تحمل اسم جدّه، مؤسّسها الشّيخ الحسين القشّي في منتصف القرن التّاسع عشر الميلادي وفي سنة 1982م وافق على تنصيبه عميدا للمعهد الإسلاميّ وإماما لمسجد باريس الكبير، توفي في 3 ماي سنة 1989م، الشّبكة العنكبوتيّة، الصّفحة: عبّاس بن الشّيخ الحسين، الموسوعة الحرّة، الرّابط:

https://ar.wikipedia.org

3- ولد الشّيخ الحفناوي سنة: 1331هـ الموافق:1911م، ببلدة قمار بوادي سوف، نشأ وتربى الشّيخ في وسط أسرة ميسورة الحال في قمار، حيث حفظ القرآن الكريم، وتعلم أصول اللّغة العربيّة والفقه وهو لا يزال طفلا صغيرا، ثمّ انضم الشّيخ إلى جمعية العلماء المسلمين حيث عمل معلما في عدّة مدارس، وتوفي في 1جانفي 1965م. انظر: طه بوبكر، "مجلة أعلام منطقة قمار بوادي سوف"، 2011/02/24م.

4- حوله، ينظر: الشيخ حمزة فرطاس، **أحمد حماني وجهوده الإصلاحية**، مذكرة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلاميّة، جامعة الجزائر1، يوسف بن خده، سنة: 1437- 1438هـ، 2015 -2016

5- إبراهيم مزهوديّ العالم والمجاهد والدّبلوماسيّ، ولد من أبوين ريفيّين بالحمّامات بتاريخ 9 أوت سنة 1922م، حفظ نصيبا من القرآن الكريم في قريته، وانتقل إلى مدرسة تهذيب البنين والبنات بتبسّة، توفي الشّيخ بعد عصر يوم الجمعة 12 ربيع الأول 1431هـ، الموافق 26 فيفري 2010م، ينظر: قسم شخصيات وأعلام جزائرية: محطّات الشيخ المجاهد إبراهيم مزهودي، بقلم الأستاذ نوار جدواني، تاريخ 2 أوت 1429هـ.

وبهذه الرّحلات العلميّة -داخل الوطن وخارجه - استفاد الشّيخ عزّ الدّين عبّاسيّ - من شيوخه - الّذين ذكرناهم والّذين لم نذكرهم - كلّ الخير؛ حيث عرفهم وعايشهم عن قرب، وتشرّف بالأخذ عنهم، فاستفادة ممّا أفاء الله عليه من العلم منهم مباشرة وحضورا، ناهيك عن الّذين تتلمذ عليهم بواسطة كتبهم ومؤلفاتهم. وبقي مُواصلا تعلّمه وأخذه للعلم ولم يتوقف عن ذلك طيلة حياته حتّى قال عن نفسه: "إنّني أحمل هذا الشّعار الّذي قاله أحد العلماء : (من المحبرة إلى المقبرة) أي سأبقى أطلب العلم والتّعليم إلى نهاية عمري، ولكنّه لم يلبث هناك حتّى عاد إلى مسقط رأسه الزّقم، حيث عاد إليها سنة: 1957م، وكان أوّل عمل علميّ له، أن قام بفتح مدرسة تبنّتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، واشتغل بالتّدريس والتّعليم فيها، والاحتكاك من خلالها بشرائح المجتمع وطلبة العلم، وكان له إسهام كبير في هذه المدرسة إلى أن أنعم الله على الجزائر بالاستقلال سنة 1962م[1].

3-3- من كلام الشّيخ عزّالدّين عبّاسيّ عن مشايخه:

لم يخف الشّيخ عزّ الدّين عبّاسيّ مدى تأثره واستفادته من مشايخه، بدءا بوالده الّذي تعلم عن يديه في نعومة أظافره، حيث يقول عن ذلك: "وإن كانت نعمه الله عليَّ عظيمة حيث كنت من أبوين كريمين ما جديت موضع ثقة وتقدير الخاصّ والعامّ من أهل البلدة، فقد أنعم الله عليَّ كذلك بشيوخ بلغوا في العلم أرقى الدّرجات، وأسمى المقامات، سهلو لي كلّ وعر وذلّلوا كلّ صعب وكانوا لي شموسا في النّهار وبذورا في الليل، فعرفت بهم ربّي بالدّليل والبرهان والآيات المسطورة والمنظورة، بعد أن عرفته بالفطرة والإلهام، وتذوّقت بمآثرهم ومعارفهم حلاوة الإيمان فرضيت بالله ربّا وبالإسلام دينا وبمحمّد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا"[2].

وقد ذكر الشّيخ أيضا: "فببلدتي قيّض الله لي الوالد رحمه الله، فكان أبرّ بي وأحنّ عليّ وأحرص عن تنشئتي وفق ما يحبّ الله ورسوله وتعاهدني بالرّعاية

1- الحبيب قريشة: لقاء مع الشّيخ في مدرسة البيان، يوم الأحد 2018/2/4م، سا 10:15، صباحا.

2- عبّاسيّ: **تحفة السّالك**، الصفحة والجزء.

والعناية، وغمرني بمزيد فضله وإحسانه، وعليه ومنه حفظت القرآن الكريم في سن مبكّرة قبل أن أدرك سنّ الرّشد وأخذت عنه - كذلك - مبادئ في علوم التّوحيد والفقه والنّحو واللّغة وما إلى هذا، ثمّ أكملت بقية دراستي بما يسّره الله جلّ وعلا، على يد تلميذ الوالد الشّيخ العارف بالله الشّهيد إبراهيم بن سليمان كلكامي رحمه الله"[1].

4- أثر رحلات الشّيخ العلميّة في تنشيط الحركة الثّقافيّة:

في هذا المطلب الثّالث والأخير سنركز على الأثر الكبير الّذي تركته تلك الرّحلات العلميّة للشّيخ عزّ الدّين عبّاسيّ من خلال نشاطه ودوره الّذي أدّاه بولاية الوادي بعد عودته من تلك الرّحلات واستقراره بالوادي، ولذا سنتناول ذلك في الفروع الآتية:

4-2- تولّي الشّيخ عزّ الدّين عبّاسيّ الإمامة ببلدته الزّقم:

من أنشطة الشّيخ عزّ الدّين عبّاسيّ التّي أدّاها في توعيّة المجتمع السّوفيّ وخدمته في وقت دبّ فيه الجهل بسبب الاستعمار، أنّه تولّى جميع المهام بالمسجد الغربيّ بالزّقم الّذي كان يشرف عليه أبوه الشّيخ مسعود عبّاسيّ، فتولّى الشّيخ عزّ الدّين إثر وفاة والده تحفيظ القرآن الكريم بالمسجد، كما قام بمهام الإمامة والتّدريس وتعليم العلوم الإسلاميّة متطوّعا دون مقابل. ومن جهود الشّيخ عزّ الدّين عبّاسيّ في هذا الدّور أنّ الله - عزّو جلّ - فتح به في بلدته الزّقم والقرى المجاورة لها قلوباً غلفاً وآذانا صماً وأعيناً عميا، فأسهم في نشر العلم وانحسار الجهل وازدهرت حركة الإصلاح والتّوعية، وتعدّدت بذلك حلقات الدّرس ومجالس التّذكير وانخراط النّاس في هذه الصّحوة الفكريّة والعلميّة على اختلاف أطيافهم ومستوياتهم عفويا وتلقائيا لسنوات طويلة.

1- السابق.

2-4- قيام الشّيخ عزّ الدّين عبّاسيّ بدور الإفتاء والتّوجيه:

الشّيخ عزّ الدّين عبّاسيّ كان نشطا فعّالا حركيّا لذا قدّم أعمالا كثيرة، وأدّى مهاما عديدة، منها أنّه كان له ثلاثة أيّام في الأسبوع بالمسجد الكبيرة بالوادي - مسجد السّوق حاليّا- يؤدي فيها الإفتاء نظرا لخصوصيّة المكان وتوافد النّاس عليه من كلّ مكان لقضاء حوائجهم الأسبوعيّة ومعها يسألون عن أمور دينهم، وفي كلّ هذا توفيرا للجهد والوقت حتّى لا يبق النّاس في تنقل للاستفتاء، فكان الواحد يضرب عصفورين بحجر واحد، حيث يأتي السّوق فيقضي حاجته، ثمّ يسأل عن مسألته، وبعدها ينصرف لأهله.

وقد استعان الشّيخ عزّ الدّين عبّاسيّ لاستمرار هذا المجلس العلميّ التّثقيفيّ التّوعويّ، بمجموعة من مشايخ الوادي المشهود لهم، كالشّيخ مبروك الشّامسي، والشّيخ الصّادق بالي، والشّيخ أحمد تَوْبة.. وكلّهم لهم شهادات من جامع الزّيتونة، فكانوا في عهد الشّيخ عزّ الدّين عبّاسيّ – وهو يومها القائم على نظارة الشّؤون الدّينيّة والمؤسّس الأوّل لها بالوادي - يشرفون على هذه الحلقات العلميّة بالمسجد المذكور، وتسمّى دار الفتوى، حيث يجتمع فيها شيوخ وعلماء المنطقة لكي يدرسوا بعض المسائل، وبعض الحالات الّتي ترد إليهم أو تعرض عليهم من المستمعين، فإن لم يجدوا شيئا من ذلك يشرحون كتابا أو يدرسونه، فكانت تجمع هذه الدّار إلى جانب هؤلاء المشايخ مشايخ آخرين يرتادونها دوما، مثل الشّيخ إبراهيم صوالح، والشّيخ بخاري عوينات، والشّيخ عبد القادر طواهريّة وغيرهم من الأئمّة الّذين كانوا يتوافدون على هذه الدّار ليسألوا فتصدر الفتاوى ويستفيد الجميع ويفيدوا غيرهم في مناطقهم[1]، فكانت تلك الأيّام بمثابة الإشعاع العلميّ لمنطقة الوادي كلّها وما جاورها.

1- هذه المعلومات أخذناها مشافهة من هؤلاء المشايخ، وممن سمع منهم، وحضر لهم في تلك المجالس، وقد عايشناهم جميعا وجمعتنا بهم النّدوات العلميّة بنظارة الشّؤون الدّينيّة سابقا، مديريّة الشّؤون الدّنيّة والأوقاف حاليّا.

ولم يكن هذا هو المكان الوحيد للشّيخ عزّ الدّين الّذي يقوم فيه بدور الإفتاء وتوجيه النّاس وإرشادهم وتنويرهم والمساهمة في حلّ مشكلاتهم؛ بل كان المجلس العلمي مفتوحا لذلك يستقبل فيه الأسئلة المكتوبة والمباشرة، كما كان له حصّة أسبوعيّة بالإذاعة المحليّة مخصّصة لذلك، ومع كلّ ذلك فتح غرفة من بيته للشّارع وجعلها بمثابة مكتب يستقبل فيه النّاس في مختلف أوقاتهم، وفي آخر حياته فرّغ نفسه لذلك.

وقد أثمر هذا الجهد وذاك الدّور بموسوعة الفتاوي الّتي جمعها الشّيخ بنفسه ورتّبها في خمسة مجلدات سماها "تحفة السّالك إلى خير المسالك" وقد طبعتها له ولايّة الواديّ على نفقتها في عهد الواليّ مصطفى العيّاضيّ، ثمّ وزّعها الشّيخ على المساجد الّتي تؤدّى فيها صلاة الجمعة بولاية الوادي ليعمّ بها النّفع.

ففي المجلّد الأوّل تكلّم الشّيخ عن نفسه وأسرته، ثمّ بدأ في الأسئلة والأجوبة بداية من باب التّوحيد حتّى باب الزّكاة والصّدقة، أمّا المجلّد الثّانيّ فقد خصّه بباب التّكافل حتّى بلغ باب الطّلاق والعدّة، وبالنّسبة للمجلّد الثّالث فقد عالج فيه مسائل كثيرة؛ بداية من باب الرّضاع إلى غاية باب الدّعاء والذّكر، كما تناول في المجلّد الرّابع عدّة مسائل، بداية بباب قراءة القرآن حتّى باب قبول الأعمال، أمّا المجلّد الخامس والأخير فقد تناول فيه معالجة المسائل المتعلّقة بباب التّهاني حتّى باب الهبة. ولا يغيب على أيّ مطّلع على هذه الفتاوى أن يجدها - فوق ما ذكرنا - قد شملت الكثير من النّصائح والتّوجيهات والارشادات، كما حوت الكثير من الكلمات الطيّبة النّافعة المفيدة في طيّات الإجابات الفقهيّة، وقد كساها الشّيخ محمّد عزّ الدّين عبّاسيّ بأسلوبه الأدبيّ ثوبا من الفصاحة والبلاغة والبيان، وضمّنها الكثير من الشّعر، الشّيء الّذي زانها وزاد من رونقها.

4-4- نشاط الشّيخ الإذاعيّ بالإذاعة الجهوية بالوادي:

وهكذا لم يتوقّف عطاء ودور الشّيخ عزّ الدّين عبّاسيّ عمّا ذكرنا؛ بل تواصل عطاء الشّيخ، في مجالات عديدة أخرى، كالتّعليم القرآنيّ، والدّينيّ، والفقهيّ،

والاجتماعيّ.. حتّى بعد أن أُحيل على التّقاعد من أواخر سنة: 1991م[1]، فهو القائم بالإمامة في مسجده، ورئيس المجلس العلميّ بمديريّة الشّؤون الدّينيّة والأوقاف لولاية الوادي.. .

وفي خضم كلّ ذلك لا يمكن أن نغفل عن نشاط الشّيخ الإذاعيّ بالإذاعة الجهوية بالوادي، حيث ساهم فيها بنشاطه التّوعويّ والتّثقيفيّ منذ افتتاحها في: 21 من شهر نوفمبر سنة 1996م، وإلى أن وافته المنيّة سنة 2014م، ولا يزال صوته يرفع مع الأذان بالإذاعة وإلى اليوم، ويتبين لك من خلاله أنّه تعلوه بحّة التّعب وبسبب الكبر والعجز وهو في أواخر أيّام حياته، ورغم ذلك لم يتوقّف عن هذا النّشاط حتّى آخر رمق من حياته.

وليس هذا هو النّشاط الإذاعي الوحيد الّذي قام به الشّيخ، بل له نشاطات إذاعيّة أخرى، فقد كان للشّيخ عزّ الدّين عبّاسيّ – رحمه الله تعالى -نشاطات حتّى في غير إذاعة الوادي، فقد بدأ العمل الإذاعيّ في قطاع الإعلام من إذاعة توقّرت في السّتّينيات من القرن الماضي، ثمّ في التّلفزة الوطنيّة الجزائريّة ثمّ، كان خاتمة نشاطه الإعلاميّ في إذاعة الجزائر من الوادي لمدّة تزيد عن سبع عشرة سنة، وبالإضافة إلى برامجه الّتي كان يقدمها بنفسه فقد كان يشارك في البرامج والنّدوات الأخرى كضيف.

يقول الإعلاميّ بإذاعة الوادي الأستاذ زهير جواد: "كنت أشتغل في الإنتاج كمسجل برامج ومنتج، وكان وقت تسجيل الشّيخ لحصّته يوم الأربعاء من العاشرة صباحا إلى منتصف النّهار، وكان ذلك الوقت متزامنا مع وقت عملي، فكنت أسجل له، وأقوم بالمونتاج والميكساج، وكنت أختار بعض الأناشيد لتتخلّل الحصّة، فكانت عند الشّيخ نظرة في اختيار بعض الابتهالات وانتقاء ما يكون مناسبا مع الأشياء التي يقدّمها، إضافة إلى أنّ الشّيخ لم يكن يؤمن بالعمل الارتجاليّ، فقد كان

1- مديريّة الشّؤون الدّينيّة، من وثائق سلمت لنا من مديريّة الشّؤون الدّينيّة والأوقاف بالوادي، يوم 12ديسمبر 2017، على الساعة 09:00.

كلّما يأتي إلى الإذاعة يحُضِر معه أوراقه الّتي كان قد أعدّها في بيته وأجاب على كلّ سؤال فيها، وقد كان الشّيخ -رحمه الله تعالى - كلّما جاء يجد رسائل وردت للإذاعة، ولكن لا يقوم بقراءتها في ذلك اليوم، يقرأ فقط ما أحضره معه وحضّره، ثمّ يأخذ تلك الرّسائل معه إلى بيته، ويعطيها حقّها ثمّ يُجِيب عليها في حصّة أخرى"[1].

ومن أهمّ البرامج الّتي نشّطها وقدّمها الشّيخ عزّ الدّين عبّاسيّ؛ برنامج "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون"، ثمّ برنامج "في رحاب الدين" الذي ختم به حياته في إذاعة الوادي.

4-5- إلقاء الشّيخ للمحاضرات والدّروس والنّدوات:

ومن النّشاطات الّتي كان يقوم بها الشّيخ عزّ الدّين عبّاسيّ رحمه الله تعالى، المحاضرات والدّروس والنّدوات العلميّة المختلفة في المناسبات وغيرها، كمناسبة يوم العلم وعاشوراء والعام الهجريّ ومنها ندوات الحجّ والعمرة للحجّاج والمعتمرين، وقد حضرت معه في مواسم عدّة وهو يوجه الحجّاج القاصدين بيت الله الحرام في النّدوة الجامعة، فتكون الكلمة للشّيخ بصفته رئيس المجلس العلميّ ولمكانته العلميّة، وكذلك المناسبات الوطنيّة المختلفة، حيث كان يلقي المحاضرات والنّدوات في ذلك، كما كان يشارك الجهات المسؤولة بحكم صفته في تلك المناسبات، كما كان يلقي الكلمات في الجنائز والزّيجات، وغيرها،

4-6- ترأّس الشّيخ للمجلس العلميّ للشّؤون الدّينيّة بالوادي:

كما سبق وأن ذكرنا أنّه في سنة 1991م وبإلحاح منه، طلب أن يحال إلى التّقاعد لا ليلقي عصا التّرحال، وإنّما ليواصل مسيرته العلميّة فيّنصّب وبأمر من وزير الشّؤون الدّينيّة والأوقاف، على رأس المجلس العلميّ للشّؤون الدّينيّة بالوادي ويتولّى رأس الإفتاء بالولاية.

فقد ترأس الشّيخ عزّ الدّين عبّاسيّ المجلس العلميّ بالمديريّة طيلة المدّة الّتي

1- لقاء مع الأستاذ زهير عبد الجواد، في إذاعة الوادي، يوم 2018/04/16، على الساعة 9:30 صباحا.

قضاها بعد التّقاعد حتّى وافته المنيّة، سنة 2014، خلالها كان يقوم بإدارة المجلس العلميّ مع بقيّة أعضاء المجلس، فكان يترأس الجلسات الإداريّة للمجلس، وكان يذهب في الرّحلات والمهام العلميّة والإداريّة للمجلس العلميّ، كما يذهب للوزارة والولايات الأخرى ويشارك في الملتقيات وغيرها ممثلا عن المجلس العلميّ، كما كان يشرف على الفتوى داخل المجلس، ويرد عل الأسئلة والاستفسارات الّتي تأتي للمجلس، وكان مقابل هذا يحضر للمناسبات داخل الولاية مثل المناسبات الدينية والوطنية أو استقبال الوفود الّتي تحلّ بالولاية، كما كان الشّيخ في إدارته للمجلس يردّ على كلّ ما يأتي من الوزارة والمفتشيّة العامّة من استفسارات أو استبيانات أو غيرها من الأمور الإداريّة المتعلّقة بالمجلس.

ولم يتوقّف الحدّ عند إدارته كرئيس للمجلس العلميّ بأن يسيّر المجلس، بل فتح بيته لاستقبال النّاس للفتوى والاستفسارات بحكم أنّه رئيس المجلس العلميّ لمديريّة الشّؤون الدّينيّة، فقد فتح بابا خاصا من غرفة في بيته للطّريق حتّى يأتيه النّاس لقضاء حاجاتهم دون إحراج أو أيّ ثقل على أهل بيته، وكان النّاس وخاصّة في المساء يقصدونه لهذا المكان ويستمر به الحال أحيانا حتّى اللّيل ما يخرجه إلى الذّهاب للصّلاة بالمسجد، وقد كان بيته قريبا من المسجد، وجلّ وقت فراغه يستغله بهذا المكان يكتب ويحرّر المسائل ويحضّر الدّروس واللّقاءات ويستقبل النّاس.

وبهذا الدّور الكبير والجهد المتواضع قُدّمت للشّيخ رحمه الله عدّة شهادات وتكريمات لما قدّمه لقطاع الشّؤون الدّينيّة وللدّين والوطن، فكان الشّيخ جديرا بكلّ ما قدّم له من تتويجات، فالشّيخ كان مدرسة في كلّ العلوم؛ وخاصّة الدّينيّة، فهو العلّامة المتبصر بواقع الأمّة، صال وجال بعلمه وعمله في ربوع الوطن ينثر آثاره الطّيبة ويزرع بذور الخير والوفاء[1].

1- محند أو إدير مشنان، مقتطف من كلمة، إطار في وزارة الشّؤون الدّينيّة.

5. الخاتمة

وفي نهاية البحث نسجّل أهمّ النتائج المتوصّل لها، والمتمثّلة في:

- يعتبر الشّيخ محمّد عزّ الدّين عبّاسيّ من أعلام منطقة الوادي الّذين كان لهم الدّور البارز في تنشيط الحركة العلميّة والبعث الثّقافي والاشعاع المعرفيّ من قبل الاستقلال وإلى أيّام وفاته.

- الشّيخ محمّد عزّ الدّين عبّاسيّ كغيره من أعلام الوادي كانت له رحلات علميّة لأخذ العلم والتّزود المعرفيّ، وقد حصل له ذلك، حيث نال شهادة التّطوّع من جامع الزّيتونة، وكان من المتفوّقين وقد أكرمه الله بشرف التّتلمذ على خيرة العلماء هناك.

- كما أنّ رحلات الشّيخ لم تقتصر على البلد الشّقيق تونس، بل كانت له رحلات أخرى داخل الوطن الجزائريّ، حيث التقى بمجموعة من الأعلام المشهود لهم بالعلم من علماء الجزائر ومن بينهم علماء جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين.

- الرّحلات العلميّة للشّيخ عزّ الدّين عبّاسيّ كان لها الدّور الكبير في تكوين الشّيخ العلميّ، ما أسهم في جهده المتواضع في حركة التّوعيّة، والنّشاط الثّقافيّ بالوادي، الّذي تنوّع وتعدّد وترك آثاره الحيّة والطّيبة في أبناء الوادي.

6. قائمة المصادروالمراجع:

* **القرآن الكريم**.

1- الكتب والوثائف:

- عبّاسيّ محمّد عزّ الدّين، **تحفة السّالك إلى خير المسالك**، مطبعة مزوار، الوادي، 2008م.

- مديريّة الشّؤون الدّينيّة والأوقاف، وثائق سُلّمت لنا من مديريّة الشّؤون الدّينيّة والأوقاف بالوادي، يوم 12ديسمبر 2017، على الساعة 09:00.

- نويهض عادل، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر**، مؤسّسة نويهض للثّقافة والتّأليف والتّرجمة، بيروت، ط2، سنة 1980م.

2- اللقاءات الخاصّة:

- **لقاء مع طهراوي أحمد**، يوم الخميس 15فيفري 2018م، بالشّؤون الدّينيّة والأوقاف بولاية الوادي، سا: 10:30، صباحا.

- ڤريشة الحبيب، **لقاء مع الشيخ عزالدين عبّاسي** بمدرسة البيان يوم الأحد 2018/02/04/ على الساعة 10:15.

- عبد الجواد زهير، **لقاء في إذاعة الوادي**، يوم 2018/04/16 على الساعة 9:30 صباحا.

- بوبكر طه، مجلة أعلام منطقة قمار بوادي سوف، 2011/02/24م، سا: 5:36.

- جدوانيّ نوار، قسم شخصيات وأعلام جزائرية: محطّات الشيخ المجاهد إبراهيم مزهوديّ، تاريخ 2 أوت 1429هـ.

3- الكلمات الإذاعيّة:

- بلّالي العيد، كلمة مسجّلة ألقاها في إذاعة الوادي يوم 2015/1/29م.

- عباسي عز الدين، درس بصوت الشيخ، يوم 02/فيفري/2014.

- (ــــــ،ــــــ)، كلمة مسجّلة إذاعيّا بصوت الشّيخ بمناسبة عيد الفطر، يوم 2014/02/06.

- مشنان محند أو إدير، مقتطف من كلمة إذاعيّة للأستاذ محند أو إدير مشنان، إطار في وزارة الشّؤون الدّينيّة.

5- المذكرات والرسائل الجامعيّة:

- بالخير خديجة، **فتاوى الشّيخ عزّ الدّين عبّاسيّ في باب الأنكحة، جمعا ودراسة**، مذكرة ماستر في الفقه وأصوله، جامعة الوادي، السّنة الجامعيّة: 1463هـ–1437هـ الموافق 2015م-2016م.

- فرطاس حمزة، **أحمد حماني وجهوده الإصلاحية**، مذكرة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلاميّة، جامعة الجزائر1، يوسف بن خده، سنة، 1437-1438هـ/2015-2016م.

أثر زيارة العلاّمة محمد الخِضر حسين إلى وادي سوف
في الحياة العلمية والثقافية

L'impact de la visite de l'érudit Mohammed Khidr Hussein à Oued Souf sur la vie scientifique et culturelle.

د. أحمد غمام عمارة

مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية

كلية العلوم الإسلامية -جامعة الوادي (الجزائر)

ghemamamara_ahmed@univ_eloued.dz



ملخص:

يتطرق هذا المقال إلى أثر الرّحلات العلميّة التي قام بها العلاّمة محمد الخضر حسين، والتي كان من ضمنها زيارته إلى وادي سوف، وما تركته من أثر في الحياة العلمية والثقافية لسكان المنطقة.

وانطلق البحث من إشكاليّة مفادها التّعريف بالشّيخ محمد الخضر حسين ورحلاته العلميّة والدور الذي أسهم به الشّيخ في تنشيط الحركة الثّقافيّة بمنطقة وادي سوف. وقد اشتمل الموضوع على مبحثين؛ كان الأوّل للتّعريف بالشّيخ محمد الخضر حسين ورحلاته، وأهمّ أنشطته، وفصّل المبحث الثاني في زيارة العلاّمة محمد الخضر حسين إلى حاضرة "وادي سوف".

وخرجت الدراسة بنتائج منها؛ أنّ الرّحلات العلميّة للشّيخ محمد الخضر حسين لها الدّور الكبير في تكوين شخصية الشيخ، والتي جعلته يسهم بجهوده المباركة في النّشاط الثّقافيّ في حاضرة وادي سوف الجزائرية، وتوصي الدراسة، بالاعتناء بالإرث الثقافي الذي تركه العلاّمة الجزائري محمد الخضر حسين رحمه الله.

الكلمات المفتاحية: محمد الخضر حسين؛ الرّحلات؛ العلميّة؛ الثّقافيّة؛ الوادي.

***Abstract*:**

This article discusses the impact of the scientific journeys undertaken by the scholar Mohammed Al-Khadr Hussein, including his visit to the Souf Valley, and the effect those journeys had on the scientific and cultural life of the region's inhabitants.

The research started from a question about introducing Sheikh Mohammed Al-Khadr Hussein, his scientific travels, and the role he played in revitalizing the cultural movement in the Souf Valley area. The topic included two main sections: the first introduced Sheikh Mohammed Al-Khadr Hussein and his travels, detailing his biography and key activities, while the second section elaborated on his visit to the town of Souf.

The study concluded that Sheikh Mohammed Al-Khadr Hussein's scientific journeys played a significant role in shaping his personality, enabling him to contribute positively to the cultural activities in the Algerian Oued Souf.

The study recommended taking care of the cultural legacy left by the Algerian scholar Mohammed Al-Khadr Hussein, may he rest in peace.

Keywords: *Mohammed Khidr Hussein, Trips, scientific, cultural, EL-Oued.*

1- مقدمة

عانى العالم الإسلامي في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، من بطش الاحتلال، وأهوال الفقر، والجهل والمرض، فما من شدة إلا وبعدها رخاء، وما من عسر إلا ويقارنه يسر، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**﴾ [الشرح: 06]، فقد منّ الله تعالى على المسلمين بنماذج مشرّفة من علماء ضربوا المثل الأعلى في الفضل، والعلم، والجهاد، والدفاع عن الإسلام، ومبادئه، وتصدوا لكل من يحاول المساس بهذا الدين العظيم، وبمعتنقيه، وقطعوا المسافات الطويلة لتعليمهم ورفع الغبن عنهم، فكانوا يقومون برحلات علمية لتنوير عقول المسلمين وتزويدهم بالقدر الكافي من المعرفة، فكانت الرّحلات العلميّة من أهمّ المصادر التي يُعتمد عليها في التحصيل العلمي، والتّزود المعرفي، والتّنوير الثقافي، وآية ذلك أن الناظر في تراجم العلماء يجد أن الرّحلات العلميّة شكلت جزءا هاما من سيرتهم، وكانت السبب المباشر في بلوغهم المراتب العليّة، تحصيلا أو تعليما.

ولعلّ من هؤلاء العلماء الأعلام الشيخ: محمد الخضر حسين الجزائري

التونسي المصري (1875-1958م)، الذي تبوأ مكانة مرموقة ذاع صيتها في الإصلاح، ونشر علوم الدين والفقه، وهو من أبرز العلماء المسلمين صدعا بالحق، ودفاعا عن أصول الدين والشريعة الإسلامية، فضلا عن إرثه العلمي الوفير، فطمح إلى التخلص من رِبقة التبعية والاستعمار، والدخول في فلك الاستقلال، والتقدم، والمدنية، والالتحاق بركب العالم المتحضّر.

فمن باب الاعتراف بالجميل لهذا العلاّمة المفضال، وددت الإسهام في هذا اليوم الدّراسي بذكر نبذة من سيرة هذا العلم الجزائري الأصل، ووسمت مداخلتي بعنوان: **أثر زيارة العلاّمة محمد الخضر حسين إلى وادي سوف في الحياة العلمية والثقافية**.

أهميّة الموضوع: وتكمن أهميّة الموضوع في تبيان دور الرحلات العلمية التي مارستها الشخصيات العلمية التي تشرّفت منطقتنا بزيارتهم، والتّلقي عنهم، والنهل من معينهم العلمي الغزير، وإبراز دورهم الذي قاموا به في بعث الروح العلمية في أوساط مجتمعنا، والذين منهم العلاّمة محمّد الخضر حسين الذي أودّ التّعريف به وإبراز بعض الفوائد العلمية التي أثمرتها زيارته لحاضرة "سُوف".

دو افع اختيار الموضوع: ومن أهمها التّعرف على العلماء الأعلام الجزائريين المغمورين نسبيا، والذين أفادت منهم منطقتنا وادي سوف قصد إحياء تراثهم ومآثرهم، وتوريث ذلك للأجيال. والعلاّمة محمد الخضر حسين من هؤلاء الأعلام الذي يستحقون مثل هذه الوقفات نظرا لما قدّمه لمنطقتنا من نشاطات علمية متنوّعة.

إشكاليّة الموضوع: وعلى ضوء ما ذكرنا تكمن إشكاليّة البحث في التّعريف بالعلاّمة محمد الخضر حسين ورحلاته العلميّة التي قام بها في مشواره العلميّ، والدّور البارز الذي أثمرته تلك الرّحلة العلميّة، وبيان ما أسهمت به في تنشيط الحركة الثّقافيّة بمنطقة الوادي، ويمكن صوغ الإشكالية على النحو الآتي: من هو العلاّمة محمد الخضر حسين؟ ماهيّ أهمّ رحلاته العلميّة؟ وهل له إسهامات علمية

وثقافية في حاضرة وادي سوف؟

منهج البحث: واعتمدت في هذا البحث المنهج الوصفيّ التّحليليّ الاستقرائي الذي يعتمد على جمع المادّة العلميّة، وتحليلها، وترتيبها من مصادرها، ومظانّها.

خطة الدراسة: عالجت هذه الورقة البحثية جانبا من حياة الشيخ العلامة محمد الخضر حسين في مقدمة، ومبحثين؛ تطرق الأول إلى ترجمته، وأهمّ أنشطته. وفصّل المبحث الثاني في زيارة العلاّمة محمد الخضر حسين إلى حاضرة "وادي سوف"؛ وخاتمة تضمنت أهم النتائج.

2- ترجمة العلاّمة محمد الخضر حسين، وأهمّ أنشطته:

2-1- اسمه ومولده ونشأته:

هو "محمد الأخضر" بن الحسين بن علي بن عمر الحسيني التونسي[1]، أبدلت كلمة الأخضر بـ: "الخِضْر" -بكسر الخاء وسكون الضاد- عوضا عن اسمه الأصلي "محمد الأخضر" منذ طفولته، ولما استقر في المشرق حذفت "ابن" من اسمه على طريقة المشارقة في التسمية، حتى اشتهر في الأوساط العلمية "محمد الخِضْر حسين" [2].

ولد الإمام الأكبر فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله في 16 أغسطس 1876م؛ الموافق 26 رجب 1293هـ بمدينة "نفطة التونسية"[3] المتاخمة

1- جيلالي بن ديمة، **تفسير محمد الخضر حسين لآي القرآن وملامح الإصلاح فيه**، رسالة ماجستير تخصص: التفسير بين القديم والحديث، جامعة تلمسان، 2013م-2014م، ص. 2؛ يوسف وغليسي، "رسائل العلاّمة محمد الخضر حسين، قراءة في التواصل اللغوي ووظائفه"، **مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق**، مج. 84، 991/4.

2- محمد مواعدة، **محمد الخضر حسين، حياته وآثاره، (1873م-1958م)**، تح. المنجي السملي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974م، ص. 21.

3- علي رضا الحسيني، **الإمام محمد الخضر حسين، بأقلام نخبة من أهل الفكر**، دار النوادر، دمشق-بيروت، 2010م، ص، 16.

للحدود الجزائرية، والتي كان يطلق عليها "الكوفة الصغرى"[1]. فالشيخ محمد الخِضْر حسين نفطوي المولد، تونسي المنبت، لكن أصول أسرته جزائرية؛ فأبوه الحسين من عائلة "العمري" من قرية "طولقة" بمدينة "بسكرة"، وهي واحة من واحات الجنوب الجزائري[2]، وأمه السيدة الصالحة حليمة السعدية التونسية، يرجع أصلها إلى حاضرة "وادي سوف" بالجزائر، ولدت في تونس سنة: 1270هـ، وتوفيت بدمشق سنة: 1335هـ[3]. وقد رثاها ابنها الشيخ محمد الخضر بقصيدة عنوانها "بكاء على قبر"، وتقع في ثلاثة وعشرين بيتا، ومما جاء فيها:

قطّب الدهر فأبديت ابتساما وانتضى الخطب فما قلت سلاما

ودريْنا منكِ أن الله لا يخذل العبد إذا العبد استقــــــاما

ودرينا كيف لا نعــــــنوا لمن حارب الحق وإن سلّ الحســـاما

ولا غرابة؛ فوالدة الشيخ محمد الخضر تنتمي إلى أسرة فاضلة مشهورة بالعلم، والتقوى، والصلاح، فهي كريمة الشيخ "مصطفى بن عزوز"، من أهل العلم والفضل، استجاب الله دعاءها، وتحقّقت أمنيتها حينما تفاءلت لابنها أن يكون عالما شيخا للأزهر، منذ كانت تهدهده في مهده، قائلة: "تكبر يا أخضر، وتكونْ شيخ الأزهر"[4]، وكان له ذلك، فقد ولي الأزهر في العصر الحديث شيوخ كثيرون كانوا ملء السمع والبصر، لكن؛ قليلاً منهم كان مثل الشيخ محمد الخضر حسين علمًا، وعملاً وحرصًا على المسلمين، هذا ولم يَلِ الأزهر غير مصري في العصر الحديث إلا الشيخ محمد الخضر حسين الجزائري الأصل.

1- أبو عبيد عبد العزيز بن محمد البكري، **المسالك والممالك**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992م، 743/2.

2- محمد مواعدة، **مرجع سابق**، ص ص. 13-14.

3- محمد إبراهيم الحمد، **الشيخ محمد الخضر حسين، سيرته ومؤلفاته**، دار ابن خزيمة، العربية السعودية، الرياض، 1435هـ-2014م، ص. 31.

4- محمد الجوادي، **محمد الخضر حسين وفقه السياسة في الإسلام**، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2014م، ص. 15.

وأبو جده لأمه العالم الصالح "محمد بن عزوز"، وخاله السيد "حمد المكي بن عزوز" من كبار العلماء المصلحين، وهو الذي تأثر به الشيخ محمد الخضر حسين تأثرا كبيرا، وكان موضع الإجلال والتقدير من رجال الدولة العثمانية، وقضى الشطر الأخير من حياته في "الآستانة"[1].

2-2- نشأته وتدرّجه العلمي:

نشأ الشيخ "محمد الخضر حسين" في بلدته نفطة -الكوفة الصغرى- حيث كان للأدب المنظوم والمنثور في هذه البلدة نفحات تهبّ في مجالس علمائها، وشبّ وتربى في كنف عائلة الدين، والعلم، والأدب، والثقافة، حفظ الشيخ "محمد الخضر" القرآن الكريم على يد مؤدبه الخاص الشيخ عبد الحفيظ اللموشي، ودرس شيئا من العلوم الدينية واللغوية على عدد من العلماء، وعلى رأسهم خاله محمد المكي بن عزوز[2].

ولما بلغ الشيخ سن الثالثة عشر وهذا في عام: 1889، توجّه إلى تونس العاصمة مع أسرته، ودرس في جامع الزيتونة على خاله محمد المكي بن عزوز، الذي كان له شهرة كبيرة بالجامع، ويدرس فيه مجانًا، وفتح له أبواب الشيوخ والعلماء الذين أعجبوا بحفظه، وذكائه، وأبهرهم نبوغه، ونجابته[3]، وحاز شرف التتلمذ على يد مشايخ آخرين؛ أبرزهم الشيخ سالم بوحاجب الذي كان من أعمدة الإصلاح في تونس، درس على يديه صحيح البخاري[4].

3-2- تخرّجه ونشاطاته العلمية:

بعد تخرَّج محمد الخضر حسين من الزيتونة بخمس سنوات سنة 1903م،

1- أحمد عبد العزيز أبو عامر، "الشيخ محمد الخضر حسين"، **مجلة البيان**، ع. 3، المنتدى الإسلامي، الإصدار الأول، ربيع الآخر، 1407هـ، ديسمبر 1986م، ص. 73؛ محمد إبراهيم الحمد، **مرجع سابق**، ص. 32.

2- **نفسه**، ص. 37.

3- محمد مواعدة، مرجع سابق، ص. 25؛ محمد إبراهيم الحمد، **مرجع سابق**، ص.38.

4- **المصدرنفسه، الموضع نفسه.**

ارتحل للجزائر وزار العاصمة، وحضر الدروس التي كانت تلقى في معاهد العلم فيها؛ حيث شارك في عدد من هذه المجالس، وتكررت زيارته للجزائر في العام التالي، ومنها انتقل إلى العمل في الصحافة، لما أدركه من قدرتها على النهوض بالمجتمعات، ولما كان الشيخ محمد الخضر غزير العلم، واسع الأفق، فصيح العبارة، مُلمّا بمبادئ العلوم الشرعية، محبًّا للإصلاح؛ أنشأ مجلة "السعادة العظمى"[1] سنة: 1321هـ – 1902م، لتوقظ الغافلين من أبناء أمته، وتفضح أساليب الاستعمار، وترشد الناس إلى مبادئ الإسلام وشرائعه، وكانت أول مجلة عربية أدبية علمية في شمال إفريقيا.

وفي سنة 1905م تولى شيخنا منصب القضاء في بلدة بنزرت، ولم يكن يريده؛ لكن الشيخ محمد الطاهر بن عاشور أقنعه بالقبول، ومع ذلك بقي أشهرا قليلة ثم استقال، وعاد إلى التدريس في جامع الزيتونة، والقيام على خزانة كتبه، والتدريس بمدرسة الصادقية، وكانت الثانوية الوحيدة في تونس، وقام بنشاط واسع في إلقاء المحاضرات التي تستنهض الهمم، وتنير العقول، وتثير الوجدان، وأحدثت هذه المحاضرات صدى واسعا في المجتمع التونسي[2].

2-4- آثاره العلمية:

توفي الشيخ محمد الخِضْر حسين -رحمه الله تعالى- في رجب مضر سنة: 1377هـ-1958م، عن عمر ناهز الأربع والثمانين سنة، ودفن في القاهرة في مقبرة أصدقائه؛ آل تيمور الذي أوصى أن يدفن بجوارهم. بعد عطاء علمي كبير أثرى به المكتبة الإسلامية، والعلمية، والأدبية، والثقافية، ومن أبرز مؤلفاته:

- حياة اللغة العربية.
- الخيال في الشعر العربيّ.

1- محمد الجوادي، **مرجع سابق**، ص. 71.

2- محمد مواعدة، مرجع سابق، ص. 47؛ محمد الشريف موسى، **شيخ الأزهر محمد الخضر حسين**، الموقع الإلكتروني: https://islamstory.com/ar/artical.

- مناهج الشرف.
- الدعوة إلى الإصلاح.
- طائفة القاديانية.
- مدارك الشريعة الإسلامية.
- الحرية في الإسلام -محاضرة-.
- نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم.
- نقض كتاب في الشعر الجاهلي.
- خواطر الحياة -ديوان شعره-.
- بلاغة القرآن.
- محمد رسول الله.
- تونس وجامع الزيتونة[1].

3- زيارة العلاّمة محمد الخضر حسين إلى حاضرة الوادي:

3-1- منزلة الشيخ محمد الخضر حسين العلمية:

إضافة إلى الإرث العلمي الوافر الذي خلّفه مترجمنا، فقد تمتع العلاّمة محمد الخضر حسين بجملة من الصفات العلمية جعلت زيارته حدثا ذا بال، وأهمية كبرى، ويحسن بنا في هذا المقام أن نسوق جملة من الشهادات الحيّة التي تثبت للرجل المكانة اللائقة به:

قال فيه العلامة اللغوي محمد علي النجّار بقوله: "إن الشيخ اجتمع فيه من الفضائل ما لم يجتمع في غيره إلا في النُّدْرَى، فقد كان عالما ضليعا بأحوال المجتمع ومراميه، لا يشذّ عنه مقاصد الناس ومعاقد شؤونهم، حفيظا على العروبة والدين، يردّ ما يوجَّه إليهما، وما يصدر من الأفكار منابذًا لهما، قوي الحجة، حسن

1- ترجمة المؤلف بقلمه وبخطه؛ **جريدة الفتح**، 17 ذي القعدة 1350؛ **جريدة الأهرام** 21-9-1952م، ثم 3-2-1958م؛ خير الدين الزركلي الدمشقي، **الأعلام**، دار العلم للملايين، ط. 15، 2002م، 6/113-115؛ عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 9/279.

الجدال، عف اللسان والقلم"[1]. وقال فيه العلامة عبد المجيد اللبان -رئيس لجنة امتحان شهادة العالمية بالأزهر- يوم تقدم إليها للاختبار: هذا بحر لا ساحل له، فكيف نقف معه في حِجاج[2]. وقال عنه العلاَّمة محمد الطاهر بن عاشور: إنه من أفذاذ علماء الإسلام، وقد كان قليل النظير في مصر[3].

إضافة إلى كون العلاّمة محمد الخضر حسين الجزائري التونسي المصري آية في الجرأة والشجاعة، يقول الحق ولا يخشى في الله لومة لائم؛ قاوم الفرنسيين في تونس، وأخذ يطوف شتى أصقاع العالم الإسلامي والأوروبي مدافعاً عن الإسلام، ومقاوماً أعداءه في كل مكان.

3-2- ولع العلاّمة محمد الخضر حسين بالرّحلات:

مترجمنا الإمام محمد الخضر حسين له شغف بالرحَلات العلمية، وكتب مرغّبا فيها مقالاتٍ ماتعة، داعيا أهل العلم ورجال الفكر للتنقل والارتحال في أقطار العالم الإسلامي؛ لما فيها من التعارف والتآلف بين المسلمين، والاطلاع على أحوالهم، وتبادل الرأي، ربّما كان مقتفيا أثر سلفه العلامة ابن خلدون الذي يقول في شأنها: "إن الرحلة في طلب العلم ولقاء الأساتذة، مزيد كمال من التعلم"[4]. ولعل أبرز هذه المقالات: "أثر الرحلة في الحياة العلمية والأدبية".

والشيخ ينطلق في تحبيبه الناس للرحلات العلمية من وجهة نظر الإسلام في الرحلة، وفوائد الرحلة، وأثرها في حياة الراحل، وماذا يستفيد قوم الرجل من رحلته؟ وماذا تستفيد البلد ممن يرحلون إليها؟ وأثر الرحلة في تنمية العلوم، وثراء

1- صلاح حسن رشيد، "العلاّمة محمد الخضر حسين ..المجاهد بالقلم واللسان"، **مجلة البيان**، ع. 338، شوال1436هـ، جويلية-أوت 2015م، الموقع الإلكتروني:

https://www.albayan.co.uk/MGZarticle2.aspx?id=4476

2- **المرجع نفسه**، **الموضع نفسه**.

3- صلاح حسن رشيد، **مرجع سابق**.

4- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**، تح. عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، سورية، 1425هـ-2004م، 358/2.

الأدب، وتعارف الشعوب، وآداب الرحلة؛ منطلقا مما ينسب إلى الإمام الشافعي[1]:

تغَرَّب عَنِ الأَوطانِ في طَلَبِ العُلا   وَسافِر فَفي الأَسفارِ خَمسُ فَوائِدِ
تفرُّجُ هَمّ وَاِكتِسابُ مَعيشَـــــة   وعِلمٌ وَآدابٌ وَصُحبَةُ مَاجــــــدِ

وعلاّمتنا لم يكتف بالحديث عنها خطابة، أو كتابة، بل بادر للقيام بها، وسعى إلى ممارستها، فقد شدّ عصا الترحال كثيرا، لا سيما في مقتبل عمره، وقد آتاه الله تعالى قوة، وقدرة على التحمّل، والصبر على المشاق، ومن أهم رحلاته التي دوَّنها في مذكراته، ونشرها في تآليفه:

- "الرحلة الجزائرية" الثانية عام 1322هـ -1904م.

- "خلاصة الرحلة الشرقية" إلى بلدان المشرق العربي عام 1330هـ -1912م. وزار خلالها: مالطة، والإسكندرية، والقاهرة، وبورسعيد، وحيفا، ويافا، ودمشق، وبيروت، وإستنبول.

- "حديث عن رحلتي إلى دمشق" سنة 1356هـ -1937م.

- "رحلتي إلى سورية ولبنان" سنة 1363هـ.

- "مشاهد برلين" سنة 1918م.

بالإضافة إلى الرحلات والتنقلات إلى ليبيا وطرابلس عام 1317هـ -1889م، والرحلة الأولى إلى الجزائر عام 1321هـ -1903م. ورحلته إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، وزياراته إلى ألبانيا وبعض بلاد البلقان، وتكراره لهذه الأسفار خدمةً للإسلام[2].

3-3- التقاء العلاّمة الخضر حسين بسكان سوف:

وقد سعدت حاضرة "سوف" بزيارة العلاّمة محمد الخضر لها، ولما عزم الشيخ

1- أحمد قبش بن محمد نجيب، **مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي**، 48/8.

2- ينظر: في تفصيل رحلات الشيخ محمد الخضر: محمد مواعدة، **مرجع سابق**، ص.41 -64؛ **رحلات جزائرية**، صالح الجابري، دار الغرب الإسلامي، 2001م. ص: 50-148.

على زيارة مدينة الوادي عام 1904م، راسل المراقب المدني يطلب منه الرخصة، فبعث هذا الأخير إلى الإقامة العامة الفرنسية بتونس للنظر في الطلب المقدم، والاطلاع على موقف السلطات الفرنسية في الجزائر، فلم يبدوا اعتراضا على الزيارة[1].

وهكذا جاء الشيخ محمد الخضر عام 1905م إلى الوادي، واتصل بأعيانها وعلمائها مثل: قائد عرش الأعشاش محمد العيد بن موسى، والعالم الشهير إبراهيم بن عامر، واجتمع عليه طلبتها، وألقى عليهم دروسا في التفسير، وختم لهم منظومة "غرامي صحيح في مصطلح الحديث"[2].

3-4- تجاوب الحضورمع الشيخ:

وقد تركت هذه الزيارة الأثر الطيب في نفوس الناس؛ سواء في الوادي، أو قمار، أو كونين، ولا سيما لدى الشيخ إبراهيم بن عامر الذي طبع كتابين في العام نفسه؛ أي سنة: 1905م، الأول في التصوّف، والثاني في العروض[3]. كما جالس وحاور بعض العلماء في زاوية سيدي سالم، وجامع سيدي المسعود بالوادي. وقد حضر في الوادي درسا في تفسير القرآن ألقاه تلميذه الشيخ الطاهر العبيدي، فأعجب العلاّمة بدرسه أيما إعجاب. كما زار مسجد والده الحسين الواقع شمال حي الأعشاش، والمجاور لعائلة موساوي، وأجرى حوارا مع الشيخ محمد بن البرية

1- علي غنابزية، **مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1300هـ-1374هـ، 1882م-1954م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر لجامعة الجزائر، ص. 74.

2- وهي الشهيرة بـ"**الغرامية في مصطلح الحديث**"، لأبي العباس أحمد بن فرح الإشبيلي (ت: 699هـ)، مطبوعة مع شرح وتوثيق: مرزوق بن هياس، دار المآثر، المدينة المنورة - السعودية،1424هـ-2003م. جاء في بدايتها:

غرامي صحيح والرجا فيك معضل	وحزني ودمعي مرسل ومسلسل
وصبري عنكم يشهد العقل أنه	ضعيف ومتروك وذلي أجمل
ولا حسنٌ إلا استماع حديثكم	مشافهة يملى علي فأنقل

3- علي غنابزية، **مرجع سابق**، ص. 74.

(1884م-1949م)، عندما التقى به في بلدة ڤمار[1]. وقام الشيخ محمد الخضر بزيارة كوينين، ودرّس في جامع الثلمود العتيق متن البيقونية، في مصطلح الحديث[2].

ومن الذين سمعوا عليه: الطالب عمر الأحمدي، وأحمد بن إبراهيم مسّاك، والشيخ الصغير الزبيدي، وأخوه البشير، والحاج الساسي بورفة وغيرهم[3]. وقد عرض عليه بعض أعيان الوادي - ومنهم القائد محمد العيد- أن يبقى بينهم يدرّس الأهالي مقابل مبلغ معين من المال، يجمع له من الطلبة، غير أنه أبى، مفضّلا وظيفة القضاء - رغم كراهته له - على التدريس؛ لأنه أكثر نشبا[54].

ونحسب أن كثرة أسفار العلاّمة محمد الخضر حسين وارتحالاته المستمرة، والدائمة لمختلف ربوع العالم الإسلامي كانت من وراء أهدافه في الدعوة إلى الله تعالى، وخدمة الإسلام والمسلمين.

4- الخاتمة:

يتضح لنا من خلال هاته الورقة أن حاضرة "وادي سوف" شهدت رحلات علمية كان من أبرزها -في مطلع القرن العشرين- زيارة العلاّمة الجزائري الأصل "محمد الخضر حسين"، التونسي المولد، المصري الجنسية، الذي كان منارة مضيئة بين بلدان المغرب العربي والمشرق، ونموذجا للتواصل الإيجابي عبر الوطن العربي والإسلامي خلال القرن العشرين.

ورحلات العلامة الخضْر تغلب عليها المسامرات العلمية، وإلقاء الدروس في فنون مختلفة، والاجتماع بعلماء الأمة وشيوخها، وأعيانها على مختلف آرائهم

1- علي غنابزية، **مرجع سابق**، ص. 74.

2- عاشوري قمعون، **مرجع سابق**، ص. 110.

3- **المرجع نفسه، الموضع نفسه.**

4- النشب: المال، ينظر: زين الدين الرازي، **مختار الصحاح**، تح. يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، ط. 5، 1420هـ/1999م، ص. 310.

5- عاشوري قمعون، **مرجع سابق**، ص. 110.

ومذاهبهم، وكذا زيارة المساجد، والمعالم الدينية، والأثرية، زيارة دور العلم من زوايا ومدارس، والاطلاع على موجوداتها من المطبوعات، والمخطوطات النفيسة.

فقد عمل على مدّ جسور التواصل العلمي المعرفي بين مختلف ربوع العالم الإسلامي بفضل رحلاته العلمية المباركة من الزيتونة، إلى الشام، إلى عاصمة الخلافة العثمانية، إلى الأزهر الشريف، وكان لهذه الشخصية العلمية مواقف تاريخية مشرفة طبعت الفترة القصيرة التي تولى فيها مشيخة الأزهر.

فحريّ بالجزائريين عموما، وأبناء منطقة "سوف" خصوصا الاعتناء بالإرث الفكري والعلمي لهذا الرجل المغمور في أرض أخواله.

5- قائمة المراجع:

* القــرآن الكـــريم.

- أبو عامر أحمد عبد العزيز، "الشيخ محمد الخضر حسين"، **مجلة البيان**، ع. 3، المنتدى الإسلامي، الإصدار الأول، ربيع الآخر، 1407هـ-ديسمبر 1986م.

- الإشبيلي أبو العباس أحمد بن فرح، **الغرامية في مصطلح الحديث**، مطبوعة مع شرح وتوثيق: مرزوق بن هياس، دار المآثر، المدينة المنورة -المملكة العربية السعودية، 1424هـ - 2003م.

- البكري أبو عبيد عبد العزيز بن محمد، **المسالك والممالك**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992م.

- الجابري صالح، **رحلات جز ائرية**، دار الغرب الإسلامي، 2001م.

- الجوادي محمد، **محمد الخضر حسين وفقه السياسة في الإسلام**، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2014م.

- الحسيني علي رضا، **الإمام محمد الخضر حسين، بأقلام نخبة من أهل الفكر**، دار النوادر، دمشق-بيروت، 2010م.

- الحمد محمد إبراهيم، **الشيخ محمد الخضر حسين، سيرته ومؤلفاته**، دار ابن خزيمة، العربية السعودية، الرياض، 1435هـ-2014م.

- الرازي زين الدين، مختار الصحاح، تح. يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، ط. 5، 1420هـ-1999م.

- الزركلي خير الدين، **الأعلام**، دار العلم للملايين، ط. 15، 2002م.

- بن خلدون عبد الرحمن، **المقدمة**، تح. عبد الله محمد الدرويش، سورية، دمشق، دار يعرب، 1425هـ-2004م.

- بن ديمة جيلالي، **تفسير محمد الخضر حسين لآي القرآن وملامح الإصلاح فيه**، رسالة ماجستير غير منشورة، تخصص: التفسير بين القديم والحديث، جامعة تلمسان، 2013م-2014م.

- صلاح حسن رشيد، "العلاّمة محمد الخضر حسين، المجاهد بالقلم واللسان"، **مجلة البيان**، ع. 338، شوال 1436هـ، جويلية -أوت 2015م.

- غنابزية علي، **مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1300هـ-1374هـ، 1882م-1954م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر لجامعة الجزائر.

- قمعون عاشوري، "زيارة الشيخين المكي بن عزوز والخضر حسين لبلدة سوف"، **مجلة المنهل**، مج. 2، ع. 1، جوان 2016م، جامعة الوادي الجزائر.

- كحالة عمر رضا، **معجم المؤلفين**، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

- مواعدة محمد، **محمد الخضر حسين، حياته وآثاره، (1873م-1958م)**، تح. المنجي السملي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974م.

- وغليسي يوسف، "رسائل العلاّمة محمد الخضر حسين، قراءة في التواصل اللغوي ووظائفه"، **مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق**، مج. 84.

- المواقع إلكترونية:

https://www.albayan.co.uk/MGZarticle2.aspx?id=4476
https://islamstory.com/ar/artical

الرحلات العلمية للشيخ الطاهر العبيدي وأثرها في تدعيم نشاطه العلمي والثقافي في مدينة الوادي وتقرت

The scientific trips of Sheikh Al-Obeidi and their impact on strengthening his scientific and cultural activities in his home townof Koenin and the city of Touggour

د. زيد مليكة

مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية

كلية العلوم الإسلامية -جامعة الوادي (الجزائر)

malikazid@yahoo.com



الملخص:

الشيخ الطاهر العبيدي من أبرز رجالات الحركة العلمية والثقافية بمدينة وادي سوف، قدَّم جهودًا في تعليم ونشر العلوم والثقافة الإسلامية بالمنطقة، وكانت مدينة الوادي بداية نشاطه وانتهى به المطاف لينتقل إلى مدينة توقرت لتكون مقرّا أساسيا لجهوده، ورث عن شيوخه الإمامة والتَّعليم والتَّدريس والفتوى وخاض تجربة علمية ممزوجة بالعطاء الفكري أخذها عن شيوخه بتونس، يهدف البحث إلى التَّعرف على أبرز محطات حياته الشخصية وأهم أنشطته العلمية والثَّقافية مستخدما في ذلك المنهج الوصفي والتَّاريخي، فخلص إلى أنَّ الشَّيخ العبيدي من الشَّخصيات التي لها الأثر العلمي الملحوظ برغم الظُّروف الاستعمارية التي عاشها قبل الاستقلال وبعده، لمْ تنقص من عزيمته، والسمات التي يحملها جعلت منه شخصية تتوفّر على صفات العالم والناشط الثقافي والعلمي بامتياز، لروحه المتواضعة وعزيمته التي لا تنطفئ وقدرته الخارقة في قيادة الأمة.

الكلمات المفتاحية: الطاهر العبيدي؛ رحلاته؛ نشاطه العلمي والثقافي؛ كوينين؛ تقرت.

Abstract:

En Sheikh Al-Taher Al-Obeidi is one of the most prominent men of the scientific and cultural movement in the city of Wadi Souf. He made efforts in teaching and spreading Islamic sciences and culture in the region. The town of Kuenin was the beginning of his activity and ended up moving to the city of

Tuqart to be the main headquarters of his efforts. Mixed with the intellectual giving he took from his elders in Tunisia, the research aims to identify the most prominent stations of his personal life and the most important of his scientific and cultural activities using the descriptive and historical approach. It diminishes his determination, and the characteristics he carries made him a personality with the qualities of a scientist and a cultural and scientific activist par excellence, due to his humble spirit, his unquenchable determination, and his extraordinary ability to lead the nation.

Keywords: *Al-Taher Al-Obeidi, his travels, his scientific and cultural activities, Quenin, Touggourt.*

1- مقدمة

شهدت مدينـة وادي سوف حركة علمية خلال القرن العشرين، زاخرة بجهودِ شيوخها وعلمائها خرّيجي جامع الزَّيتونة بتونس والأزهر الشَّريف بمصر، وممَّن تلقّوا العلم من شيوخ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وشيوخ المنطقة، فاشتهروا بغزارة معارفهم في مجالات عدّة كالتفسير والفقه والحديث واللغة والتاريخ فعرفت المنطقة انتعاشًا لبزوغ بذرة التَّعليم والإصلاح والثقافة. فأصبح خرّيجو هذه المعاهد البصمة الجلية في مسايرة الحركة العلمية والثقافية بالمنطقة، منْ أبرزهم ما نأمل أنْ يسعفنا دراسة نشاطه العلمي والثَّقافي "الشَّيخ الطاهر العبيدي" عليه رحمة الله.

وهو ما سنسِّلط عليه الضَّوء من خلال هذه الورقة البحثية بتقديمِ نافذة مضيئة عن شخصية الشَّيخ وحياته بالتركيز على رحلاته العلمية وأثرها في تنشيط الحركة الثقافية بالمنطقة أثبتها جهده العلمي والثقافي المتنوع، وهو شخصية فاعلة، لمْ تنلْ حظَّها الأوفى من عنايةِ أهلِ الفكرِ والعلم إلاَّ كلمات قليلة من الأوفياء، فكان من حقِّهِ علينـا وعلى رجـال الفكر في منطقة الجنوب الشَّرقي بوادي سوف، أنْ نقف على حياتـه وقفـة الذَّاكر بالجميل اعترافًا لما قام به من جهود في سبيل بثّ الوعي، و تحرير العقول من ترسانة الجهل والتخلف، وما حمله من إنجازات بحكم معايشته لمرحلتيْ الاحتلال الفرنسي وبعد الاستقلال.

ولمعرفة جوانب الموضوع وتفاصيله يمكن الإجابة عن التَّساؤلات الآتية:

- ما الدَّواعي التي جعلت الشَّيخ الطاهر العبيدي يلتحق بجامع الزَّيتونة بتونس، ويغادر بلدته كوينين ويستقر بمدينة توقرت؟

- فيم تمثَّل الدَّور العلمي والثقافي للشَّيخ الطاهر العبيدي في منطقة وادي سوف ومدينة تقرت؟

مستخدمة في ذلك المنهج الوصفي لوصف الأحداث التَّاريخية التي رافقت الشَّيخ الطاهر العبيدي عليه رحمة الله، والمنهج التَّاريخي لتتبُّع تسلسل الأحداث التَّاريخية زمانًا ومكانًا .

2- الشَّيخ الطاهر العبيدي، مولده و نشأته وتعليمه:

2-1- نسبه ومولده:

هو الطاهر بن العبيدي بن علي بن بلقاسم بن عمارة بن بلقاسم، ولد سنة 1304هـ الموافق لـ: 1886م بمدينة وادي سوف بجنوب الجزائر من أسرة فقيرة، إذ كان والده يشتغل حدادًا، لذلك كان يعرف في شبابه بابن "الحداد" أو "الطاهر بن ضية" نسبة إلى والدته ضية بنت بلقاسم، إلاَّ أن ذلك لم يمنعه من تنشئة ابنه في رحاب العلم والأخلاق رغم شغف العيش الذي كان يعيشه[1]، أرسله والده منذ صغره إلى كتاب المنطقة لحفظ القرآن الكريم وتعلُّمِ الحروف العربية بما تميزت به منطقته كباقي المناطق الجزائرية الأخرى بلسانها العربي الفصيح المبين الذي لا عجمة فيه و لا لوثة تعكر صفاء اللسان مما كان له تأثير كبير على اللغة اليومية المعتادة فيما بينهم، و هذا ما ساعد القوم على قراءة القرآن الكريم الذي شاع حفظه في تلك الربوع حتى بين النساء، و لم يشذ عن أترابه فقد تمكن من حفظ القرآن الكريم حفظ تمكّن و إتقان لما تجاوز الثانية عشر من العمر[2].

1- العزوزي حرزولي، "منظومة البيان بأسهل بيان للعلامة الشيخ الطاهر العبيدي دراسة وتحليل"، **مجلة علوم اللغة العربية وآدابها**، مج. 7، ع. 7، 2015، ص. 221.

2- **نفسه**، ص. 222.

2-2- نشأتـه وتعليمه:

نَشَأَ الشَّيخ عليه رحمة الله في ظروفٍ وأحداثٍ سياسيَّةٍ كان لها الأثر في تكوين شخصيته وتحصيله العلمي قبل الاستقلال وبعده[1]، فكانت بدايات تعليمه في جامع سيدي سالم مع شقيقه أحمد علي الطالب علي حليلات بن مبروك، ثم التحق بجامع النخلة بحي أولاد حمد وختم القرآن الكريم وتمكّن من حفظه وإتقانه على الشيخ "ابراهيم بالقايد" قبل سن البلوغ حيث كان عمره حوالي تسعة أعوام[2]. فنشأ على حبّ العلم ومجالسة أهل العلم فكان لا يملّ في طلبه ولا يفرط في تحصيله حتى تميَّز عن بقية أطفال المنطقة، لأنه لا يذر مزاولته في أيّ وقت ما بين مجالسة أهل العلم والمطالعة والمداومة على قراءة وحفظ كتاب الله، وكل ذلك كان عونا له على النبوغ والتفوق حتى تحدّث عنه الأستاذ "محمد محدة "في تحقيقه لرسالة "الستر" و تعليقه عليها في معرض ترجمته للشيخ العبيدي على أنَّه حفظ القرآن الكريم في سنّ التاسعة فقال: و ظهر عليه بوادر النجابة والذكاء في سنٍّ مبكرة، حيث حفظ القرآن الكريم في سن التاسعة من العمر، ثم انكب على دراسة العلوم الشرعية واللغوية، فحفظ المتون المعروفة في التفسير والفقه والحديث والأصول؛ وتفتّقت عنده الملكة الفقهية وهي بمثابة الرصيد المخزون الذي راح ينمو باضطراد عجيب، ويتصاعد وفق خطّ بياني واضح في حياته العلمي، فحفظ القرآن في سنه المبكرة في ورقلة ثم في مساجد وادي سوف بالمسجد العتيق بالنخلة أين جمعته علاقة زمالة مع الشيخ "محمد الأمين العمودي" الأمين العام لجمعية العلماء المسلمين لسنة[3].

ثمّ تلقى بعض العلوم الشرعية على يد شيوخ المنطقة، منهم "عبد الرحمن بن

1- **نفسه**، ص. 221.

2- عاشور قمعون، "العلامة الفذ الشيخ الطاهر العبيدي حياته وآثاره"، **مجلة المنهل**، جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي، ع. 4، س. 3، 2017م، ص. 195.

3- **نفسه**، ص. 221؛ عبد القادر عزام عوادي، **شموع تأبى الذوبان**، دار سامي للنشر والتوزيع، الوادي، 2018م، ص. 207.

محمد العمودي" المعروف بتبحّره في علم النّحو، و"محمد العربي بن موسى "عليه رحمة الله الذي بدأت تظهر على يديه نجابتـه، وتفتحت مواهبه واستعداداتـه لتلقي المزيد من العلم[1]، واستفاد من دروس الشيخين "القاضي عمارة" و"الصادق بلهادي"، كما تلقى الإجازة من الشيخ "محمد المكي " وأخذ ورد الطريقة الرحمانية عن الشيخ "محمد الصالح بن سيدي سالم"[2]. نصحه شيوخه وأساتذته بالتوجه إلى الزيتونـة، فشدَّ الرِّحـال إلى تونس وهنـاك بدأت رحلتـه العلميـة سنة 1904م[3].

فتميّز في مراحل تعليمه وتكوينه بقوّة حفظه وذكائه الخارق ورحلاته يتنقل بين الزوايا والكتاتيب، واتصاله بالعلماء مثل الشيخ "عبد الرحمان العمودي" الذي كان أول ما قرأ عليه علم القراءات، ومتن ابن عاشر، ورسالة زيد ابن أبي زيد القيرواني، ورسالة الشيخ السفطي، ولزم "الشيخ محمد الصالح بن موسى" وواصل تعليمه على يد الشيخ "محمد العربي" الذي درس عليه علوم اللغة العربية[4]، فأخذ عنهم جميعا العلوم الشرعية واللغوية فحفظ المتون المعروفة في التفسير، والفقه، والحديث والأصول.. وتفتقت عنده الملكة الفقهية وهي بمثابة الرصيد المخزون الذي راح ينمو باضطراد عجيب ويتصاعد وفق خط بياني واضح في حياته العلمية[5]. وعليه يمكن القول بأنّ التكوين العلمي للشيخ الطاهر العبيدي تأسّس على عـدة أمور:

- أخذه العلوم والمعارف والثقافة عن العديد من أهل التحقيق و العلم، فتتلمذ على يد شيوخ وعلماء بلدته واستفاد من الشيخ "البشير الإبراهيمي" وعلماء الزيتونة..

- أخذه من الزوايا والمدارس واستفادته من جامع الزيتونة.

1- عاشور قمعون، **مرجع سابق**، ص. 195.

2- الحفناوي بن عامر غول، **العلامة الشيخ الطاهر بن علي بن بلقاسم العبيدي** 1886/1968، 2020/01/28، الرابط:

https://binbadis.net/archives/10017.

3- عاشور قمعون، **مرجع سابق**، ص. 195.

4- عبد القادر عزام عواد، **مرجع سابق**، ص. 207.

5- عاشور قمعون، **مرجع سابق**، ص. 195.

- كان عصاميا في حفظ المتون والمخطوطات والفقه العلوم الشرعية واللغوية والنحو والصرف واطلاعه على العلوم الأخرى.

وبعد سنوات من النِّضال حتىَّ سنة 1968م توفِّي الشَّيخ، فشهدت جنازته حضورًا مهيبًا شهد عليه القاصي والدَّاني القريب والبعيد لشيمِ أخلاقهِ ومثابرتهِ في مهامه وجهوده التي أينعت وآتت أكلها، فكان مثالاً وقدوة يحتذى به.

3- رحلات الشيخ الطاهر العبيدي العلمية والثقافية:

1-3- رحلته العلمية إلى مدينة تونس:

كانت مدينة وادي سوف منطقة صحراوية معزولة طبيعيًّا وذات ظروف سِياسية صعبة من خلال تسلط الحكم العسكري الفرنسي عليها والظروف المعيشية الصعبة لسكانها، شهدت حضورها الإصلاحي والثقافي بشكل بارز، كانت مقوِّماتها الأولى تأسيس المدارس القرآنية في بدايات القرن 19، والرَّحلات العلمية والثَّقافية المتبادلة بين زوايَا ومدارس القطر التُّونسي خاصَّة جامع الزَّيتونة لتكوين جيل متعلِّم مثقَّف يقود الحركة العلمية والثَّقافية في زمنٍ ما بعد الاستقلال، وكانت أولى رحلات الشّيخ العبيدي إلى تونس حيث جامع الزيتونة.

والتحاقُ الشَّيخ بالزَّيتونة لمْ يكن صدفة أو لأجل إحراز شهادات عليًا وإنَّما رغبته الجامحة والملحَّة للتَّعلُّم وإكساب فنون وعلوم يحتاجها في مساره العلمي ومشواره الثقافي، فحينما يجتمع الدَّافع الذَّاتي الجامح مع توفُّر الصِّفات الخلقيَّة والمعنويَّة كالصِّدق والإخلاص يبنى عليها اكتمال الشَّخصية العلمية المتينة التي تكوَّنت من مؤسَّسات التَّعليم الدِّينية سواء في تعليمه الأوَّل على يدِ شيوخ بلدته، أو في رحاب جامع الزيتونة بها تتلمذ على عددٍ من المشايخ المتخصِّصين في عددٍ من العلوم كالشيخ "محمد الطاهر بن عاشور"، والشيخ "خليفة بن عروس"، والشيخ "محمد النجار"، والشيخ "صالح الهواري"، وغيرهم[1]، فاطّلع هناك على أمّهات

1- قدور قرناش، **الشيخ الطاهر لعبيدي**(1887–1968) **العلامة الفقيه الحجة**، 2017/07/16، الرابط: https://binbadis.net/archives/2767

الكتب والمصادر في العلوم الشرعية والأدبية، ولكن شاءت إرادة الله أن يعود الشيخ إلى موطنه بعد ثلاث سنوات قبل استكمال دراسته بسبب ظروف عائلته المادية القاسية، إلاّ أنّ عصاميته وجهده واجتهاده جعلوا منه عالما فقيها ،وأصوليا حجة، ومتصوّفا عارفا، ولغويا محنكا، وواعظا متمرسا، وأستاذًا ناجحا[1].

ومجيئه من تونس لم يحوّله إلى التّقاعس والتراخي في طلب العلم ،بل واصل البحث والاطّلاع حتى تحصل على الإجازة من الشيخ "مصطفى بن عزوز" بالمراسلة، وتولّى مهمة التدريس والوعظ والإرشاد والتوجيه الدّيني لمدّة ستين عاما حتى أصبح عالم تقرت وفقيهها الأكبر بدون منازع ،ولهذه المكانة المرموقة التي حظي بها أصبحوا يلقبونه بـ: "مالك الصغير"[2]، ووصفه أحد تلامذته بأنَّه "شيخ الإسلام" في الجزائر، وقال فيه الشيخ عبد المجيد حبة: "لم أرى فقيها متمكنا وأصوليا قادرا بعد حجة الفقه الإسلامي خليفة بن حسن القماري في منطقة الجنوب باستثناء الفقيه الأصولي الطاهر العبيدي، وقال أيضا: كان في العلوم الشرعية والفقه بحرا لا يوجد من يضاهيه حتى على مستوى العالم الإسلامي يقوم بإلقاء دروس في النحو والتفسير في جامع سيدي مسعود بسوق الوادي"[3].

ويبدو من خلال بعض الكتابات أنَّه صاحب زعيم النهضة الإصلاحية الإمام "عبد الحميد بن باديس" عليه رحمة الله أيام طلبه للعلم بالزيتونة، و إن كان الدكتور سعد الله يستنتج تخمينا بعد استقراء يقوده إلى افتراض الصحبة بين الشيخين من خلال لفظة لابن بادي "قديم التذكار" جاءت في سياق مراسلة بين الشيخين بتاريخ جمادى الثانية 1337هـ، ويعلق الدكتور سعد الله على ذلك بقوله: "وهناك أوجه شبه واختلاف بين ابن باديس والشيخ العبيدي ،من ذلك صداقتهما أيام الطلب في تونس، وهو ما يشير إليه ابن باديس في رسالته، و لا نعلم المدة التي

1- عاشور قمعون، **مرجع سابق**، ص. 195.

2- العزوزي حرزولي، **مرجع سابق**، ص. 222.

3- عاشور قمعون، **مرجع سابق**، ص. 195.

مكثها شيخنا بحاضرة تونس، فقد سكت الذين ترجموا له عن هذه النقطة باستثناء الأستاذ محمد محدة الذي حددها بثلاث سنوات"[1].

3-2- رحلته العلمية والثقافية لمدينة تقرت:

بعد الفترة التي قضاها الشيخ الطاهر العبيدي طالبا بالزيتونة عاد إلى مدينة الوادي يتدفّق حيوية و يزخر بالعلم، عاد وعلى كاهله أمانة ثقيلة ورسالة شاقة، آل على نفسه الاضطلاع بها، ليتصدّى لنشر الثقافة الإسلامية و تعليم الناشئة، ولم يطل به المقام حتى وجد نفسه مضطرّا إلى مغادرة الأسرة و القبيلة تاركا العشيرة والبيئة متَّجها نحو مدينة تقرت لتصبح هذه الأخيرة فيما بعد، هي موطنه ومحل إقامته ويستقر فيها استقراره النهائي الذي دام نصف قرن، والسبب الرئيسي الذي جعل الشيخ العبيدي ينتقل من سوف إلى مدينة تقرت تنفيذا لوصية أستاذه "محمد العربي بن موسى" عليه رحمة الله، الذي أشار عليه أن يخلفه في الإمامة والتدريس بالمسجد الكبير بـ: تقرت ... وكان هذا الانتقال بداية عهد جديد وبداية للاضطلاع بمهمة جليلة مثقلة بالمسؤوليات، وبداية لرحلة في مجال الخطابة والإفتاء والاطلاع الواسع الذي لا يعرف التوقف و الانقطاع، رحلة مليئة بالعطاء والتبليغ.

فالمهمة التي أنيطت للشيخ، كانت تجربة دسمة بالثراء الفكري والرؤية النيرة التي تدفع عن الدين الشبه التي يثيرها المبطلون ويروج لها المرجفون، الذين يتربصون بالإسلام ويتابعون مسار رسالته، و من أجل ذلك لم يتخلّ الشيخ الطاهر العبيدي عن أداء هذه الأمانة، منذ أن تحمّلها سنة 1907م، و قام بها أحسن قيام - رغم الظروف غير الملائمة في كثير من الأحايين - وافيا غير منقوص إلى آخر يوم في حياته[2].

فخلال رحلاته العلمية استطاع أن يقدم الكثير من الجهود، حتى أثنى عليه

1- الشيخ الطاهر لعبيدي (1887–1968)، **مرجع سابق.**

2- **نفسه.**

العلامة بن باديس عليه رحمة الله في رسالة بعثها إليه يقول فيها: "إلى حضرة عَلَم العلم والفضل، ومُعلّم الكَرم والنبل، التّقي الطاهر الأثواب، السَّري البارع الآداب، مستحق الشكر منّا بما له علينا من سابق الأيدي، العلامة الشيخ سيدي أبي الطيب الطاهر العبيدي، أدامه الله بدرًا طالعًا في هَالة دَرسه، وغيثًا هامعاً يُحي رَبْعَ العلم من بعد طمسه، حتى يُبدّلَ وحشة قَطرِهِ بأنسه، ويجني من بساتين تلاميذه ثمرات غرسه، آمين "[1].

4- إسهامات الشيخ العبيدي العلمية والثقافية:

4-1- العمل المسجـدي الثقافي:

اتَّخـذ الشَّيخ عليه رحمة الله من المسجد فضـاءً للثقافة و مهنة للإصلاح، حتَّى جعل منه مؤسَّسة ثقافية علمية وإسلامية مؤثِّرة في تحقيق مقاصده العقدية والفكرية والعلمية، إذ التعليم في نظره هو أساس البناء والإصلاح، بقصد تعليم وتثقيف عدد كبير من أبناء المنطقة فيقول عنه العلامة "عبد الحميد بن باديس" عليه رحمة الله: "التعليم هو الذي يطبع المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته وما يستقبل من علمه لنفسه وغيره، فإذا أردنا أن نصلح العلماء فلنصلح التعليم، ونعني بالتعليم، التعليم الذي يكون به المسلم عالما من علماء الإسلام يأخذ عنه الناس دينهم ويقتدون به فيه، ولن يصلح التعليم إلاّ إذا رجعنا به للتعليم النَّبوي في شكله وموضوعه في مادته وصورته فيما كان يعلم ﷺ وفي صورة تعليمه"[2].

وأضاف قائلا لتدعيم العمل المسجدي كمؤسسة علمية ثقافية حاضرة على صريح لسانه عليه رحمة الله: "فإذا كانت المساجد معمورة بدروس العلم فإنَّ العامَّة التي تنتاب تلك المساجد تكون من العلم على حظٍّ وافر، وتتكوَّن منها طبقة

1- محمد رميلات، **العالم الكبير والفقيه الشهير الشيخ الطاهر العبيدي** 1968.1885، بتاريخ: 28/02/2021 https://binbadis.net/archives/

2- كمال لدرع، بحث حول **منهج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ممارسة النصيحة وأثرها في إصلاح الواقع الاجتماعي الجزائري**، بصيغة pdf، د، ت ، ص. 263.

مثقَّفة الفكر صحيحة العقيدة، بصيرة بالدِّين، فتكمل هي في نفوسها ولا تهمل، وقدْ عرفت العلم وذاقت حلاوته تعليم أبنائها وهكذا ينتشر العلم في الأمَّة ويكثر طلابه من أبنائها وتنفق سوقها فيه، أمَّا إذا خلت المساجد من الدُّروس، فإنَّ الأمَّةَ تنفض عن العلم والدِّين وتنقطع علاقتها به وتبرد حرارة شوقها إليه فتجسوا نفسها وأبنائها، وتمشي والدين فيها غريب"[1].

فاهتم الشيخ الطاهر العبيدي بالتعليم المسجدي آخذا بوصية شيوخه، اعتقادا منه بأنَّ المساجد لا تقتصر على الصلاة وإلقاء المواعظ وخطب الجمعة؛ وإنَّما مؤسّسة ومدرسة للتعليم والثقافة، وأن المسجد والتعليم في الإسلام مترابطان، فوضع برامج واسعة لنشر التعليم الدّيني واللّغوي والفقهي والعقائدي والاجتماعي وتدريس العربية لكل الفئات، فزرع فيهم حب العلم والتعلم وساروا فيه على منهج السلف.

كما اتَّخذ الشيخ من المسجد النَّواة الأولى للتَّعليم القرآني - جامع العلوم- فشرع يكرِّس جهوده لتعليم القرآن والإرشاد الدِّيني والتفسير[2]، وهي مسؤولية عظيمة وأمانة ثقيلة وتكليف جسيم ليست بالسَّهلة، يسخِّرها الله لمن تتوفَّر فيه صفة الإخلاص والعزيمة والثَّبات والمواظبة والاستمرارية مع الالتزام والتَّواضع، فظلّ يدرِّس فيه عدد من العلوم منها الفقه والنَّحو والصَّرف، فعكف على تعليم تلاميذه المتون باللُّغةِ العربية، وبعض المتون في ما يتعلَّق بعلوم القرآن مثل: مورد الضمآن، الداني الفاسي، والمصباحي في الرسم، ومتون الفقه كمتن "ابن عاشر" و"سيدي خليل" والموطأ والرحبية في علم المواريث وكذا الخلاصة الفقهية، وغيرها من المتون وبعض العلوم الشَّرعية.

1- مرزوق العمري، **التَّعليم المسجدي في مشروع ابن باديس الإصلاحي**، فبراير 2، بتاريخ: 2022/02/19م على الساعة 17:30، الرابط:

https://www.islamanar.com/mosque-education/

2- عبد الكريم بو صفصاف، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الاخرى 1931م/1945م**، ط. 5، دار البهاء، عن وزارة الثقافة الجزائرية، 2013م، ص. 142.

وتأسيس الشَّيخ العبيدي لمدارس التعليم القرآني لأهمِّيته في تلك الفترة، بحيث يعطي للسُّلطة الثَّورية عناية خاصَّة بالتَّعليم فهي أساس طريق التَّقدُّم والرُّقيِّ الفكري والثقافي والعلمي، وأنَّ التقدُّم العلمي والثقافي ينبغي أنْ يسبقَ التَّقدُّم الصِّناعي؛ لأنَّ الصِّناعة ثمرة فكر متفوق علميًّا .

4-2- التعليم القرآني:

كانت المؤسَّسات التَّعليمية قبل الاحتلال الفرنسي وبعده، عبارة عن غرفٍ صغيرةٍ لصيقةٍ بالمسجدِ أو الزَّوايا، يتمُّ فيها تدريس القرآن وتحفيظه للصِّغار[1]، وكان لهذه الزَّوايا والكتاتيب الدَّور الأكبر في رواجِ التَّعليم بمنطقة وادي سوف[2]، وهذه الكتاتيب تابعة للمساجد وأخرى منفصلة عنها، يفتحها بعض الشُّيوخ في منازلهم، أو في أماكن مخصَّصة للدِّراسة، فاتّخذ الشيخ الطاهر العبيدي مثله مثل باقي شيوخ المنطقة من المسجد بيتًا لتعليمِ العلوم وتحفيظ القرآنِ، وقدْ كان تأثيثها بسيطًا حيث يجلس الأطفال على الحصائر ولكلِّ طالب لوح من الخشب والطِّين الذي يمحو به بعد إتمام الحفظ وتتمُّ الكتابة بـ: "الدواة" وتكون الكتابة بقلم من "القصب"[3]، لتكون طريقته في تعليم القرآن تقليدية باللَّوح قبل شروق الشَّمس إلى وقت الضُّحى للصِّغار وكبار السِّنّ، وخصّص للكبار دروسًا في محو الأمية بتحفيظ السُّور القصار، ولمْ تكن دروسًا منتظمة وإنَّما دروسًا يلقيها حسب المناسبات والنَّوازل، وما تميَّز به الشَّيخ في التَّعليم القرآني أنَّه كان ملفتًا للانتباه وطريقته كانت سلسة جذبت نحوه الطَّلبة فقصدوه من كافَّة أحياءِ مدينة تقرت حتى أضحى ينادونه "أبا الشيخ" فتعدَّدت مستويات الوافدين إليه من مختلف الأعمار[4]، وهو

1- لحسن أوري، "السِّياسة التَّعليمية الاستعمارية في افريقيا (نموذج المغرب العربي)"، **دورية كان التَّاريخية**، ع. 12، 2011م، ص. 35.

2- البشير مقدود، "التَّعليم الفرنسي بمنطقة سوف خلال العهد الاستعماري بين الرَّفض والتَّأثير"، ع. 04، **مجلَّة المعارف للبحوث والدِّراسات التَّاريخية**، جامعة الوادي، ص. 140.

3- **نفسه**، ص. 305.

4- عاشوري قمعون، **مرجع سابق**، ص. 206.

ما يتوجَّب على الشَّيخ التَّكفُّل بهؤلاء الطَّلبة حفظًا وتلقينًا فقدْ أعطاه الله من النَّباهةِ وسعة الصدر والفطنة وحضور البديهة؛ ما يجعله قادرًا على تصنيفهم ودراسة قدراتهم العقلية وملكاتهم الكامنة، بنيَّةِ تنشئتهم ومتابعتهم حتَّى يكوّن جيلاً متفتحًا؛ لأنَّ الاستعمار من أهدافه جعلُ الأمَّة تعيش حالة من الضَّياع والتِّيه كيْ لا تطالب بحقوقها.

فكان أكبر حدث في مهمّة الشيخ العبيدي بمدينة تقرت، هو تفسيره للقرآن الكريم كاملا حسب رواية الأستاذ عبد السلام سليماني: "وفي العاشر من محرم سنة 1353 هـ الموافق لـ: 17 أفريل 1934هـ ختم العبيدي تفسيره للقرآن الكريم، وعاشت تقرت مهرجانا عظيما لم تعرف مثله من قبل ومن بعد، ولا أحد اليوم من أبنائها يذكر ذلك الحدث العظيم"[1]، وكان يميل في تفسيره إلى الأسلوب القصصي ومن جميع الجوانب العقائدية والتشريعية والبلاغية واللغوية والتاريخية، فلم يكن مهتما بتدوين التفسير إلا أن بعض تلامذته كتبوا أجزاء منه لاتزال مخطوطة في الكراريس، والكثير من الفتاوى والبحوث الأصولية متفرقة عند تلامذته وأكثرها ضاعت مما افتقد كنز ثمين من كنوز العلم[2] تفسيره عليه رحمة الله لم يكن يخلو من إشارات بلاغية ونحوية ومعجمية بأسلوب ميسر تمكن من خلاله من نقل هذه العلوم إلى العامة ناهيك عن الخاصة من تلاميذه، وظل على جهاده العلمي ستين عاما فحفظ الله به وبأمثاله اللغة العربية في هذه الربوع من الضياع والانطماس[3].

3-4- تنظيم المحاضرات ودروس الوعظ:

اقتحم الشيخ الأماكن المسجدية والأماكن العامة للاحتكاك بالنّاس وإلقاء دروس في تهذيب الأخلاق وشؤون الحياة العامة، ونشر الوعي والنصح العام وطرح

1- **الشيخ الطاهر لعبيدي** (1887–1968)، **مرجع سابق**.

2- عاشوري قمعون، **مرجع سابق**، ص. 206.

3- العزوزي حرزولي، **مرجع سابق**، ص. 227.

القضايا العامة والاجتماعية وبث اليقظة الفكرية والثقافية لدى الناس[1]، فردّ الشيخ مشروع الاحتلال في تجهيل الجزائريين، وتمكّن مع غيره من رجال العلم و الإصلاح من إعادة بعث الثقافة العربية والأخلاق السامية وسط أبناء المنطقة؛ لأنّها لا تنفكّ عن تعاليم الدين، ومن هنا ندرك فحوى المعركة التي كانت قائمة بين الاستعمار الفرنسي والشعب الجزائري والتي كانت ثقافية محضة، لإدراك كل منهما أنَّ الخطوة الأولى في سبيل الإصلاح ينبغي أن تكون تثقيفية من خلال توجيه التعليم وتحديد اللغة ونمط العيش ونوعية الأخلاق والطباع التي تبث في الوسط الاجتماعي[2].

فعمل على محاربة الأمراض الاجتماعية والعقائدية وتهذيب السُّلوك وتحسين الأخلاق[3]، من أجل إصلاح أحوال الناس منتهجا منهج التخلية ثم التحلية، الذي عبر عنه بعض الصَّحابة: « كان رسول الله ﷺ يفرغنا ثم يملؤنا»[4] ونظرا لروحه المرحة وحسن خلقه وطيب معشره، فقد عرفت دروسه إقبالا منقطع النظير وأينعت في وقت قريب، كان صبورا مع تلامذته له نظام خاص في تعليمهم حيث يختبرهم من وقت لآخر ومن رآه متفوقا يمنحه إجازة مكتوبة ثم يعين لهم دروسا خاصة عرفانا لهم، وفي حالة بلوغ أحدهم مقدارا معينا من العلم يرشده إلى مواصلة دراسته بجامع الزيتونة[5]، وقدْ تتلاقى هذه المهمة مع مقولة "الشَّيخ بن باديس" عليه رحمة الله عندما التفَّ حوله نفر من الشَّباب المتحمِّس وطلبوا منه أنْ يرفع صوته مدويًّا عاليًا مطالبًا باستقلال الجزائر وحرِّيتها فقال لهم رحمهم

1- كمال لدرع، **مرجع سابق**، ص. 266.

2- محمد ديدان، **الخطاب النقدي الثقافي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين**، شهادة ماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 2015. ص. 48.

3- عبد الكريم بو صفصاف، **مرجع سابق**، ص. 142.

4- عاشوري قمعون، **مرجع سابق**، ص. 206.

5- عبد القادر ميهوبي، **معجم الصفوة سير وتراجم أعلام وشيوخ من الجزائر في الفقه والتصوف، الثقافة والأدب، العلم والجهاد والإصلاح والسياسة**، ج. 1، تين وزيتون للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م، ص. 270؛ عاشور قمعون، **مرجع سابق**، ص. 199.

الله جميعا: "وهل رأيتم أيُّها الأبناء إنسانًا يقيم سقفًا دون أنْ يشيد الجدران؟ فقالوا: كلاَّ لا يمكن، فقال لهم: إنَّ من أراد أنْ يبني الأسس يقيم الجدران أوَّلا ثمَّ يشيد السَّقف على تلك الجدران، ومن أراد أنْ يبني شعبًا ويقيم أمَّة فإنَّه يبدأ من الأساس لا من السَّقفِ"،

وقد تخرج على يديه كوكبة كبيرة من العلماء في مدينة الوادي منهم: شقيقه العلامة أحمد العبيدي، والشيخ الميداني موساوي، والشيخ حمزة بوكوشة، والشيخ مصطفى سالمي، والشيخ الصادق قديري، والشيخ العربي سالمي.. ومن أبناء مدينة تقرت الشيخ الحشاني العمري، وشيخ زاوية تماسين التجانية أحمد التجاني، والشيخ الطاهر بن دومة[1].

4-4- سمات الشيخ الطاهر العبيدي العلمية والتعليمية:

وعلى إثر إسهامات وجهود الشَّيخ الطاهر العبيدي العلمية السالفة الذكر أثبتت جدارة الشيخ وقوة شخصيته في تبني مشروعه العلمي والثقافي والديني. والسرِّ الذي جعل الشيخ العبيدي عليه رحمة الله ناجحا ومؤثرا في مهمته العلمية والثقافية توفره على بعض السِّمات:

- صدقه وإخلاصه في كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ، وهو العامل الأساسي لالتفاف النَّاس من حولـهِ.

- العمل على الحفاظ على العقيدة الصَّحيحة والتَّمسُّك بالقيم الدِّينية والوطنية والحفاظ على الهوِّية الوطنية وترسيخها ونشر قيم التَّسامح والتَّعاون بين أبناءِ المنطقة حتَّى لا تكون فجوة يتسرَّب إليها العدو فنكون لقمة سائغة.

- تحفيز النَّاس وتشجيعهم على التَّمسُّك بالتعليم القرآني ودروسِ التفسير والوعظ والإرشاد ليكونوا على درايةٍ بدينهم وعقيدتهم التي حاول الاستعمار تشويهها ومسخها وإحلال الدِّيانات الغربية محلَّها.

1- عاشور قمعون، **مرجع سابق**، ص 211.

- رجل علم تولى الفتوى منذ صغره حتّى لقب بـ: "مالك الصغير" و"شيخ الإسلام".

- سخّر حياته في إعالة اليتامى، وتحمل مشقة تعليمهم ومن ثم يبعثهم إلى جامع الزيتونة على حسابه الخاص وأبرز هؤلاء اليتامى شقيقه أحمد[1].

- كان قوي الحجة ومفتيا بارعا، لغويا محنكا لا يشق له غبار قوي الذاكرة، ملما بأغلب المتون الفقهية والنحوية.

- طيب المعشر، لا تفارق الابتسامة محياه، حليم متخلق بأخلاق الأنبياء، بعيدا عن المكاره والأنكاد وقد قال فيه الحاج أحمد جاري، لما سئل عنه فأجابهم قائلا: "لو وجدت شيئا يستحق النقد أو الملاحظة لصرحت به، ولكن ما عساي أنْ أقول إن الشيخ طيب القلب، مخلص في العمل ومتخلق"[2].

- جهوري الصوت يعامل طلابه وكأنهم أبناءه، فكان بمثابة الصديق الحميم والأخ الكريم .

- كان تقيا عفيفا طاهر القلب كريم النّفس عالي الهمة، حازما في أعماله ضابطا موفقا لا يتخلف عن الدرس مهما كانت الضرورات والحوادث.

- رحابة صدره ورجاحة عقله، كما تميّز بلين الجانب، يحاول إفهام الناس دينهم وتصحيح عقيدتهم وإنارة سبيلهم وإرشادهم ونصحهم من غير قسوة أو غلظة.

- بعيد عن التنطّع والتشدّد في الدين، كثير التواضع عفيف اللّسان.[3]

5- الخاتمـة

في نهايـة هذه الورقة البحثية خلص البحث إلى أن:

- مدينة الوادي تزخر بعددٍ كبير من رجالِ الإصلاح والفكرِ، قدَّموا جهودًا في سبيل خدمة العلم والتعلم وبث الوعي وتحرير سكَّانها من الجهل والتخلُّف، فشهدت

1- **السابق**، ص ص. 197-198.

2- **نفسه**، ص. 198.

3- عاشور قمعون، **مرجع سابق**، ص ص. 197-198.

خلالها انتعاشًا علميًا قبل الاستقلال بفتحِ مدارس لتكوين الفرد الصَّالح والمتعلم.

- شخصية الشَّيخ الطاهر العبيدي عليه رحمة الله من الشَّخصيات العلمية النَّشطة وعظًا وإرشادًا وتعليمًا، والظُّروف الاستعمارية التي عاشها لمْ تنقص من عزيمته فآتت جهوده أكلها وثمارها.

- عظم المسؤولية الملقاة على عاتق شيوخ ورجال العلم في الجزائر قبل الاستقلال وبعده سيما خريجي الزيتونة من أجلِ إصلاحِ أحوالِ الشعب الجزائري، قصد انتشالهم من حمْأة الجهل والتَّخلُّف التي فرضتها السُّلطات الاستعمارية منذ دخولها إلى المنطقة.

- من الوسائل التي ساعدت الشّيخ العبيدي في تنشيط حركته العلمية والثقافية المسجد والتعليم القرآني إضافة إلى تقديم المحاضرات والروس للوعظ والإرشاد والتوجيه.

- التعليم القرآني من الأنشطة العلمية والثقافية التي برزت في فترة الاحتلال وبعده باعتباره جامع للعلوم والثقافة الإسلامية، بدوره يحتاج إلى موارد بشرية وطاقات تؤهله كأمثال الشيخ الطاهر العبيدي عليه رحمة الله.

- العلوم التي أخذها عن شيوخه بالزيتونة، الفقهية منها وحديثية وعلوم التفسير والمتون من العلوم المساهمة في نشر الثقافة الإسلامية في المنطقة لدى الشيخ العبيدي.

- إنَّ مهمة التعليم القرآني التي قدّمها الشيخ تميزت ببساطة وسائلها وقوة تأثيرها.

التوصيات

- مواصلة البحث في الشَّخصيات المحلِّية والوطنية ممن بذلوا جهودا نيّرة في تنشيط الحركة الثقافية والعلمية.
- دعوة الباحثين الأكاديميين في جمعِ شتات المعلومات المتناثرة في الكتب والأبحاث وفي كوامن الأصفياء ممن ساهموا في نشر العلوم والثقافة الإسلامية

إبان الاحتلال وإلى يومنا هذا.

- إصدار جريدة أو مجلة أكاديمية تهتم بالشخصيات، والمؤسسات التي ساهمت في تنشيط الحركة العلمية والثقافية في منطقة وادي سوف.
- تشجيع الباحثين الأكاديميين ماديا أو تشريفا ممن يكتبون ويؤلفون في سير أعلام الفكر الإسلامي بالمنطقة.
- أنْ يكون الإنتاج العلمي والفكري في موضوع رواد الحركة العلمية والثقافية بالمنطقة ضمن مقررات التدريس التعليمية والتربوية والأكاديمية.
- دعم المؤسسات المحلية كالإذاعة مثلا في تقديم برنامج خاص بالشخصيات المناضلة كأمثال الطاهر العبيدي والحسين حمادي.
- إحياء ذكرى الشخصيات الإصلاحية والمناضلة في المنطقة عن طريق المؤتمرات والملتقيات و الندوات ...

6- قائمة المراجع:

- أوري لحسن، "السِّياسة التَّعليمية الاستعمارية في افريقيا (نموذج المغرب العربي)"، **دورية كان التَّاريخية**، ع. 12، 2011م.

- بو صفصاف عبد الكريم، **جمعية العلماء المسلمين الجز ائريين وعلاقتها بالحركات الجز ائرية الاخرى 1931م /1945م**، ط. 5، دار البهاء، عن وزارة الثقافة الجزائرية، 2013م.

- حرزولي العزوزي، "منظومة البيان بأسهل بيان للعلامة الشيخ الطاهر العبيدي دراسة وتحليل"، **مجلة علوم اللغة العربية وآدابها**، مج 7، ع. 7، 2015.

- ديدان محمد، **الخطاب النقدي الثقافي لجمعية العلماء المسلمين الجز ائريين**، شهادة ماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 2015م.

- رمضان محمَّد الصَّالح، "جمعية العلماء ودورها العقائدي والاجتماعي والثَّقافي"، **مجلَّة الثقافة**، ع. 83، د، ت.

- عوادي عبد القادر عزام، **شموع تأبى الذوبان، ترجمة لمجموعة من العلماء والمفكرين والمصلحين الجز ائريين**، دار سامي للنشر والتوزيع، الوادي، الجزائر، 2018م.

- قمعون عاشور، "العلامة الفذ الشيخ الطاهر العبيدي حياته وآثاره"، **مجلة المنهل**، ع. 4، جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي، السنة 3، 2017م.

- لدرع كمال، بحث حول **منهج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ممارسة النصيحة وأثرها في إصلاح الواقع الاجتماعي الجزائري**، بصيغة pdf، د، ت

- مقدود البشير، "التَّعليم الفرنسي بمنطقة سوف خلال العهد الاستعماري بين الرَّفض والتَّأثير"، **مجلَّة المعارف للبحوث والدِّراسات التَّاريخية**، ع. 4، جامعة الشَّهيد حمَّة لخضر، الوادي

- ميهوبي عبد القادر، **معجم الصفوة سير وتراجم أعلام وشيوخ من الجزائر في الفقه والتصوف، الثقافة والأدب، العلم والجهاد والإصلاح والسياسة**، ج. 1، تين وزيتون للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م.

- غول الحفناوي بن عامر، **العلامة الشيخ الطاهر بن علي بن بلقاسم العبيدي** 1968/1886، بتاريخ: 2020/2/28، التوقيت 18:51، تمت مشاهدته 2022/12/19م على الساعة 19:25 مساء.

https://binbadis.net/archives/10017

- مرزوق العمري، **التَّعليم المسجدي في مشروع ابن باديس الإصلاحي**، فبراير،2021، تمت مشاهدته بتاريخ: 2022/02/19م على الساعة 17:30.

https://www.islamanar.com/mosque-education.

- **الشيخ الطاهر لعبيدي** (1887-1968) **العلامة الفقيه الحجة**، بتاريخ 2020-24-12، تمت مشاهدته، بتاريخ 2022/12/20، على الساعة: 20:15 مساء.

http://www.inghar-dz.com/vb

رحلات مشايخ سُوف العلمية للبلاد التونسية
محمد بن فرج التجاني ـ نموذجا ـ

The scientific trips of the sheikhs of Souf to Tunisia
Mohammed Iben Faraj Al-Tijani - as a model -

د. أحمد بن تيشه
جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي (الجزائر)
benticha72@gmail.com



ملخص:

يتضمن مقالنا التطرق إلى الرحلات العلمية لأحد مشايخ سوف إلى البلاد التونسية، وهو العلامة الشيخ محمد بن فرج التجاني الفرجاني، وقد عالجنا في هذا المقال التعريف بالشيخ محمد بن فرج؛ مولده، نشأته، رحلته في طلب العلم، مؤلفاته، ثم تناولنا رحلاته العلمية التي قام بها إلى البلاد التونسية، الأولى كانت سنة: 1912م إلى منطقة الجنوب التونسي، والثانية سنة 1914م إلى المكان نفسه، ولقد كانت لهذه الرحلات الأثر البالغ على الحياة الفكرية والدينية بين منطقة وادي سوف والجنوب التونسي، كما كان لها دورٌ في مد جسور التآخي، والمودة بين المنطقتين.

الكلمات المفتاحية: الرحلات؛ محمد بن فرج التجاني؛ تونس؛ سوف؛ العلاقات.

***Abstract**:*

Our article includes addressing the scientific trips of one of the sheikhs of Souf to Tunisia, the scholar Sheikh Muhammad bin Faraj Tijani Ferjani, and we have dealt in this article with the definition of Sheikh Muhammad bin Faraj, his birth, his upbringing, his journey in seeking knowledge, his writings, and then we dealt with his scientific trips to Tunisia, the first was in 1912 to the southern Tunisian region and the second in 1914 to the same place, and these trips had a great impact on intellectual and religious life between the Wadi Souf region And southern Tunisia, it also played a role in building bridges of brotherhood and friendship between the two regions.

Keywords: *trips, Iben Faraj al-Tijani, Tunisia, Souf, relations.*

1- مقدمة:

من الثابت تاريخيا أن للرحلات العلمية المتبادلة بين منطقتي وادي سوف والجنوب التونسي دورًا بارزًا في توطيد أواصر الأخوة بين الأشقاء في بلاد المغرب العربي، وفي تنشيط عملية التأثير والتأثير بين علمائها ومشايخها، ومن بين هذه الرحلات نذكر رحلات الشيخ محمد بن فرج التجاني إلى الجنوب التونسي.

فمن هو محمد بن فرج؟ وما هي أبرز رحلاته؟ وما تأثير هذه الرحلات على الحياة الفكرية، والثقافية في وادي سوف، والجنوب التونسي؟

2- التعريف بالشيخ محمد بن فرج التجاني:

2-1- اسمه ونسبه:

هو محمد بن أحمد بن فرج بن قدور بن فرج، ويرجع نسبه إلى سيدنا علي بن أبي طالب، والسيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمّا أمه فهي مسعودة بنت بلول الفرجاني، وأبوه الحاج أحمد بن فرج الفرجاني[1]، وقد كان رجلا صالحا ينتمي إلى الطريقة القادرية.

2-2- مولده:

ولد محمد بن أحمد بن فرج سنة 1850م/ 1266هـ ببلدة النخلة بوادي سوف، ولما بلغ سنّ السابعة رحل مع أبيه إلى بلدة نفطة التونسية، وهناك حفظ القرآن الكريم، وتعلم مبادئ العلوم الشرعية، ثم انتقل إلى جامع الزيتونة ليتلقى العلم على يد علمائه، فدرس على يد الشيخ الشافعي النفطي الذي أخذ عنه التفسير،

---

[1]- وتعليقًا على كلام الذين كتبوا عن نسب محمد بن فرج نؤكد لهم أن أحمد بن فرج من عرش الفرجان، سكن بلدة النخلة ثم انتقل إلى مدينة نفطة التونسية. وتقول الرواية أنه طلَقَ زوجته مسعودة أثناء طريقه إلى نفطة. وواصل طريقه مع ابنيه محمد ونصر، وتزوج هناك بامرأة أنجبت له بنت وولد وأسس زاوية هناك، وحفظ القرآن مع أولاده محمد ونصر. مقابلة مع السيد تجاني إسماعيل بن أحمد بن محمد بن فرج، بمنزله بحي الأصنام بتاريخ 2023/02/25، على الساعة، 12:00.

والحديث والفقه والسيرة النبوية[1] .

كما تتلمذ على يد كل من: الشيخ صالح النيفر (1820-1873م)، الشيخ محمد الطيب النيفر (1831-1927م)، الشيخ محمد بيرم الخامس (1840-1989) م وغيرهم.[2] وتحصل على شهادة التطويع[3] بعد سبع سنوات من الدراسة[4].

امتاز الشيخ محمد بن فرج بالفطنة والذكاء، وقوة الحافظة، وفصاحة اللسان، وقوة الحجّة، وسعة الاطلاع. وهذه الصفات جعلت منه شخصية متميزة أكسبته تقديرًا وفهامة عند الناس.

استقر الشيخ فرج في مدينة القيروان مدة طويلة؛ حيث عمل بها إمامًا ومدرسًا، وتزوج زوجته الأولى هناك، وأنجبت له بنتا. ولما بلغ من العمر خمسا وخمسين سنة، قرر العودة إلى حاضرة " سوف " للاستقرار النهائي، وخيرّ زوجته بين الرحيل معه أو البقاء، فبقيت في مدينتها، فسرّحها بمعروف[5].

رجع محمد بن فرج إلى قرية النخلة وعمل مدرسًا وإمامًا بأحد مساجدها، وتزوج من السيدة فاطمة عمامرة بنت محمد البُهلي، من أسرة تجانية من عرش أولاد جامع[6]، وكانت أسرتها تسكن قرية قطاي.[1] وأثناء ذهابه إلى أصهاره في

---

[1]- محمد السعيد ديدي، **العلاّمة الشيخ سيدي محمد بن فرج التيجاني** (1850-1947)، د- ط، د-ت، ص ص. 4-5.

[2]- بن سالم بالهادف، **المقدم سيدي محمد بن فرج التيجاني**، مخ. ص. 03.

[3]- شهادة التطويع، هي أعلى شهادة علمية كان يمنحها جامع الزيتونة في ذلك الوقت واستمر العمل بها إلى غاية 1933م ثم عوضت بالعالمية. للمزيد ينظر: محمد ضيف الله، **الحركة الطالبيّة التونسية** (1927-1939)، مؤسسة التمبمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 1999م، ص. 127.

[4]- محمد حناي وآخرون، **محمد بن فرج التجاني الجز ائري و أثرتربيته الروحية بالجنوب التونسي من خلال المراسلات**، سامي للطباعة والنشر، الوادي، 2022، ص. 52.

[5]- محمد رشدي جراية، **انتشار الطريقة التجانية من بلاد سوف إلى تونس (جهود الداعية سيدي محمد بن فرج بالجنوب التونسي أنموذجا)**، الملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس (1881-1954)، المنعقد بتاريخ 11/10 نوفمبر 2013م، بكلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة حمة لخضر، الوادي الجزائر، ص. 03.

[6]- عرش أولاد جامع، ينتسبون إلى جامع بن تمون بن عبد الله والي طرابلس عام (1206م/ 602هـ)، بن إبراهيم ابن جامع المرداسي أحد أفخاذ بني سليم بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان، المرداس بني هلال=

"قطاي"، وتفقد نخيله الذي اشتراه بعد عودته من القيروان، تعرّف محمد بن فرج على المقدم علي بن حميد الجامعي، وبعد زيارات متعددة بينهما قرر محمد بن فرج الدخول في الطريقة التجانية، وذهب رفقه مقدمين من الطريقة إلى الخليفة التماسيني محمد حمة التجاني أثناء تواجده بقمار، وعند اللقاء تفرّس فيه الخليفة الفطنة، والعلم الغزير، والحكمة، فقال مرافقوه: "هذا محمد بن فرج الفرجاني"، فقال الخليفة بل قولوا: "التيجاني"، ليصبح لقبًا له ولذريته من بعده[2]، ثم أجازه بالإذن والإطلاق حسب التقاليد الصوفية.

ألف كتاب: "الشرح المفيد على منية المريد"، في 18 جويلية 1912م، وهو عبارة عن شرح لأرجوزة الشيخ التيجاني بن بابا الشنقيطي المسماة "منية المريد في الطريقة التيجانية".

وقد تناول محمد بن فرج شرح المنية بأسلوب جديد خالف به الشروحات السابقة، وانتهى من تأليفه في 01 مارس 1923 الموافق لـ 14 رجب 1341هـ[3]، وقد طبع في تونس سنة: 1978م، توفي العلاّمة محمد بن فرج يوم الخميس 09 جانفي 1947م / 16 صفر 1366هـ ودفن بقطاي[4]، وضريحه ما زال يزار كل سنة إلى يومنا هذا من قبل أهل تطاوين.

=كانت منازلهم بنواحي طرابلس ثم انتقلوا إلى جنوب تونس ومنها إلى أرض سوف للمزيد ينظر: إبراهيم محمد الساسي العوامر، **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، تح. الجيلاني بن إبراهيم العوامر، منشورات تالة، الجزائر: 2007م، ص. 377.

[1]- قرية قطاي، وهي منطقة فلاحية تابعة لبلدية المقرن ولاية الوادي تبعد عن المقرن بـ: 14 كلم، وعن مقر الولاية 44 كلم عمرت بالسكان فترة الاحتلال الفرنسي خاصة من عرش أولاد جامع ثم رحلوا عنها بعد الاستقلال. للمزيد ينظر محمد السعيد ديدي، **مرجع سابق**، ص. 6.

[2]- **نفسه**، ص ص. 6-7.

3- محمد رشدي جراية، **مرجع سابق**، ص. 7.

[4]- محمد حناي وآخرون، **مرجع سابق**، ص. 62.

3- رحلاته العلمية:

إذا كان الشيخ إبراهيم الرياحي[1] أوّل من نشر الطريقة التيجانية بالشمال التونسي، بعد أن تلقى تعاليمها من الشيخ علي حرازم بن العربي براده الفاسي، فإن الشيخ محمد بن فرج الجزائري استطاع نشرها في الجنوب التونسي، وهذا بفضل الرحلتين العلمتين اللتين قام بهما خلال الربع الأول من القرن العشرين. فما هي الظروف التي ساعدته على ذلك؟ وما الأسباب التي جعلته يركز اهتمامه على هذه المنطقة؟

تميز سكان الجنوب التونسي وخاصة بلاد "ورغمَّة" بالغلظة وبنوع من الاستخفاف بالدين، ولم يكونوا سماعين للعلماء والفقهاء، وكانت منطقة تطاوين وما جاورها تعيش حالة تناحر مستمر حول الرعي وملكية الأرض، فكانت القبائل تغزو بعضها البعض معتمدة على السلب والنهب والإغارة، وقطع الطرق، وعاشت انفصامًا كليًا عن روح الدين الإسلامي؛ حيث كان الجهل والشعوذة، والخرافة وغيرها من الرذائل المنتشرة بينهم، لذلك هجا الشيخ ابن عرفة أهل تطاوين قائلاً[2]:

كلاب ذئاب في جلود ثعالب *** فإن قلت كفارًا فقولك، أصوب.

حتى يصل في قوله إلى:

إذا جاءهم عالم استهزأوا به *** وإذا جاءهم طبَّال قاموا له راقصين.

في ظل هذه الظروف أُرسل الشيخ محمد بن فرج إلى منطقة تطاوين بإذن من شيخ تماسين لتعليم الناس تعاليم الإسلام الصحيحة، ودعوتهم إلى إصلاح ذات البين وعرض الطريقة التيجانية لمن يقبلها[3].

---

[1]- الشيخ إبراهيم الرياحي: ولد بتستور في تونس سنة (1767م/ 1180هـ)، أخذ العلم على يد فقهاء تونس بجامع الزيتونة، أخذ الطريقة التجانية على يد الحاج على حرازم الفاسي سنة 1796م، زار تماسين سنة 1823م/ 1238هـ، توفي عام 1850م. للمزيد ينظر: عمر بن محمد الرياحي، **تعطير النواحي بترجمة سيدي إبراهيم الرياحي**، مطبعة بكار وشركائه، تونس 1903، ص. 07، وما بعدها.

[2]- محمد رشدي جراية، **مرجع سابق**، ص ص. 6-7.

[3]- محمد السعيد ديدي، **مرجع سابق**، ص. 7.



أ- الرحلة الأولى:

خرج الشيخ محمد بن فرج من وادي سوف قاصدًا الجنوب التونسي في شهر ذي القعدة سنة: 1330هـ/ أكتوبر1912م. رفقة مجموعة من المقربين منه[1]، على هيئة رحلة تجارية متمثلة في قافلة لبيع التمور.

نزلت القافلة في سوق تطاوين،[2] وكان أول اتصال له بالعالم الزيتوني سعد بن الحاج نصر كادي[3]، الذي استضافهم في بيته الموجود قرب الجامع العتيق لـ"تطاوين"، وقد كان هذا اللقاء الثاني بينهما فهما على سابق معرفة ببعضهما، حيث التقى به سنة: 1911م عند زيارة محمد بن فرج تطاوين من أجل التجارة[4].

في منزل الحاج سعد كادي استطاع الشيخ محمد بن فرج الجزائري اقناعه في العديد من المسائل الفقهية الخاصة بالطريقة التيجانية، كما لاحظ الحاج سعد كادي اتساع أفقه المعرفي، وحجته القوية، فتأثر به، وتوسم فيه الخير، والصلاح. وخلال اللقاء جدّد الشيخ محمد بن فرج الإذن في الطريقة التيجانية للحاج سعد كادي وأجازه بالتقديم المقيّد[5].

بعد تطاوين انطلق الشيخ محمد بن فرج إلى القرى المجاورة، فوصل إلى قرية

---

[1]- فبالإضافة إلى ابنه الصغير عبد الوهاب نذكر مختار رحومة، عثمان بده زكري، محمد الصالح بن حمة عون.

[2]- **سوق تطاوين**: وهي منشأة استعمارية كان الهدف منها إحداث مركز تجاري يستقطب سكان المنطقة من أجل مراقبتهم عن قرب، للمزيد ينظر: فاطمة جراد، نشأة قرية تطاوين، نموذج للقرى المستحدثة بالتراب العسكري. تاريخ الزيارة 10/ 03/ 2023 الساعة 11:54، الرابط:

http/tataouine fanclub com.

[3]- يدعى سعد بن الحاج نصر كادي ولد بتطاوين سنة 1286هـ/1869م انتقل إلى مدينة نقطة لحفظ القرآن الكريم في الزاوية القادرية، ثم قصد جامع الزيتونة وحصل بها على شهادة التطويع ثم عاد إلى تطاوين؛ حيث عينه القاضي الشرعي عدل اشهاد توفي سنة 1348هـ/ 1929م. للمزيد ينظر: أحمد النظيف الفرجي التجاني، **العلاّمة الفقيه سيدي سعد كادي حياته وآثاره (1868-1930)، دراسة تاريخية ووثائقية في سيرة الفقيه "سعد بن الحاج نصركادي التجاني"**، الجمعية التيجانية للثقافة والتراث، تطاوين، تونس، 2014م، ص ص. 12-17.

[4]- العروسي محمدي بن عبد الله، **فيض المحبوب في أحبة الجنوب**، مخ. ج. 2، ص. 460.

[5]- أحمد النظيف الفرجي التجاني، **مرجع سابق**، ص. 17.

غمراسن، ثم إلى مضارب بالطّيب ثم إلى الخربة، وبعدها إلى اللبابدة، وفي كل منطقة ينزل بها يتصل بأهل الوجاهة، والعلم والسلطان، فيعرض عليهم دعوته.

وخلال هذه الرحلة استطاع أن يحقق أهدافه، فكان لهذه الرحلة الأثر البالغ على أهالي منطقة تطاوين، والقرى المجاورة، فحلّت السكينة بين أهلها وعروشها، ومدت أواصر الأخوّة بين المتخاصمين.

كما استطاع الشيخ محمد بن فرج أن يوطد علاقته بأعيان المنطقة وعروشها وقبائلها، وإقناعهم بالدخول في الطريقة التيجانية.

أثناء هذه الرحلة ظل الشيخ يراسل أعيان التيجانية بواد سوف، ومنهم الشيخ المقدم العيد بن يامة الذي بعث له رسالة مؤرّخة في 05 سبتمبر 1912م، الموافق لـ 24 شوال 1330هـ[1] يعلمه فيها بما حقّق من نجاحات خلال هذه الرحلة.

ب- الرحلة الثانية:

بعد عودته من الرحلة الأولى والاطمئنان على الأهل والأحباب، بدأ محمد بن فرج الاستعداد لرحلة أخرى، فنقل أهله من قرية النخلة إلى البياضة، واكترى لذلك منزلاً قرب المقدم العيد بن يامّة، ثم راسل المقدم سعد بن نصر كادي المتواجد بتطاوين يعلمه فيها بقرب قدومه إلى المنطقة في 3 أفريل 1914/ 8 جمادي الأولى 1332هـ[2].

وبعد أيام انطلق الشيخ نحو الجنوب التونسي ليكمل ما بدأه في رحلته الأولى، وخلال هذه الرحلة وقعت مناظرات علمية بين الشيخ محمد بن فرج، وبين أعيان القرى المجاورة لتطاوين، ففي قرية قرماسة، المنيعة بجبالها التقى بكل من عبد الله الفورتي، وأحمد بن المقدم، وبعد مناقشات معهما اقتنعا بحديث محمد بن فرج، وأخذا الطريقة التجانية منه، ثم انتقل مع صديقه سعد كادي، إلى مضارب

---

[1]- للاطلاع على نص الرسالة كاملة. ينظر: محمد السعيدي ديدي: **مرجع سابق**، ص ص. 9-10.

[2]- محمد السعيد ديدي، **مرجع سابق**، ص ص. 8-9.

بالطّيب والتقيا بشيخها "أحمد العالم"، وتمكن محمد بن فرج من إقناعه بالدخول في الطريقة، وأخذها عنه مباشرة.

بعدها انطلقا إلى منطقة تدعى الخربة وبها التقيا بالسيد أحمد الصبري أحد العدول بالمجلس، واقتنع هو الآخر بالطريقة فأخذ أورادها منه، ثم واصلا سيرهما إلى منطقة "اللبابدة" وفيها أعطى الطريقة التيجانية إلى ستة أشخاص، وأجاز بالتقديم الحاج "أحمد اللبودي" أحد وجهاء المنطقة[1].

وقد امتاز العلاّمة محمد بن فرج بقوة فصاحته أثناء الردّ على المخالفين، فخلال هذه الرحلة ناظر بعض علماء الزيتونة بمدينة "مدنين" في دار كبير القضاة في ذلك الوقت، وقد شملت هذه المناظرة العديد من المسائل في شتى العلوم؛ كالفقه، والتفسير، والحديث، واستطاع الشيخ محمد بن فرج بالبرهان والدليل القوي أن يفحم خصومه الذين حاولوا الانسحاب، والتهرّب من النقاش.

وحسب الباحث السعيد ديدي فقد دامت هذه الرحلة ثلاثة أشهر، وهذا من خلال مضمون وتاريخ الرسالتين اللتين بعثهما سيدي العيد بن يامة إلى محمد بن فرج:

- الأولى: بتاريخ 11 رجب 1332/ جوان 1914

- والثانية: بتاريخ 10 شعبان 1332/ جويلية 1914 يطلب منه العودة قبل قدوم شهر رمضان.

3- محاولته القيام برحلات أخرى:

بعد عودة الشيخ محمد بن فرج إلى وادي سوف قبل رمضان 1332هـ/ 1914م حاول القيام برحلات أخرى إلى البلاد التونسية، لكنه فشل بسبب عدم حصوله على الترخيص من طرف السلطات الفرنسية، وبالظروف التي تمرّ بها المنطقة؛ لا سيما ظرف اندلاع الحرب العالمية الأولى.

---

[1]- محمد حناي وآخرون، **مرجع سابق**، ص ص. 76-77.

وعلى الرغم من هذا كله استطاع في سنة: 1932م الذهاب إلى تونس العاصمة لعلاج ابنه أحمد، واستغل هذه الفرصة للقاء مؤيدية؛ حيث كان له لقاء معهم في قرية المحرس قرب مدينة "صفاقس"، وقد أتوا من "تطاوين"، ومن مناطق مجاورة، أما في مدينة تونس فقد التقى بزمرة من العلماء فناظرهم، حتى قال عنه الشيخ محمد مناشو: هذا الشيخ يجيب عن أسئلتكم بباطن العلوم لا بظاهرها".

4- أثررحلات الشيخ على منطقتي الجنوب التونسي ووادي سوف:

لقد كان لهذه الرحلات العلمية الأثر البالغ على المنطقتين؛ حيث عملت هذه الرحلات على مد جسور التواصل الثقافي والديني بينهما، فبفضل انتشار الطريقة التيجانية في منطقة "تطاوين" وما جاورها، أصبح مريدو هذه الطريقة ينتقلون بين القطرين التونسي والجزائري، ومازال هذا التواصل إلى اليوم.

5- خاتمة:

من خلال دراستنا للرحلات العلمية للشيخ محمد بن فرج إلى البلاد التونسية استخلصنا النتائج التالية:

- لقد كان للبيئة التي عاش فيها الشيخ محمد بن فرج الأثر الكبير في تكوين شخصيته العلمية، بفضل والده وطريقة تربيته له وتوجيهه لطلب العلم جعلت منه طالب علم شغوف لبلوغ أعلى المراتب.

- التنقل والتجوال والترحال من منطقة سوف إلى مدينة "نفطة"، ثم تونس العاصمة ثم القيروان والعودة إلى سوف أكسب الشيخ محمد بن فرج ثقافة واسعة في فهم طرق عيش البشر وطرق التعامل معها.

- لقد قام الشيخ محمد بن فرج التجاني برحلتين علميتين إلى منطقة تطاوين بالجنوب التونسي؛ الأولى كانت في أكتوبر 1912م، والثانية في أفريل 1914م، قام من خلالهما بنشر الطريقة التجانية، وإحلال السكينة بين أهالي منطقة تطاوين، كما استطاع إقامة علاقة قوية بينه وبين أعيان المنطقة وعروشها، وهذا من خلال الرسائل التي كان يبعث بها إلى أعيان منطقة الحزب التونسي إلى غاية وفاته سنة: 1947م.

6. قائمة المصادر المراجع:

- بالهادف بن سالم، **المقدم سيدي محمد بن فرج التجاني**، مخ.
- جراية محمد رشدي، **انتشار الطريقة التجانية من بلاد سوف إلى تونس (جهود الداعية سيدي محمد بن فرج بالجنوب التونسي أنموذجا)** الملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس (1881-1954)، المنعقد بتاريخ 10/ 11 نوفمبر 2013 بكلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة حمة لخضر، الوادي الجزائر.
- حناي محمد وآخرون، **محمد بن فرج التجاني الجزائري و أثر تربيته الروحية بالجنوب التونسي من خلال المراسلات**، سامي للطباعة والنشر، الوادي، 2022.
- ديدي محمد السعيد، **العلاّمة الشيخ سيدي محمد بن فرج التجاني (1850-1947)**، د. ت.
- الرياحي عمر بن محمد، **تعطير النواحي بترجمة سيدي إبراهيم الرياحي** مطبعة بكار وشركائه، تونس 1903م.
- ضيف الله محمد، **الحركة الطالبيّة التونسية (1927-1939)**، مؤسسة التمبمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس 1999م.
- العروسي محمدي بن عبد الله: **فيض المحبوب في أحبة الجنوب** مخ. ج. 2.
- العوامر إبراهيم محمد الساسي، **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف** تح. الجيلاني بن إبراهيم العوامر، منشورات تالة، الجزائر، 2007م.
- النظيف أحمد الفرجي التجاني، **العلامة الفقيه سيدي سعد كادي حياته و آثاره (1868-1930)، دراسة تاريخية ووثائقية في سيرة الفقيه "سعد بن الحاج نصر كادي التجاني"**، الجمعية التجانية للثقافة والتراث، تطاوين، تونس، 2014م.
- مقابلة مع السيد تجاني إسماعيل بن أحمد بن محمد بن فرج، بمنزله بحي الأصنام بتاريخ 2023/02/25م، على الساعة 12:00.

الرحلات العلمية للشيخ إبراهيم بن عامر السوفي وأثرها العلمي بالمنطقة

Sheikh Ibrahim bin Amer Al-Soufi
And his scientific and social contributions

د. علي بن زينب

مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
كلية العلوم الإسلامية -جامعة الوادي (الجزائر)
Benzineb.ali@hotmail.com



ملخص:

تزخر منطقة الصحراء الجزائرية عموما وبالخصوص وادي سوف، بعلماء كُثر من طراز عال ومكانة مرموقة، كان لهم أثر بالغ في الحياة الثقافية والعلمية والإصلاحية، ولعل أهم عامل في صقل هذه المواهب هو الرحلة في طلب العلم.

ومن بين هؤلاء العلامة الشيخ إبراهيم بن عامر السوفي الذي اعتُبر شخصية تاريخية فذة موسومة بالفطنة والدراية، كما كان شخصية موسوعية في مجالات متنوعة، فضلا عن نزعته الثورية ضد المحتل الفرنسي، فلم يمنعه الوظيف الفرنسي من أن يصدع بالحق الذي لاقى من أجله فتنا وبلاء-رحمه الله تعالى- كما أنه شارك في تأليف العديد من الكتب، وتأهيل العديد من الرجال، إضافة إلى أثره الإيجابي والبالغ على ساكنة الوادي ومن ثم جاء هذا البحث الموسوم بـ: " الشيخ إبراهيم بن عامر السوفي وإسهاماته العلمية والاجتماعية".

الكلمات المفتاحية: إبراهيم بن عامر؛ العوامر؛ السوفي؛ إسهامات.

Abstract:

The Algerian desert region, especially Oued Souf, is full of many scholars of high caliber and eminent status, who had a great impact on the cultural, scientific and reform life, and perhaps the most important factor in refining these talents is the journey in seeking knowledge.

Among them was the scholar Sheikh Ibrahim bin Amer Al-Soufi, who was considered an outstanding historical figure marked by acumen and know-how, as he was an encyclopedic figure in various fields, in addition to his

revolutionary tendency against the French occupier. He participated in writing many books and many men, in addition to his positive and significant impact on the inhabitants of the valley - may God Almighty have mercy on him. Then came this research tagged with: "Sheikh Ibrahim bin Amer Al-Soufi and his scientific and social contributions".

Keywords: *Ibrahim bin Amer; Awamer; soufi; contributions*

1- مقدمة

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله رب السماوات والأراضين، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الأمين صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد عاش الجزائريون فترة عصيبة منذ دخول المحتل الفرنسي أرض الجزائر، حيث سعى بكل إمكاناته لمحو الشخصية الجزائرية، وإضعاف الروح الوطنية والقضاء على الهوية الدينية ومحاربة اللغة العربية، فضلا عن السياسة التعسفية نحو الأهالي الجزائريين الذين كانت عليهم واجبات نحو الحكومة الفرنسية ولم تكن لهم حقوق إنسانية.

ومع هذه الظروف القاسية فإن الجزائر أنجبت علماء ودعاة كثرا، رحلوا في سبيل العلم وأهله، ليرجعوا إلى أرض الوطن ويضربوا أروع الأمثلة في الدعوة والتضحية، وبذل النصح والإرشاد، حيث كرّسوا جهودهم ووقتهم لخدمة العقيدة والدين واللغة والوطن، وبرزوا في ميادين وفنون مختلفة كالفقه والتفسير والأدب والتاريخ وما إلى ذلك من المعارف؛ تاركين للأجيال بعدهم آثارا زكية وثروة علمية وعملية وفكرية؛ ومن ذلك منطقة وادي سوف التي احتضنت الشيخ إبراهيم العوامر.

فمن هو الشيخ إبراهيم بن عامر؟ وما هي إسهاماته العلمية والثقافية؟ وما هي أهم مآثره؟

2- ترجمة للشيخ إبراهيم بن عامر:

2-1- اسمه ونسبه:

إبراهيم بن محمد الساسي بن إبراهيم بن محمد بن عامر، الملقب بالعوامر، أبو محمد، السوفي[1]. ويرجع نسب عائلته "أولاد سيدي عامر" إلى قبيلة "الشبابطة" من عرش "المصاعبة" بوادي سوف، ويمتد نسبهم إلى سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنه، وتعتبر قبيلتهم حديثة العهد نسبيا بوادي سوف، فجده محمد قدم من مصر واتجه نحو القيروان بتونس، ليحط الرحال بعد ذلك بمنطقة وادي سوف[2].

2-2- مولده ونشأته:

ولد الشيخ إبراهيم خلال عام 1292هـ الموافق لعام 1875م[3]، وذلك في عهد الحاكم العام لويس تيرمان (1881-1891م)[4]. وقد نشأ في بيت متوسط الحال، إذ كان والده بائع صوف في بلدة قمار، وكان مساعده منذ صباه، وفي نفس الوقت يحفظ القرآن، ويحضر بعض الدروس الابتدائية التي يتلقاها عن بعض المعلمين القماريين في الأجرومية وابن عاشر، والتي أثرت في شخصيته إذ أصبح مولعا بالمعرفة متعلقا بحلقات العلم وأهله، متتبعا مختلف الفنون العلمية لينهل من

1- عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر**، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1980م، ص. 181؛ سعد العمامرة، أحمد منصوري، **أعلام من سوف في الفقه والثقافة والأدب**، مطبعة مزوار، الوادي، 2006، ص. 30.

2- عاشوري قمعون، **الشيخان**، **مطبعة مزوار**، الوادي، الجزائر، 2010، ص. 19؛ علي غنابزية، **العلامة الشيخ إبراهيم العوامر سيرته ومآثره**، 1996، مخ. ص. 5.

3- وهذا حسب وثيقة رقم 453، مسجلة بالمحكمة الشرعية بالوادي، كما توجد الوثيقة في أرشيف إيكس أون بروفانس مؤرخة يوم 24-9-1910، تحت رمز: A.O.M.17H31، ينظر: عاشوري قمعون، "العلامة الشيخ إبراهيم بن عامر حياته وآثاره"، **مجلة المنهل**، مج. 1،ع. 2، 2015، ص. 146، مع أن المشهور عن تلامذته أنه ولد عام 1297هـ/1881م.

4- صّادق بوطارفة، "قراءة في إسهامات النخب المحافظة السُوفية في كتابة التاريخ المحلي من خلال مخطوط الصُّروف لإبراهيم بن عامر"، **مجلة علوم الإنسان والمجتمع**، مجلة دولية محكمة تصدرها كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، بجامعة بسكرة، الجزائر، ع. 14، مارس 2015، ص. 84.

معينها[1].

2-3- طلبه للعلم ورحلاته:

بعد أخذ الشيخ لبعض مبادئ العلوم من قمار، قصد نفطة ببلاد الجريد في الجنوب التونسي، الذي كان يعد مركزا علميا هاما، وخاصة توزر، التي توجد بها زاوية سيدي المولدي، فدرس بزاوية الشيخ مصطفى بن محمد بن عزوز على يد بعض علمائها البارزين أمثال الشيخ الحاج الزبيدي، وبعد مدة رجع إلى الوادي واتصل بالشيخين محمد العربي بن موسى وعبد الرحمن العمودي لينهل من علمهما حينا من الزمن، ما جعلهما يحثانه ويلحان عليه الرحلة إلى تونس لمواصلة طلب العلم والاستزادة منه، فشجعه ذلك للالتحاق بجامع الزيتونة، وهناك لازم كبار العلماء واستفاد منهم، ونهل من علوم كثيرة أهلته لأن يكون مدرسا رفيع المستوى، وبعد تخرجه عاد إلى موطنه، وذلك عام 1902[2].

2-4- شيوخه وتلاميذه:

إن المتأمل في المشايخ والعلماء الذين درس عليهم الشيخ إبراهيم يرى عددهم الكبير، مع تنوعهم المكاني والزماني والتخصصي والمعرفي؛ وقد ذكرنا بعض مشايخه من منطقته الوادي، أما من تونس فمنهم الشيخ محمد النخلي، ومحمد الخضر الجزائري نزيل تونس، والشيخ محمد الطاهر بن عاشور، والشيخ يوسف بن حسن، والصادق بن عبد الهادي العقبي، وغيرهم[3].

لا شك أن من تفرّغ لنشر العلم بهمة الشيخ إبراهيم، سيكون له تلاميذ كثر، وفعلا فقد تخرّج على يديه كثير من العلماء والمشايخ، أمثال الميداني بن محمد

1- علي غنابزية، **العلامة الشيخ إبراهيم العوامر سيرته ومآثره**، ص. 5؛ سعد العمامرة، أحمد منصوري، **أعلام من سوف في الفقه والثقافة والأدب**، ص. 30.

2- عاشوري قمعون، **العلامة...، مرجع سابق**، ص ص. 116-117؛ سعد العمامرة، أحمد منصوري، **أعلام سوف...، مرجع سابق**، ص. 30؛ صّادق بوطارفة، **قراءة...، مرجع سابق**، ص ص. 84- 85.

3- إبراهيم بن محمد الساسي، **الأصول الحسان لما به ثبوت صوم رمضان**، تح. ياسين باهي، مطبعة سامي، الوادي، 2021، ص. 14.

العربي موساوي، والهاشمي حسني، والأزهاري حرزولي، والقائد بوبكر بن موسى، وميلود بن حريكة، وحمزة بوكوشة، وإبراهيم بن عبد القادر بن القائد، والعيد بن أحمد بن بكار، والساسي بن عبد الله بالحسان، ونعيم بن أحمد النعيمي، وزهير الزاهري الإدريسي، وغيرهم.

فضلا عن طلبة العلم الذين كانوا يحضرون مجالسه ويستفيدون منها؛ القادمين من مناطق متعددة كالزقم والبهيمة وحاسي خليفة وغيرها[1].

2-5- موقفه من الطرق الصوفية:

لقد كان انتساب أهل العلم للطرق الصوفية والاحتماء بها طريقة متبعة لا يجوز العدول عنها؛ سواء كان ذلك الانتساب عن إيمان وعقيدة أو عن تقية ومجاراة للعوام الذين اشتهر عنهم مقولة: "من لا شيخ له فالشيطان شيخه"، ولم يخرج الشيخ إبراهيم عن هذا النسق، لكنه كان متفتحا غير منساق للصراعات الدائرة بينهم، بل زاد على ذلك أن انتسب إلى ثلاث طرق صوفية وهي: التجانية والرحمانية والقادرية؛ رغم أنّ التجانية تمنع أتباعها من الانخراط في الطرق الأخرى.

وإذا ذكرت الطرق الصوفية في ذلك الوقت، فإنه ينصرف الذهن إلى الموقف من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فالشيخ كان من ضمن الذين رفضوا تلبية الدعوة للاجتماع التأسيسي للجمعية، بسبب تولية وظيفة الإمامة والقضاء، فضلا عن الاعتبارات الفكرية والآراء الخاصة التي أقعدته عن المشاركة، لكن الشيخ العوامر راجع نفسه قبل وفاته، وأكد سداد الطريق الذي سلكته جمعية العلماء[2]، وقد أشار تلميذه حمزة بوكوشة إلى ذلك في قصيدته التي رثاه بها[3]؛ حيث

1- **المرجع نفسه**، ص. 15.

2- علي غنابزية، **مجتمع وادي سوف 1882-1954م**، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث المعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008/2009، ص. 65.

3- وهي قصيدة بعنوان "سقى الوابل الوسمي قبر ابن عامر"، جريدة النجاح، ع. 1338، قسنطينة، 5 أوت 1932، ص. 3. نقلا عن، **المرجع نفسه**.

جاء فيها:

ولا أنسى يوما بالجزائر قال لـي   عليكم بالإصلاح فهو كفيل

وقد كنت قبلا غالطا في مرادكم   وإني أميل اليوم حيث تميل

6-2- آثاره ومؤلفاته:

كان الشيخ كثير الاطلاع، مولعا بشراء الكتب، صاحب مكتبة ضخمة تضم مئات أمهات الكتب المطبوعة والمخطوطة؛ والتي ضاعت بعد وفاته، وبهذه المكتبة تمكن الشيخ من الإفادة والاستفادة، حيث سهلت له الطريق لأن يكون عالما كاتبا مفتيا، أما عن مؤلفاته وآثاره فقد خلف الشيخ ثروة علمية وأدبية ما بين مطبوع ومخطوط ومفقود؛ في فنون وعلوم مختلفة، دلت على رسوخ قدمه في العلم والكتابة، ومن هذه المؤلفات:

أ- **ما يتعلق بالفقه المالكي:**

- **بيان الخطا من قصار الخطا**: وهي تحقيق لمسألة فقهية المسماة بـ: "صلاة الأربعاء الأكحل" وحكمها، وقد طبع بالمطبعة التونسية عام 1907م.

- **رسالة الأصول الحسان لما به ثبوت صوم رمضان**: رسالة مخطوطة تتكون من 42 صفحة، توجد في مكتبة زاوية سيدي سالم بالوادي، وقد حققها الدكتور ياسين باهي[1].

- **قلائد الدر في بعض ما يتعلق بالبسملة من السر**: رسالة مخطوطة تتكون من 36 صفحة، لكنها مبتورة، موجودة بزاوية سيدي سالم.

- **تعليق في حكم البسملة والتقليد**: وهو مخطوط تام يتكون من 14صفحة، موجودة بزاوية سيدي سالم.

- **كتاب المسائل العامرية على مختصر الرحبية**: اختصر فيها الشيخ متن الرحبية

1- وذكر المحقق أن من نسب للشيخ رسالة مخطوطة في أصول الاعتناء بالهلال غير هذه فهو خطأ؛ لأنه بالمقارنة تبين أنها نفسها. ينظر: إبراهيم بن محمد الساسي، **الأصول ...**، **مصدر سابق**، ص. 23.

في علم الميراث من 175 بيتا إلى 76 بيتا، وجاءت في 35 صفحة طبعت بالمطبعة التونسية.

ب- **ما يتعلق بعلم العقائد والسلوك:**

- **متن ست وستون عقيدة وشرحه**: مخطوط لرجز قصير، فيه نظم لعقيدة الست والسين بطلب من كاتبها الشيخ محمد العربي، شيخ الزاوية السالمية.

- **مطالع السعود تشطير أدبية الشيخ المولود**: وهو تشطير لنظم الشيخ ابن الموهوب في ذم البدع[1].

- **النفحات الربانية على القصيدة المدنية**: وهي شرح لقصيدة شيخه سي الحاج علي الجريدي الزبيدي، احتوت على أكثر من 40 صفحة، طبعت عام 1914م، بالمطبعة التونسية.

ت- ما يتعلق بالتراجم والتاريخ والأنساب:

- **البحر الطافح في بعض فضائل شيخ الطريق سيدي محمد الصالح**: وهي في فضائل شيخ الزاوية الرحمانية بالوادي في عصره، احتوت على 52 صفحة، وطبع عام 1911م، بتونس.

- **حد السنان في عنق المنكرلخالد بن سنان**: رسالة مخطوطة يثبت فيها نبوة خالد بن سنان المدفون في بلدة سيدي خالد ببسكرة.

- **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**: والكتاب يتحدث عن تاريخ وادي سوف، مع ذكر أنساب المنطقة، طبعه ابنه الجيلاني عام 1977م في مطبعة مشتركة جزائرية تونسية. ويجدر التنبيه إلى أن هذا الكتاب هو من أهم أعمال الشيخ التي عرف واشتهر بها، وسببا لعكوف بعض أهل الاختصاص على دراسته والاستفادة منه، وفي

1- وقد نشرت بجريدة الفاروق، ع. 56، عام 1914م، وقد زاد الشيخ إبراهيم على كل شطر من نظم الشيخ المولود شطرا آخر من عنده؛ ينظر: أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007 م، (173/7).

هذا يقول الشاعر زهير الزاهري:

وتاريخ الصروف دليل صدق ... به التحقيق والعقل الحصيـــف

أرى الصحراء بالتاريـــخ أولى ... وأولى الأرض في الصحراء وســوف

ث- ما يتعلق بالأدب:

- **مواهب الكافي على التبر الصافي**: وهو شرح لكتاب نظمه ابن الموهوب "التبر الصافي في نظم الكتاب المسمى بالكافي في العروض والقوافي"، طبع في 72 صفحة بتونس، عام 1905م.

ومع كون الشيخ إبراهيم عالما فقيها مؤرخا نسابة، فهو كذلك شاعر شعبي "الملحون" وفصيح؛ ترك الكثير من القصائد في أغراض متعددة، وقد ضاع منها الكثير، وبعضها مبعثر عند الناس، وربما لا يعلمون قائل تلك القصائد[1].

2-7- محنته ووفاته:

بعد غضب السلطات الفرنسية، من موقف الشيخ الوطني تجاه حادثة "بنات الملوح" الشهيرة؛ تم تحويله من الوادي إلى بلدة أولاد جلال ببسكرة، وبعد مكوثه مدة بالزيبان، أخذه الحنين والشوق نحو بلده وأهله، فتقدم بطلب للسلطات الفرنسية، يلتمس فيه الرجوع للوادي، فرُفض طلبه ورُخّص له بالانتقال إلى تقرت، وفيها أصيب بمرض شديد قيل دمالة في ظهره انتقل بسببه إلى الوادي، وتوفي بها مساء الأربعاء 14 ربيع الأول 1351هـ/ 20 جويلية 1932م، و ودفن بمقبرة أولاد أحمد في الجهة الجنوبية منها، وألقيت في حقه كلمات تأبين كتبها مقدم الطريقة التجانية الشيخ العروسي، ورثاه تلميذه حمزة بوكوشة بالقصيدة التي

1- ينظر: عاشوري قمعون، **العلامة ...**، **مرجع سابق**، ص ص. 127- 139؛ إبراهيم بن محمد الساسي، **مرجع سابق**، ص 22- 25؛ قمعون عاشوري، **الشيخان...**، **مرجع سابق**، ص ص. 63- 76؛ كما ذكر أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي بعض كتبه في مواضع متفرقة.

ذكرناها آنفا[1].

3- مساهمة الشيخ في تنشيط الحركة العلمية والثقافية ونشر الوعي والإصلاح الاجتماعي:

إن ما تقدم من ترجمة الشيخ لهي ملامح عامة في حياته، وتعتبر تمهيدا لهذا الفصل الذي يعد لب هذا البحث ومقصده؛ ألا وهو الكشف عن مساهمات هذا العَلَم في نشر الثقافة والوعي بمنطقة وادي سوف. حيث سيتطرق هذا المبحث إلى أهم أعماله التي تقلدها، معرّجا على نشاطاته العلمية والتربوية، والإصلاحية، والسياسية.

فبعد رجوع الشيخ من جامع الزيتونة إلى بلده سوف بقي مدة بدون عمل مما اضطر إلى الانتقال إلى سيدي عقبة، والعمل في الأشغال الشعبية العمومية، حيث تحركت الأشواق في نفسه حين بعد عن بلدته وأهله. أما أهم أعماله بعد هذه الفترة:

3-1- اشتغاله بالمحكمة الشرعية:

شارك الشيخ في امتحان العدول بمجلس تقرت عام 1905م، ونجح فيه، إلا أنه انتظر خمس سنوات حتى يتولى وظيفة "عدل" ثم رقي إلى "باش عدل" بمحكمة كوينين عام 1913، ثم حول إلى المحكمة الشرعية بالوادي عام 1916م، وقد أظهر كفاءة مهنية علية ومكنة فقهية كبيرة، مما كان له أثر في سير أعمال المحكمة، فقد أكرمه الله بعلم غزير استغله في تنظيم الأحكام وتنفيذها وفق الفقه الإسلامي، لا سيما مذهب مالك، كما تمكن من الاجتهاد وفق آراء العلماء ولو في مذاهب أخرى؛ قصد التيسير ورفع الحرج. كما كان المرجع والمفتي داخل المحكمة وخارجها.

1- عاشوري قمعون، **العلامة...، مرجع سابق**، ص ص. 127- 139؛ إبراهيم بن محمد الساسي، **مرجع سابق**، ص 22- 25؛ قمعون عاشوري، **الشيخان...، مرجع سابق**، ص. 61؛ صادق بوطارفة، **مرجع سابق**، ص. 87؛ إبراهيم محمد الساسي العوامر، **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، تع. الجيلاني العوامر، المعارف للطباعة، ب. ت. ص. 13؛ علي غنابزية، **العلامة الشيخ إبراهيم...، مرجع سابق**، ص ص. 26- 27.

ومن أدلّ الأمثلة على نزاهته ونصرته للحق والدفاع عن مصلحة المظلومين؛ حادثة الأرامل اللواتي قُتل أزواجهن، وأُغير على إبلهن في حدود صحراء طرابلس، وتآمر الحكام العسكريين الفرنسيين باستئثار جزء كبير من الدية المالية التي أرسلتها الحكومة الإيطالية لأرامل المعتدى عليهم، إذ وقف الشيخ في وجه المتآمرين، وكشف خيانتهم للأمانة، فكان مصيره التنزيل في الرتبة من "باش عدل" إلى "عدل"، ونفيه إلى أولاد جلال، والتي بقي فيها على نفس منهاجه في الكفاءة المهنية ومنهجه التعليمي والتربوي، وظل عمله في المحاكم في أولاد جلال ثم توفرت إلى آخر حياته[1].

2-3- النشاط العلمي والتربوي:

رغم الوظيف الذي تقلده؛ فإنه لم يشغله عن التدريس والفتوى والتأليف وبث الوعي وتوجيه الناس، فكان يلقي العديد من المواعظ والدروس منها:

- درس صباحي تعليمي لبعض طلبته ينظمه يوميا عدا الجمعة بمنزله بـ "أولاد أحمد"، وكانت دروسه في اللغة والنحو والفقه وغيرها.

- دروس يومية لعامة الناس كان يلقيها بمسجد أولاد أحمد الكائن حاليا بسوق الوادي، ويدعى "جامع النخلة"، وكانت بعد صلاة المغرب، ولا تتعطل سوى ليلة الجمعة، وكان قد قسم أيام الأسبوع إلى قسمين: ثلاثة أيام لشرح مختصر خليل في الفقه، والأيام الأخرى تكون في تفسير القرآن الكريم، معتمدا بالأساس على تفسير العلامة الألوسي "روح المعاني".

والذي ينبغي الوقوف عليه هو طريقة تدريس الشيخ المتميزة، فقد جعل الشيخ دروسا خاصة بطلبة العلم تناسب مستواهم، ولم تكن هاته الدروس في مجالس عامة، بل كانت في بيته، ليضفي عليها طابع الخصوصية، ولا يدخل في

1- إبراهيم محمد الساسي العوامر، **مصدر سابق**، ص ص. 12-13؛ عاشوري قمعون، **الشيخان...** **مرجع سابق**، ص. 30، 40، 53؛ علي غنابزية، **العلامة الشيخ إبراهيم العوامر سيرته ومآثره**، ص ص. 6-7؛ علي غنابزية، "العلامة الشيخ إبراهيم العوامر مؤرخ الصحراء وسوف"، **جريدة النبأ**، ع. 165، الاثنين 29 صفر إلى 5 ربيع الأول 1415/ 8 إلى 14أفريل 1994.

حلقته من لم يكن مؤهلا لتلقي تلك الدروس، وجعل دروسا أخرى لعامة الناس تناسب مستواهم، ويستهدف بها حاجاتهم.

أما لغة التدريس فكانت في منتهى السهولة واليسر يفهمها الخاص والعام، على اختلاف درجاتهم، كما كان صدره رحبا يتقبل جميع الأسئلة مهما كان نوعها، و كان الشيخ لا يتجاهل السائل ولا ينهره إذا لم يفهم، بل يشرح له ويصبر معه، كما أنه لا يجد في نفسه حرجا من الخروج عن مشهور المذهب أو معتمده، بل أحيانا يخرج عن المذاهب الأربعة، دون أن يلتفت إلى انتقادات معاصريه في هذا الشأن؛ وهذا يدل على قوة الشخصية العلمية والمرونة الفقهية وعدم التعصب للمذاهب[1].

كما نجد أنَّ الشيخ إبراهيم، ابن الواحة شارك وجدان قومه فأحسَّ بتعطشهم إلى معرفة وطنهم من جميع النواحي؛ تاريخه، طبيعته، نسب سكانه، حالته الأدبية، فجاد حينئذ بكتابه الثمين "الصروف في تاريخ الصحراء وسوف" الذي حاول فيه إشباع حاجيات قومه الروحية، ويروي عطشهم للغة سليم وهلال[2].

3-3- النشاط الإصلاحي:

من المعلوم أن المحتل الفرنسي كانت له اليد الطولى في محاربة الدين ونشر الفساد الأخلاقي، وتسهيل إشاعة الآفات الاجتماعية المخالفة لتعاليم الدين الإسلامي، والتي لم تسلم سوف من هذه الهجمة الشرسة وتبعاتها، وكان الشيخ إبراهيم ممن تصدى وانبرى للوقوف ضد هذا الخطب، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يخاف في الله لومة لائم، ومن أساليبه أنه رسم خطة حكيمة قام فيها بتجميع ثلة من أهل البلد، تحت غطاء المسامرات الدينية، وتقديم دروس في تفسير القرآن الكريم، أو شرح سيدي خليل، وذلك يوميا بعد صلاة المغرب بمسجد أولاد أحمد (جامع النخلة) بغرض توعيتهم وتوجيههم وإيقاظ ضمائرهم، وقد توصل

1- إبراهيم العوامر، **الأصول...**، **مصدر سابق**، ص ص. 18- 19؛ إبراهيم بن محمد الساسي، **الصروف...**، **مصدر سابق**، ص. 20؛ عاشوري قمعون، **الشيخان**، **مرجع سابق**، ص. 33-37؛ علي غنابزية، **العلامة الشيخ إبراهيم...**، **مرجع سابق**، ص ص. 7-8.

2- إبراهيم العوامر، **الصروف...**، **المصدر السابق**، ص. 16.

بفضل ما عرف به من مكنة أدبية وغيرة وطنية أن اهتدى على يديه الكثير، وكوّن بذلك طبقة واعية، من قرى سوف والزقم وحاسي خليفة وعميش وغيرها.

وتكونت بذلك في المجتمع السوفي طبقة من المثقفين والمتفقهين، الذين حملوا رسالة الإصلاح على خطى شيخهم ومربيهم الشيخ إبراهيم العوامر[1]، وهذا من أنبل المقاصد وأرفعها. وقد تقدم ذكر انتمائه لأكثر من طريقة صوفية، إذ كانت في ذلك العهد الرباط المعروف للدين، كما أنها تضم العديد من طلاب القرآن الذين يهتمون بالعلم.

وقد أدرك الشيخ بوعيه الثاقب وعبقريته الفذة، خطط الاستدمار الفرنسي بالجزائر، الرامية إلى القضاء على اللغة العربية وإضعاف العاطفة الوطنية والدينية[2]، فاستغل هذه الزوايا وسيلة للتذكير بالمبادئ الإسلامية وإحياء اللغة العربية التي آلت إلى زوال بإعراض الناس عنها وإقبالهم على اللغة الفرنسية، فعلت صرخته في دروسه، وخاصة من خلال شرح كتاب "الحيارى وتحذير المسلمين من تعليم أولادهم في مدارس النصارى"[3].

وحتى وهو في منفاه في توقرت، وأولاد جلال الذي اختارته له الغطرسة الفرنسية، لم يثن عزمه، ولا التهديدات ولم تصرفه شتى المؤامرات عن رسالته المقدسة دفاعا عن العروبة والإسلام[4].

3-4- النشاط السياسي:

مما امتاز به الشيخ إبراهيم، أنه لم يكن قابعا على عمله في المحكمة وتعليم العلم الشرعي؛ بل امتد إلى اهتمامه بالأحداث السياسية التي تعصف بالأمة الجزائرية، وشغفه بما يحدث في العالم الإسلامي من أحداث وتطورات، فكان

1- علي غنابزية، **العلامة الشيخ إبراهيم...، مرجع سابق**، ص 8- 9؛ علي غنابزية، جريدة النبأ، **مرجع سابق**؛ إبراهيم العوامر، **الصروف...، المصدر السابق**، ص ص. 10-11.

2- **المصدر نفسه**، ص ص. 15- 16.

3- **نفسه**، ص ص. 10-11.

4- إبراهيم العوامر، **الصروف...، مصدر سابق**، ص. 16.

يجمع أتباعه بعد كل صلاة عشاء، في أحد المنازل بـ"أولاد أحمد" عينه لندواته التي تستمر حتى ساعة متأخرة من الليل، فيذكرهم بأهم المجريات السياسية التي اطلع عليها من بعض الصحف والمجلات؛ من ذلك حال الخلافة وما آلت إليه من ضعف، وما كان يجري من حروب في البلقان مع تركيا، والاحتلال الفرنسي للمغرب الأقصى، وبخاصة ما يتعلق بأخبار المجاهدين الليبيين في حرب طرابلس ضد المحتل الإيطالي، الذي اتُّهم بأن له صلة سرية ببعض مناضليها.

ومن قصص الشيخ التي تؤكد هذا الحماس: أنه في إحدى الليالي حمل الشيخ لجلسائه قصيدة منسوبة للمدعو "محمد السوفي" موجهة للمجاهدين من قبيلة غريان الليبية، تتضمن تحريضا على قتال العدو، والصمود في وجهه، فقرأها عليهم[1].

4- خصال ومآثر الشيخ إبراهيم:

4-1- توحيد الصفوف:

لما استقر المقام بالشيخ في بلده بعدما أتم دراسته بتونس، وجدها في ظل محتل غاشم يعيش في جهل وفقر وظلم، ويسود أبناءها التشتت والفرقة والاختلاف والخصومات بين القبائل بل داخل الأسرة الواحدة، وقد كان المستدمر يستغل الفرصة لإذكاء نار الفتنة والخلاف ببث سياسة "فرق تسد" ما أدى لأن يكون التصادم والتقاتل والتنازع هو واقع المناسبات والاجتماعات، ما جعل الشيخ يتدخل لتغيير هذا الوضع الخطير، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتأليف القلوب وتوحيد الصفوف وإزالة الضغائن والأحقاد بعد الاستعانة بالله وتوفيقه.

4-2- تأليف الرجال:

إذا كان بعض العلماء قد ترك تراثا ضخما من الكتب والمؤلفات، فإن الشيخ إبراهيم قد زاد على ذلك أن ترك زادا من الرجال والأعلام الذين تربوا على يديه،

1- علي غنابزية، **العلامة الشيخ إبراهيم...، مرجع سابق**، ص. 9؛ إبراهيم العوامر، **الصروف...، مصدر سابق**، ص. 12؛ عاشور يقمعون، **الشيخان، مرجع سابق**، ص. 44؛ علي غنابزية،"العلامة الشيخ..."، **مرجع سابق**، ع. 165.

وبرعوا في مختلف الفنون والعلوم؛ أمثال الشيخ نعيم النعيمي، وحمزة بوكوشة، والشيخ حسني الهاشمي، والشيخ الميداني موساوي، والعيد بكار، وغيرهم من رجال العلم والفضل.

4-3- دفاعه عن اللغة العربية ومحافظته عليها:

لما كان من خطط المستدمر الفرنسي بالجزائر القضاء على اللغة العربية، كرّس الشيخ جهوده في الدفاع عن هذا المبدأ، وهو أصالة اللغة العربية، وذلك من خلال دروسه الخاصة والعامة، بخاصة شرحه وتعليقه على كتاب "إرشاد الحيارى وتحذير المسلمين من تعليم أولادهم في مدارس النصارى"، مدركا الخطر الذي تحمله هذه المدارس الفرنسية، ولا يعني هذا بغض الشيخ للغة الفرنسية ذاتها، وإنّما الخوف من آثارها المتعلقة بأفكار وتوجهات المستدمر، المعادي لعقيدة وهوية الأمة الجزائرية، بدليل حرصه على تعليمها لأبنائه وتعلمه شيئا منها.

4-4- تحرّي الحق والتمسك بالعدل:

من تتبع أحوال الشيخ أثناء وظيفته بالمحكمة، وجد أنه كان يتحرى العدل والنزاهة في الأحكام القضائية، وكانت مواقفه غير مقبولة في كثير من الأحيان لدى حكام فرنسا والموظفين الرسميين من زملائه في المحكمة أو القايد، فيكيدون له المكايد، لكن الله ينجيه منها. بل تعرض لمحن عظيمة بسبب صدعه بالحق وتمسكه به، من ذلك حادثة "بنات الملوح" التي ذكرناها قبلا، والتي ترتب عليها نفيه وإنزال رتبته الوظيفية وحبس تلميذه .وهذه الخصلة الشريفة تستدعي خصلة عظيمة أخرى، وهي الصدع بالحق وعدم الخوف في الله لومة لائم.

4-5- شغفه بالمطالعة وجمع الكتب والصحف:

كان رحمه الله كثير الاطلاع والقراءة، إضافة إلى كونه جمّاعا للكتب مُغرما باقتنائها طول حياته، فكان يحرص على اقتناء أي كتاب يصدر ب شمال إفريقيا أو المشرق العربي مهما كان نوعه، ومن الأدلة على ذلك قائمة المصادر التي اعتمد عليها في كتابه الصروف، والتي تنبئ عن سعة الاطلاع والتنقيب في بطون الكتب التي

كان يمتلكها أو يستعيرها، يضاف إلى ذلك مسايرته لما يكتب في الجرائد والمجلات التي تصدر بالقطر الجزائري، ولم يعرف له مشاركة في الجرائد الجزائرية؛ غير جريدة الفاروق لصاحبها عمر بن قدور، وجريدة البلاغ الجزائري، لصاحبها أحمد ابن عليوة[1].

5- الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث نخلص إلى عدة نتائج نجملها في النقاط التالية:

- الشيخ إبراهيم بن عامر علم بارز، من أعلام الجزائر الذين تبوؤوا مكانة مرموقة، بفضل إسهاماته وتضحياته.

- لم تكن حياة الشيخ وسيرته حياة سهلة مترفة؛ بل مليئة بالعقبات والصعوبات إلى آخر يوم من حياته.

- لقد كانت المرحلة التعليمة التي رحل فيها الشيخ إلى تونس نقطة هامة في حياة الشيخ؛ إذ صقلت موهبته العلمية والتربوية.

- الملكة الكتابية لدى الشيخ، ساعدته في تأليف العديد من الكتب في شتى الفنون؛ كالفقه، واللغة، والتاريخ، والأدب، وغيرها. ونال بذلك مكانة عالية في مجتمعه وبين أهله وخِلاّنه.

- تأثيره العلمي على تلاميذه، حيث تخرج على يديه الكثير من العلماء والفقهاء والأدباء، تبوأ البعض منهم، مناصب رائدة في مختلف المجالات الدينية والدنيوية.

المقترحات والتوصيات:

- من خلال هذه السيرة البارزة، نعلم أن الجزائر لا تزال تزخر بأعلام كثر تحتاج منّا إلى إماطة اللثام عن مآثرهم وإنجازاتهم، وإذا كنا نتكلم عن الجزائر عموما، فإن وادي سوف خصوصا، بها عدد لا بأس به من الأعلام الرائدة في شتى المجالات الدينية والدنيوية، وهذا يستدعي منا بذل الجهد وتظافر الجهود للحفاظ على هذا

1- علي غنابزية، **العلامة الشيخ إبراهيم...**، **مرجع سابق**، ص ص. 22-26.

التراث الثمين قبل فوات الأوان.

والحمد لله رب العالمين.

6- قائمة المراجع:

- العمامرة سعد، منصوري أحمد، **أعلام من سوف في الفقه والثقافة والأدب**، مطبعة مزوار، الوادي، 2006.

- العوامر إبراهيم، **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، تع. الجيلاني العوامر، المعارف للطباعة، ب. ت.

- (ـــــ،ـــــ)، **الأصول الحسان لما به ثبوت صوم رمضان**، تح. ياسين باهي، مطبعة سامي، الوادي، 2021.

- بوطارفة الصادق، "قراءة في إسهامات النخب المحافظة السُوفية في كتابة التاريخ المحلي من خلال مخطوط الصُّروف لإبراهيم بن عامر"، **مجلة علوم الإنسان والمجتمع**، مج. 4، ع. 2، 2015.

- سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.

- غنابزية علي، "العلامة الشيخ إبراهيم العوامر مؤرخ الصحراء وسوف"، **جريدة النبأ**، ع. 165، الاثنين 29 صفر إلى 5 ربيع الأول 1415/ 8 إلى 14أفريل 1994.

- (ـــــ، ـــــ)، **العلامة الشيخ إبراهيم العوامر سيرته ومآثره**، مخ. 1996.

- (ـــــ،ـــــ)، **مجتمع وادي سوف 1882-1954م**، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث المعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2009/2008،

- قمعون عاشوري، "العلامة الشيخ إبراهيم بن عامر حياته وآثاره"، **مجلة المنهل**، مج. 1، ع. 2، 2015.

- (ـــــ،ـــــ)، **الشيخان**، مطبعة مزوار، الوادي-الجزائر، 2010.

- نويهض عادل، **معجم أعلام الجزائر**، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1980م.

الرّحلة العلميّة للشّيخ محمد اللقاني بن السايح
وأثرها العلمي بحاضرتي قمار وتماسين

The scientific journey of Sheikh Muhammad al-Laqani ibn al-Sayih and its scientific impact in the towns of Qamar and Temacine

ط. مسعود قحمص

كلية العلوم الإسلامية -جامعة الوادي (الجزائر)

messaoudgoh@gmail.com



ملخص:

الحديث عن الرحلة العلميّة للشّيخ محمد اللقاني بن السائح وأثرها العلمي بحاضرتي: وادي سوف ووادي ريغ، وقد عالجنا فيه الإشكاليّة الّتي مفادها: التّعريف بالشّيخ ورحلاته والأثر الأدبي والعلمي الذي تركه بالمنطقة، وقد قسّمنا الموضوع إلى ثلاثة مطالب: المطلب الأوّل للتّعريف بالشّيخ محمد اللقاني بن السايح، والثّانيّ تحدثنا فيه عن أهمّ رحلاته العلميّة، وفي الثّالث عن أهمّ الآثار التي أفرزتها تلك الرّحلات العلميّة، خاصة بعد استقرار الشّيخ بتماسين وقمار، وقد خرجنا بنتائج منها: أنه رحمه الله شيّد ثقافة عربية ورسّخ للهوية الإسلامية ليس في قمار وتماسين فحسب بل في وادي ريغ وما جاورها من بوابة الزاوية التجانية بتماسين وفي وادي سوف وما جاورها من بوابة الزاوية التجانية بقمار.

الكلمات المفتاحية: الرّحلة العلميّة، محمد اللقاني؛ تماسين، قمار؛ الأثر.

Summary:

This article discusses the scientific journey of Sheikh Muhammad al-Laqani ibn al-Sayih and its scientific impact in the regions of Wadi Souf and Wadi Righ. It addresses the problem of defining Sheikh Muhammad and his journeys, as well as the literary and scientific influence he left in the area. The article is divided into three sections: the first introduces Sheikh Muhammad al-Laqani ibn al-Sayih, the second highlights his most important scientific journeys, and the third explores the significant impact of these scientific journeys, especially

after his settlement in Temacine and Qamar. The results indicate that he significantly contributed to Arab culture and strengthened Islamic identity, not only in Qamar and Temacine but also in the commercial center of Wadi Righ and its surroundings in Boufai and Wadi Souf's Zawiyah gateway.

Keywords: *journey; scientific; Muhammad al-Laqani; Temacine Qamar; impact*

1- مقدمة

نركز في المداخلة على الأثر العلمي، للرحلة العلميّة للشّيخ محمد اللقاني بن السائح[1] بحاضرتي: وادي سوف ووادي ريغ، من خلال الإجابة عن التساؤل الآتي: ما هو الأثر الأدبي والعلمي للرحلات العلمية للشيخ على ساكنة المنطقة؟ ونعالج الموضوع من خلال التعرف على طرق تدريسه وكتاباته نثرا وشعرا، وإنجازات طلابه في شتى المجالات وغير ذلك مما يصح أن يكون أثرا للرحلة العلمية.

2- آثاررحلته العلمية من خلال الدّرس والوعظ:

فبعد تحصل الشيخ اللقاني على الشهادة العالمية من الزيتونة، عاد لمسقط رأسه وربوع صباه الطيبات، سنة: 1338هـ/1920م[2] وفي ذلك الأوان: تم الاتصال به من طرف الزاوية التجانية بتماسين، التي فتحت أبوابها مرحبة به للتدريس بها وبث علومه فيها، فأسّس بها مدرستين على نمط النظام الزيتوني[3] أو بما يسمى هناك بإصلاحات ما بين 1933/1912م

وقد ذكر الشيخ الطاهر التليلي[4] في كناشه الذي كتب فيه حول حياته، عند كلامه عن دراسته حال صباه (1242هـ، 1923م): "وقد كنت في تلك الأثناء: أحضر

1- حول ترجمة الشيخ، ينظر: مسعود قحمص، **الشيخ محمد اللقاني بن السايح حياته وآثاره**، شركة الأصالة للنشر، 2021.

2- الهادي السنوسي الزاهري، **شعراء الجزائر في العصر الحاضر**، ج. 1، المطبعة التونسية، 1926، ص. 32.

3- **نفسه، الموضع نفسه.**

4- هو علامة ڤمار، الفقيه الأديب الشاعر المولود بها سنة 1912 أخذ القرآن وبعض العلوم على مشائخ قمار ثم انتقل إلى الزيتونة وتحصل منها على شهادة التطويع، درّس بمدرسة النجاح الحرة بقمار وبثانوية الأمير عبد القادر بتقرت، له مؤلفات ومخطوطات ومنظومات عدة في بعض المسائل العلمية، كما له تلاميذ كثر، توفي بقمار بتاريخ 2003/11/12.

دروس الشيخ محمد اللقاني بن السائح، عندما يكون في قمار يدرّس أبناء الزاوية التجانية، فقد عمل معلما بالزاوية المذكورة، ونظم دروسا للناشئة التجانية على نظام المدارس الابتدائية بتونس، علاوة على دروس الدين للعامة القمارية، فكنت أحضر ما يمكنني من دروسه في السنة المذكورة وما قبلها"،[1] كما ذَكر أنه درس عنده بعد ذلك بالزيتونة"[2].

ويقول عنه الشيخ أحمد التجاني التماسيني: "وكان أول من أدخل التعلم والفنون التي كانت لم تدرس بالصحراء..."، ويضيف: وكان يقول لنا في تعليمه: "أنه لن يبارح الزاوية حتى يترك فيها علماء وأدباء يبثون العلم في صدور الرجال"؛ فحقق الله أمنيته[3].

وجاء في إحدى المنشورات التابعة للزاوية التجانية بتماسين بعنوان: "الزاوية التماسينية بين الأمس واليوم" عند ذكر المشايخ الذين درسوا بمدرستها على عهد الشيخ محمد العيد الثاني ما بين سنتي 1918 و 1927 ونصه: "والشيخ اللقاني مدة حوالي سبع سنوات جدد فيها خطة التعليم بأسلوب مميز، لم يسبق له نظير، ودرّس في تلك الفترة اللغة والأدب والتوحيد والفقه والتاريخ والحديث والتفسير والمنطق.. وكلّف الشيخ أحمد التجاني، الشيخ الصادق التجاني بالتدريس على منهج الشيخ اللقاني"[4].

ولم يكن للشيخ اللقاني خلال تدريسه طريقة واحدة، بل له أساليب وطرق متعددة ومناهج متنوعة، فمرة بطريق التلقين، ومرة بالنقاش وطلب الحجة والبرهان، ومرة بالنظم والشعر، وأخرى بالمقالات والنثر ونشر ذلك، ومرة بإلقاء

1- كناشة بعنوان **حياتي**، للشيخ الطاهر التليلي، **مخ. توجد منه نسخة لدى الطالب عبد الفتاح ونيس**، بقمار.

2- كان ذلك: سنة 1251هـ/1932م، درس عليه شرح البيقونية في مصطلح الحديث وشرح: بانت سعاد.

3- وثيقة مخطوطة للتأبينه من طرف الشيخ المذكور، عثرنا على نصها مكتوبا من طرف الأستاذ النذير التجاني. لقاء عبد الباقي مفتاح، ببيته، بقمار بتاريخ: 2005/12/6.

4- منشورة للمجمّع الثقافي التماسيني بعنوان: (الزاوية التجانية بين الأمس واليوم) ص ص، 15-16.

المحاضرات الشفاهية، ومرة بالفتاوى المؤسسة على قواعد قوية ومتأصلة...

كما كان الشيخ اللّقاني يساهم بقلمه وفكره في الكثير من الجرائد الجهوية والوطنية، فإنه قد أسّس بمدرسته بزاوية قمار مجلة، فكان يأمر طلابه بالكتابة فيها ويقول لكل طالب اكتب مقالة لأطلع على معلوماتك وأفكارك، كما كان يوجّه طلبته بتحرير المقالات وإرسالها لتنشر في جريدة النجاح بقسنطينة، ويأمرهم بتقديم محاضرات أمام الطلبة وأمام العامة من أجل تعليمهم فن الإلقاء[1].

3- آثاررحلته العلمية بالكتابة والتأليف:

على قدر جلال الشيخ اللقاني وغزارة علمه وملكته في النثر والشعر؛ إلا أن المصادر الموجودة عندنا لم تكد تذكر شيئا عن مساهمته في التأليف، مما يدل على أن كثيرا من العلماء في عصره كانوا يبذلون ويوزعون جهودهم العلمية في التدريس ونشر المعرفة شفاهيا[2]، بيدَ أنّ له بعض المقالات والأشعار المنثورة في الصحف الجزائرية والتونسية[3].

كما اشتهر الشيخ اللقاني بمواقفه الرافضة والمنددة بالاستعمار الفرنسي، يوم كان المستعمر يحيط الوضع الجزائري بأغلال استبداده وشدة بطشه، حيث ظهرت به عدة آفات تضرر منها: كالجهل والفقر وقلة الوعي وعدم الشعور بالمسؤولية، فكان -رحمه الله- أحد محاربي تلك الآفات، ومن المؤسسين للنهضة الفكرية الجزائرية، وغارسي بذورها ومن أبرز زعمائها؛ بما كان ينشره في الجرائد الوطنية من أفكار ثورية وأشعار حماسية قوية، ومقالات نثرية بديعة، ودروس محلية، كانت تصب جميعها في حوض التنديد والاستنكار بالاستعمار الحاقد، وخاصة في فترة مكثه بالزاوية التجانية[4]، وحسبنا أن نعرض منها هنا نماذج

1- وثيقة مخطوطة لتأبينه من طرف الشيخ المذكور عثرنا على نصها مكتوبا من طرف الأستاذ النذير التجاني.

2- مسعود قحمص، **مرجع سابق**، ص. 109.

3- مثل: المنتقد والشهاب وصدى الصحراء، والإقدام، وجوهر الإسلام التونسية وغيرها.

4- أحمد مفتاح القماري، **مصدر سابق.**

مختصرة منها:

بني الجزائر هذا الموت يكفينـا ... لقد أغلت بحبل الجهـل أيدينـا

بني الجزائر هذا الفقر أفقدنـا ... كل اللذائــذ حينا يقتفي حيـنـا

بني الجزائر هذا اللهو أوقعنـا ... في سوء مهلكة عمـــت نوادينا

بني الجزائر قولي مالكم غـربا ... عن نيل نكرمـة ترضي المحبيـنا

بني الجزائر قومي استيقظـوا ... فلكم أذاقنا اللهو والإهمال تهوينا

بني الجزائر ما هذا التقــاطع ... من دون البرايا عيوب جمعت فينا

ويقول معبرا عن شوقه لوطنه الجزائر، محضا أهل العقول على الهبّة الكبرى لرفع شأنها ونصرتها[1]:

أنا أهـــــواك ومثلـــــي ... في الهوى لا يبالي

صار جسمي من تباريح الجـوى ... كالخــــلال

يـا ذوي الألبـاب يا أهل الحجى ... والصــــلاح

وطنـوا النفس لأسبـاب العـلا ... والنجــــاح

وارفعوا الوطن المفدّى المجتبى ... بالجنــــاح

فحيـاة الوطن تُعلي شـأنكـــم ... في النـــواحي

واطلبـوا ما ضاع حق طالبـوه ... في اعتـــدال

وقال -رحمه الله- في مقال له بعنوان: "من معاني العبادة في الإسلام": فالصلاة مثلا، التي تتكرر في اليوم خمس مرات على الأقل، ليست إلاّ مراكز في طريق السير إلى الله، يقف المصلي فيها لحظات ليتزود من طاقة الإيمان والعزيمة، ويتفقد فيها مركبة السير ،فيجدد ما وهن من دواليبها، ويشد ما تراخى من جهازها، حتى إذا استأنف السير من جديد كان أقوى ما يكون، وأمتن ما يمكن، وهذا إلى أن تقف به

1- المصدر السابق، الصفحات نفسها.

على شاطئ السلام[1].

4- أثر رحلته العلمية في إنجازات طلابه:

كان الشيخ محمد اللقاني بن السايح، يركّز في كل الوسائل التي ذكرنا، على غرس الروح الوطنية، والربط بين الاسلام والوطنية، والتركيز على عنصر الشباب، كعامل أساس لنهضه البلاد، وكذا ربط الحاضر بالماضي، من خلال دروس السيرة النبوية، وعرض نماذج من شخصيات التاريخ الاسلامي البارزة، ويظهر ذلك من خلال ما بذل له عمره واستنفذ فيه جهده من الاستثمار في الإنسان وتأليف الرجال.

ولو تأملنا حال طلابه عموما لوجدنا أنهم من النخبة في تلك الفترة على مستوى الوطن، ومن أبرزهم: أعضاء اتحاد الطلبة الجزائريين الزيتونيين بتونس[2]، منهم رجل التعريب ووزير التعليم الاصلي والشؤون الدينية سابقا مولود قاسم نايت بالقاسم[3] والشيخ محمد كِتّو[4]، والشاعر محمد الأخضر عبد القادر السائحي، وأحمد حمّاني مفتي الجمهورية الجزائرية سابقا. والأديب موسى أحمدي نويوات النحوي العروضي[5]، والشيخ الطاهر التليلي القماري، والشيخ المهدي البوعبدلي[6]، والدكتور صالح خرفي[7]، وابنه الأستاذ سعد الدين بن السايح، والشيخ

1- مجلة جوهر الإسلام التونسية ع. 2، س، 1، 1968.

2- حسب شهادة الأستاذ سعد الدين اللقاني وغيره من تلاميذ الشيخ اللقاني، فمنهم من درس عليه رسميا بالزيتونة، ومنهم من درس عليه في بيته أو في أي مكان، تحضيرا للامتحانات الزيتونية. [هذه الهيئة التي أسست سنة: 1934، من أجل لم شمل الطلبة الجزائريين وتوحيد مطالبهم].

3- وزير التعليم الأصلي والشؤون الدينية الجزائري سابقا، رجل التعريب، المولود بـ: أقبوا، بجاية بتاريخ: 1927/01/06، والمتوفى في أوت 1992.

4- الواعظ، القارئ، المفتي، المدرس الإذاعي الشهير، المولود بأزفون بتاريخ: 1915/12/15، والمتوفى بالعاصمة بتاريخ 1999/10/30. والذي كان الشيخ اللقاني: يكنّ له حبا كبيرا.

5- **الأديب النحوي العروضي.** الشاعر، المولود بالطبوشة المسيلة بتاريخ: 1903/01/15 والمتوفى سنة: 1999

6- المولود سنة: 1907، بـبطيوة خريج الزيتونة، له إجازات كثيرة وعشرات المداخلات والمحاضرات والمقالات المطبوعة والمخطوطة وبحوث ومؤلفات مخطوطة،تتولى الإمامة والإفتاء وتوفي سنه 1992.

7- ولد 1938 بالقرارة درس بها في معهد الحياة ثم بالزيتونة والخلدونية حائز على الدكتوراه سنة 1970 له مقالات صحفية ودواوين شعرية ونشاط يذكر في المجال الفكر والأدبي والثقافي وتوفي سنة 1998.

أحمد رحماني، والأستاذ عبد الرحمان رحماني[1].

والكثير من أبناء الزاوية التجانية بقمار وتماسين وعلى رأسهم الشيخ أحمد التجاني التماسيني، والأستاذ محمد التجاني التغزوتي والشيخ احميده يمبعي التغزوتي، والشيخ امحمد التجاني بالبياضة، والشيخ الصادق التجاني، والأستاذ عبد الحميد التجاني التماسيني.

وإذا تحدثنا عن التدريس والدعوة الى الله، وهو ما كان ديدنه معظم حياته، سواء أستاذا بالزاوية التجانية أو بالزيتونة، أو إماما بمساجد دائرة العمران بتونس أو غير ذلك، لوجدنا أن كل طلابه تقريبا عملوا خطباء وأئمه ومعلمين تعليما دينيا في المساجد أو أساسيا في المدارس الرسمية. وعلى رأسهم بقمار علاّمتها: الشيخ الطاهر التليلي والشيخ علي بن سعد[2]، والأستاذ التجاني التغزوتي والشيخ امحمد التجاني بالبياضة والشيخ بلقاسم بن الساسي والشيخ احميدة يمبعي والشيخ علال بن العروسي وغيرهم. وبتماسين وما جاورها نجد الشيخ أحمد التجاني التماسيني، والشيخ البشير التجاني التماسيني، والأستاذ علي كافي والشيخ أحمد كافي، والأستاذ عبد الحميد التجاني، والشيخ أحمد رحماني، والشيخ محمد بن سليمان حمداوي، والأستاذ الصادق التجاني والأستاذ الأخضر السائحي، والأستاذ عبد الرحمان رحماني، كلهم عملوا في مجال الدعوة. وإذا طرقنا مجال التأليف، نجد الشيخ التليلي، والشيخ أحمد رحماني والشيخ محمد بن سليمان حمداوي[3] وغيرهم.

1- المولود ببناصر الطيبات سنة: 1937، والذي درس أولا على يد والده الطالب محمد بن السائح ثم زوّد معارفه بالزيتونة 7 سنوات، عمل بعد ذلك معلما ثم مدير مؤسسة تربوية بالعاصمة، ومازال يسكن بها إلى الآن.

2- ينظر: التجاني العقون، **أعلام من قماربوادي سوف**، مطبعة سخري، ص ص. 264-265.

3- عَلَم الطيبات وعلامتها، الشيخ محمد بن سليمان حمداوي، المولود خلال سنة: 1910، بالغربية بالطيبات، درس بالطيبات وبالزيتونة، له إجازات علمية شارك في ثورة التحرير الوطني، عاش يبث علمه وفتاواه الشرعية في الطيبات وما جاورها، له مؤلفات مخطوطة مثل: رسالة في الميراث، ديوان الخير، توفي بالقواشيش، بتاريخ: 1994/05/04.

وإذا تكلمنا عن العمل الصحفي، وقد كان من رواده إذ كان له خلال رحلته العلمية الثانية لتونس بإذاعتها الوطنية برنامجا دينيا لمدة سبع سنوات يدعى "حديث الصباح"[1]، كما عمل بنفس الإذاعة محرّرا لغويا، يقي ألسنة المحررين من الوقوع في الأخطاء في لغة القرآن الكريم، فضلا عن كتاباته قبل ذلك في الجرائد المحلية آنذاك، منها: المنتقد والشهاب وغيرهما. ونجد الأستاذ الأخضر السائحي في برنامجه الإذاعي: "ألوان"، والأستاذ الصادق التجاني في برنامجه: "النور والأمل".

وإذا تكلمنا عن العمل الإصلاحي، وهو الذي يعد من رجال الإصلاح المصلحين، بل كان ربما بالغ في استعمال وسائل الإصلاح، وصادق وراسل كل من يرى أنه له علاقة بذلك من قريب أو بعيد، خاصة فيما يخص إيقاظ همم الشعوب والشباب، واستنفارهم للتسلح بالعلوم النافعة ونبذ الجهل والتشتت والانحراف والشقاق. وغيرها.

وإذا تكلمنا عن الرحلة في طلب العلم، نجدها عند كثير منهم فمثلا الشيخ أحمد رحماني، ورحلته العلمية إلى الأزهر الشريف، والشيخ بلقاسم بن الساسي ورحلته العلمية إلى المدينة المنورة، والشيخ البشير الشابي ورحلته العلمية الى العراق، والأستاذ التجاني التغزوتي، ورحلته إلى المغرب، وطلبته الآخرون ورحلاتهم العلمية إلى تونس.

وفي شأن الفتوى، فقد عُرض عليه منصب الفتوى على أعلى مستوى في تونس، غير أنه رفض ذلك ورَعا وتعففا معتذرا بوصية والده له: "بألّا يمارس غير التعليم"[2]. إلا أن للشيخ فتاوى متناثرة بين أترابه وطلابه وحتى العامة من معاصريه، وإن لم نعثر سوى على القليل منها، وأكيد بما أن مسقط رأسه الطيبات فقد كانت له زيارات لها كل ما دعت الحاجة، فكان ينشر فيها الوعي بفتاويه

1- لقاء مع الأستاذ سعد الدين اللّقاني، ببيته بسليمان ولاية نابل بتاريخ: 2005/12/26.

2- لقاء مع السيد محمد الهادي اللقاني بن السائح، في جلسة معه ببيته بحمام الأنف، تونس، بتاريخ: 2014/03/04.

ودروسه وغيرها بل كان ينشر فيها الوعي بصلاح حاله وأخلاقه أولا؛ فنجد ممن تأثر به في ذلك: الشيخ الطاهر التليلي، والشيخ المهدي البوعبدلي، والشيخ محمد بن سليمان حمداوي الطيباتي وغيرهم...

وإذا تكلمنا عن الروح التحرّرية التي كان يرتكز عليها والجهاد في سبيل الله، والذي كما أسلفنا أداه في شبابه بالقلم والتوعية في الجزائر، وأكثر من ذلك فإن الشيخ اللّقاني لم تمر عليه فترة ما في حياته لم يحدّث نفسه بالجهاد؛ فقد أوصى في آخر عمره بمكتبته كثيرة الكتب، غالية الثمن، أن تباع لأولاده أولا - إن أرادوا شراءها - أو لغيرهم ممن يحترم العلم، وتوقف عوائدها في صندوق دعم فلسطين[1].

وإذا تكلمنا عن تأسيس المدارس، نجد الأستاذ الأخضر السائحي ومدرسته النجاح، والأستاذ الصادق التجاني الذي أسس مدرسة حرة، والشيخ محمد بن سليمان حمداوي الذي أسس كذلك مدرسة حرة بداره بالطيبات. وأخيرا وليس آخرا إذا تكلمنا عن الشعر، نجد كل من كتب الشعر من طلابه تأثر بنهجه في ذلك، خاصة في المجال التحرّري والإرشادي والوطني، خاصة أنه الوحيد الذي ترجم له الأستاذ الهادي السنوسي الزاهري من هاته المنطقة، فتناقل الكل شعره قديما.

وبعد هذا وذاك؛ فإن شيخا كان من ثمرته هذا الكمّ الهائل من المتتلمذين عليه ممن تربّعوا على عرش الجزائر الثقافي والديني ردحا من الزمن، فصاروا مشايخ وعلماء ومصلحين، وأثروا بإسهاماتهم في الحياة الفكرية والثقافية من خلال نشرهم للعلم في المنطقة بتفان وإخلاص، وكانوا روّادا في العلم والثقافة والتربية الروحية، كل حسب مكانته ومستواه، مُجسّدين بذلك طرق تدريسه المتنوعة، التي تأثروا بها وأثّروا بها على طلابهم والمتلقين عليهم. وإنّه لجدير بأن تُقابل إنجازاتُه من الخاص والعام، بالتثمين والاحترام.

1- لقاء مع أحمد للح بن بورقعة، صديق الشيخ اللقاني ووصيّه، بالزاوية التجانية بقمار، بتاريخ: 2014/03/13.على الساعة 18:00.

5- الخاتمة:

وفي آخر هذا العرض حول الرحلة العلمية للشيخ محمد اللّقاني بن السايح وأثرها بحاضرتي ڤمار وتماسين نستنتج ما يأتي:

- أن الشيخ اللّقاني قامة علمية وأدبية يعز نظيرها؛ ففي الزمن الذي كان الناس يتحدّون فيه الجوع والفقر، كان يتحدّى الجهل ومشاقّ السفر في طلب العلم والصبر والمصابرة على ذلك بشتى الطرق.

- أنّ رحلته الى تونس صقلت مواهبه ورفعت مستواه العلمي والمعرفي.

- أنّ الشيخ اللّقاني برحلته المذكورة، أفاد الوطن الجزائر عامة وأهل الواديين خاصة.

- أنّ أثر رحلته العلمية أكبر من أن ينظم في مداخلة مختصرة؛ فقد شيّد -رحمه الله- ثقافة عربية ورسّخ للهوية الإسلامية ليس في ڤمار وتماسين فحسب، بل في وادي سوف ووادي ريغ وما جاورها.

- أنّ أثر بصمته واضح في المنطقة من خلال منهج تدريسه وفكره وأدبه ومن ثم طلابه الذين هم امتداد لذلك.

6- قائمة المصادروالمراجع:

* القرآن الكريم.

1- **الكتب والوثائق:**

- **التليلي الطاهر، الذين عرفتهم من علماء قمار، مخ. توجد منه نسخة لدى الطالب عبد الفتاح ونيس،** بقمار.
- التليلي الطاهر، كناشة بعنوان حياتي في يد الأستاذ عبد الباقي مفتاح القماري.
- التماسيني أحمد التجاني، **وثيقة مخطوطة لتأبين للشيخ اللقاني،** عثرنا على نصها مكتوبا من طرف الأستاذ النذير التجاني قمار.
- السائحي محمد الأخضر عبد القادر، **تراجم ومختارات من الشعر الجزائري الحديث،** المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- السنوسي الزاهري محمد الهادي، **شعراء الجزائر في العصر الحاضر،** ج. 1، المطبعة التونسية، 1926.
- العقون التجاني، **أعلام من قماربوادي سوف،** مطبعة سخري.
- قحمص مسعود، **الشيخ محمد اللقاني بن السايح حياته وآثاره،** شركة الأصالة للنشر،2021.

2. **اللقاءات الشخصية:**

- لقاء مع الاستاذ سعد الدين بن السايح، نجل الشيخ اللقاني، ببيته بسليمان ولاية نابل، بتاريخ 2005/12/26.
- لقاء مع الأستاذ عبد الرحمان رحماني، ابن أخ الشيخ اللقاني وتلميذه، ببيت عبد الوهاب رحماني، ببناصر، يوم: 2013/07/14، بعد صلاة المغرب.
- لقاء مع الاستاذ علي سويسي، تلميذ الشيخ اللقاني، بمكتبه بنهج الباشا تونس العاصمة، بتاريخ، 2005/12/26.
- لقاء مع الاستاذ علي كافي، تلميذ الشيخ اللقاني، في ببيته، تقرت، يوم: 2006/01/22، على الساعة 12:00.
- لقاء مع السائحي الصغير، الأستاذ محمد الأخضر عبد القادر، الجزائر العاصمة، في ساحة قبالة مستشفى باشا، ماي 2008.

- لقاء مع السيد محمد الهادي بن السايح نجل الشيخ اللّقاني، في جلسة معه ببيته بحمام الأنف، تونس، بتاريخ: 2014/03/04. الساعة: 14:00.

- لقاء مع السيد أحمد للح بن بورقعة، صديق الشيخ اللقاني، بالزاوية التجانية بقمار، بتاريخ: 2014/03/13، على الساعة: 18:00

- لقاء مع الشيخ احميدة يمبعي، في جلسة معه بزاوية تغزوت بتاريخ: 2006/10/17

- لقاء مع عبد الباقي مفتاح، ببيته، بقمار، بتاريخ: 2005/12/6.

توصيات اليوم الدراسي:

في ختام هذا اليوم الدراسي، خلُص المشاركون إلى التوصيات الآتية:

- العمل على إعداد موسوعة علماء ومشايخ وادي سُوف، بعد أن كثرت وتوفّرت الكتابات المتفرّقة من كتب ومقالات وبحوث وأوراق مؤتمرات وأيّام دراسيّة وحصص إذاعيّة.

- الاهتمام بالتّاريخ الشّفويّ للمنطقة وتدوينه ليتحوّل إلى وثائق يستفيدُ منها الدّارسون في التّاريخ والانثروبولوجيا.

- تحويل سِيَرِ ورحلات العلماء والمشايخ إلى أعمال تسجيليّة، سمعيّة بصريّة، عبر الاستفادة من الوثائق والمطبوعات، والرّوايات الشّفهيّة المتاحة.

- تخليد ذكرى هؤلاء (المجاهدين علميًّا) عبر تسمية مدارس ومؤسّسات وأفواج كشفيّة وأحياء جديدة بأسمائهم.

- الاعتناء بالإرث الثقافي والفكري الذي تركه أعلام المنطقة في شتى العلوم، وتوجيه الدراسات الأكاديمية للبحث في أغواره.

- مواصلة البحث في سِيَر الشَّخصيات المحلِّية والوطنية، ممن بذلوا جهودا نيّرة في تنشيط الحركة الثقافية والعلمية.

- دعوة الباحثين الأكاديميين لجمعِ شتات المعلومات المتناثرة في الكتب والأبحاث وفي كوامن الأصفياء، ممن ساهموا في نشر العلوم والثقافة الإسلامية بالمنطقة وجوارها.

- إصدار جريدة أو مجلة أكاديمية، تهتم بالشخصيات والمؤسسات التي ساهمت في تنشيط الحركة العلمية والثقافية في منطقة وادي سوف.

- أنْ يكون الإنتاج العلمي والفكري في موضوع رواد الحركة العلمية والثقافية بالمنطقة، ضمن مقررات التدريس التعليمية والتربوية والأكاديمية.

- إحياء ذكرى الشخصيات الإصلاحية والمناضلة في المنطقة، عن طريق المؤتمرات والملتقيات والندوات والأيام الدراسية المتخصصة ونشر أعمالها.

- على الباحثين في تاريخ وادي سوف، إبراز تَأْثير وتأثُّر المنطقة مع الأقاليم المجاورة، الأمر الذي يسمح بإظهار الوحدة الحقيقية، واللحمة بين شعوب المغرب العربي.

- إنجاز أعمال "بحوث، لقاءات، مشاورات، ندوات..."، مشتركة مع الباحثين من القطر التونسي، وحبذا أبناء الجنوب، تبحث في التاريخ المشترك، وتعمل على جمع مختلف الوثائق المحلية، والمخطوطات ووثائق الأرشيف..، ووضعها في متناول الباحثين.

- إصدار مداخلات اليوم الدراسي في كتاب جماعي ونشره ورقيا وإلكترونيا.

فهرس المحتوى



تبحث هذه الصفحات في أهمية الرحلة العلمية ودورها في صقل الأدمغة وتحصيل العلوم لأعلام من المنطقة وجوارها؛ وأثر ذلك في نشر الوعي وتفعيل الحركة الثقافية بين مجتمع البحث؛ إبراز دور الرحلة العلمية السوفية في تنشيط الحركة التعليمية والثقافية، وتبيان أهم روافد انتشار الوعي الفكري والثقافي لساكنة المنطقة، والكشف عن مساهمات أعلام الثقافة بالمنطقة وخارجها وأدوارهم في نشر الوعي.

ISBN: 978-9969-574-49-4
9 789969 574494



